

سلسلة الحق والنور

الرسالة الثامنة







الجزء الثالث - الأركان الخمسة



ميزان الاعتدال

لحفظ

الدين والأحوال

الجزء الثالث - الأركان الخمسة

بقلم

الشريف الشيخ عباس السيد فاضل السيد علي
الحسني النقشبندي

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾

صدق الله العظيم

[سورة هود] الآية «٢٣»

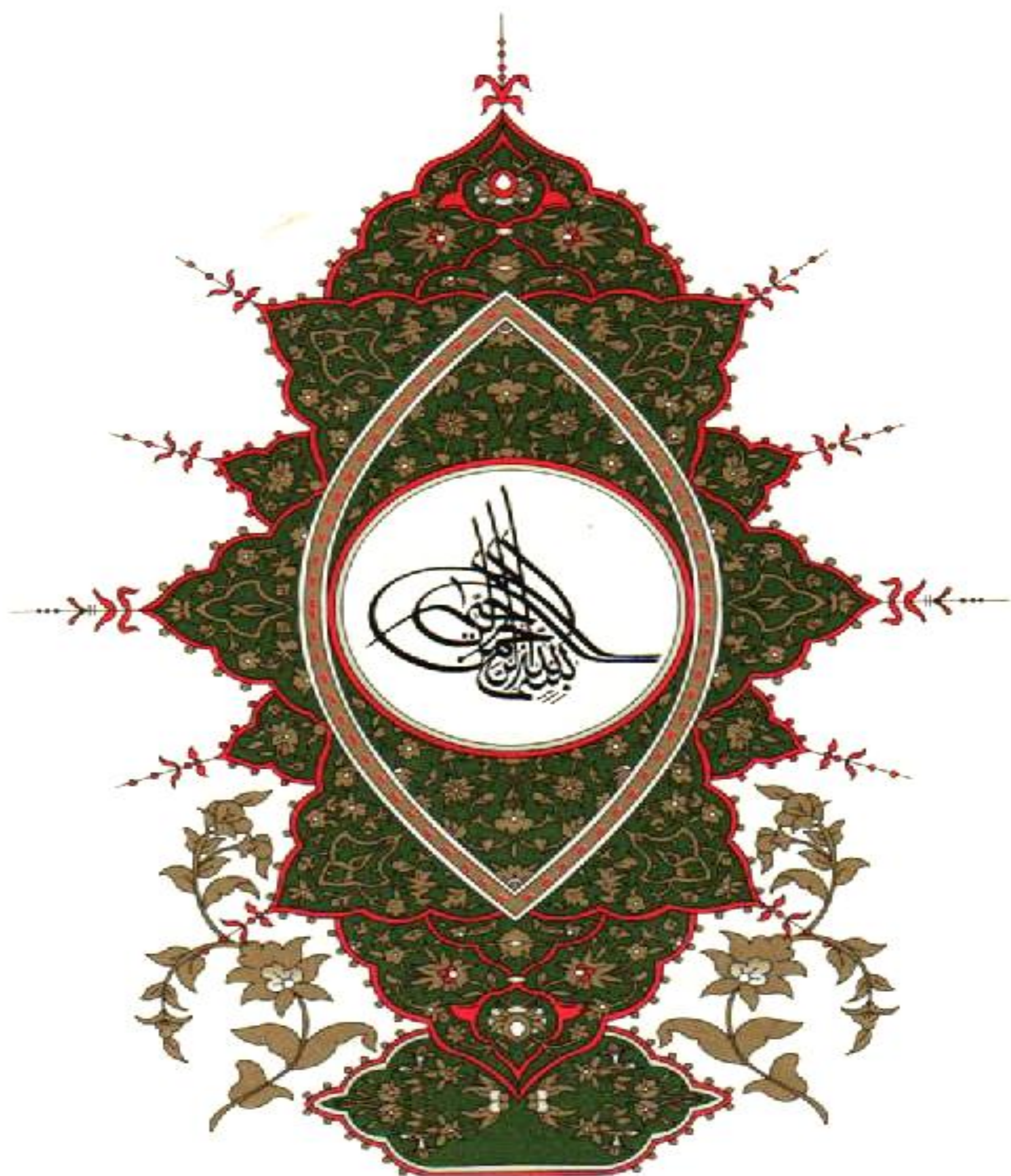
قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :-

بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ : شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ

وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللّٰهِ ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ،

وَالحَجِّ ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ .

مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ



ميزان الاعتدال لحفظ الدين والأحوال

الحَمْـدُ للهِ ربِّ العـالَمينَ؛ حمـداً يُـوافي نعمَـهُ، ويُكافئُ مَزيدَهُ ـ سُبحانَكَ اللّهم وبحمدك؛ لا نحصي ثناءً عليكَ؛ أنتَ كما أثنيـتَ علـى نَفسِـكَ؛ فلـكَ الحمدُ حتى ترضى؛ الحمدُ لله الذي هدانا إلى ديـن الإسلام، وفضّلَ دينَنا على سائر الأديان، في الـدنيا ويوم العرض على الله ـ جلَّ في علاه.

والصّلاةُ والسّلامُ على النَّبيِّ الأُمِّيِّ، فاتحِ بابِ العلمِ، وعَينِ اليَقين، حَبيبِ ربِّ العـالَمين وخـاتَم الأنبياءِ والمرسلين؛ مولانا محمّدٍ المصـطفى الأمـين، أفضل من عرف الله، وخشيه واتقاه[1]. وعلـى آلـه الأصفياء، وأصحابه الأتقياء، وتابعيهم بإحسانٍ إلى

---

(١) لقول رسول الله ﷺ: "أَمَا والله إني لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ، وَأَتْقَاكُمْ لهُ" رواه محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي: (ت٢٥٦هـ): في كتاب النكاح . باب الترغيب في النكاح، رقم:– ٥٠٦٣، وفي رواية: "إِنَّ أَتْقَاكُمْ وَأَعْلَمَكُمْ بِاللَّهِ أنا" رواه البخاري في كتاب الإيمان . باب قول النبي ﷺ: "أنا أعلمكم بالله"، رقم: ٢٠.

يوم التَناد؛ فهم دُعاةُ الخَلقِ إلى الخَلّاق بالحكمة والموعظة الحسنة، بالهمة والتحمل في سبيله تعالى؛ ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾[1].

أمّا بعدُ: فكنا قد تحدثنا بتوفيق الله تعالى ـ في الرسالة الثامنة ـ "بجزئها الأول"، عن أهل العلم؛ ثم تحدثنا "بجزئها الثاني" عن أهل التقوى؛ وقلنا فيها: أنَّ مراتبَ كمالِ التقوى ستةٌ؛ وذكرنا فيها ثلاثةَ مراتبَ ـ أولها: القصدُ؛ وثانيها: تزكيةُ النفسِ؛ وثالثها: التخليةُ من المآثم الظاهرةِ والباطنةِ؛ وها هو "الجزء الثالث"، يتحدث بتوفيق الله وكرمه ﷻ: عن المرتبة الرابعة العظمى من مراتب التقوى ألا وهي: العمل بالمبرات أو الطاعات؛ "المتضمنة للأركان الخمسة في الإسلام ـ من توحيد وأحكام":

---

(١) سورة البينة.

كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾[1]، أي: أنَّه تعالى ما خلقهم إلا لغايةٍ كماليّة ألا وهي: العبادةُ الخالصةُ لوجهه ﷻ؛ لنكون على الإيمان الخالص؛ والدين الكامل الصالح.

أيها الأخ الكريم: قال ـ جلَّ ذكره: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾[2]، قال العلاّمة ابن كثير رحمه الله، في "تفسيره": أي: مهما أمركم به فافعلوه، ومهما نهاكم عنه فاجتنبوه، فإنه إنما يأمر بخير وإنما ينهى عن شر. ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ أي اتقوه في امتثال أوامره، وترك زواجره، فإنه شديد العقاب لمن عصاه، وخالف أمره وأباه، وارتكب ما عنه زجره

(١) سورة الذاريات.

(٢) سورة الحشر.

ونهاه[1]. وهذا شاملٌ لأصول الدين وفُروعه، ظاهره وباطنه، وأن ما جاء به الرسول ﷺ يتعين على العباد الأخذ به واتباعه، ولا تحل مخالفته، وأن نص الرسول ﷺ على حكم الشيء، كنص الله تعالى، لا رخصة لأحد ولا عذر له في تركه، ولا يجوز تقديم قول أحد على قوله.

ثم أمر بتقواه التي بها عمارة القلوب والأرواح [والدنيا والآخرة]، وبها السعادة الدائمة والفوز العظيم، وبإضاعتها الشقاء الأبدي والعذاب السرمدي[2].

ـ وفي الآية دليلٌ على وجوب الأخذ بالسُّنن الصحيحة في كل الأمور؛ كما قال رسول الله ﷺ:

---

(١) ((تفسير ابن كثير)): لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي: (ت٧٧٤هـ)، (٤/٣٣٦-٣٣٧).

(٢) ((تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)): للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدِّي: (ص٨١٣).

﴿القرءان صعب مستصعب على من كرهه، وهو:- الحَكم. فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه: جاء مع القرآن؛ ومن تهاون بالقرآن وحديثي: فقد خسر الدنيا والآخرة. أُمِرَتْ أمتي: أن يأخذوا بقولي، ويطيعوا أمري، ويتبعوا سنتي. فمن رضي بقولي فقد رضي بالقرآن: قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [1].

- وفي روايةٍ أخرى: ﴿القرآن صعب مستصعب على من كرهه، ميسر على من اتبعه، وهو: الحكم، وحديثي صعب مستصعب، وهو: الحكم، فمن

(١) ((تفسير القرطبي)): لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري القرطبي: (ت ٦٧١هـ)، (١٢/١٨)، و ((الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع)): لأبي بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي: (ت ٤٦٣هـ)، (١٨٩/٢)؛ وأنظر الكتاب الموسوم باسم: ((حجية السُّنة))؛ للعلامة الدكتور عبد الغني عبد الخالق رحمه الله.

استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن، ومن تهاون بالقرآن وبحديثي خسر الدنيا والآخرة﴾[١].

ـ وفي أخـرى: ﴿يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئًا على أَرِيكَتِهِ يُحَدِّثُ بِحَدِيثٍ من حَدِيثِي فيقول: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ ﷻ، فما وَجَدْنَا فيه من حَلالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ وما وَجَدْنَا فيه من حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ، أَلا وَإِنَّ ما حَرَّمَ رسول اللَّهِ ﷺ، مِثْلُ ما حَرَّمَ الله﴾. رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وأحمد[٢].

عَنْ أبي مُوسَى ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قال: ﴿إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ ما بَعَثَنِيَ الله بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أتى قَوْمَهُ فقال يا قَوْمِ

---

(١) أخرجه علي بن حسام الدين المتقي الهندي: (ت ٩٧٥هـ)، في ((كنز العمال))، (٢٧٥/١)، وقال: رواه أبو نعيم.

(٢) ((سنن الترمذي)): لمحمد بن عيسى الترمذي: (ت٢٧٩هـ)، كتاب العلم ـ باب ما نهي عنه أن يقال عند حديث رسول الله، رقم: ٢٦٦٣، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ((سنن أبي داود)): لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ)، كتاب السنة ـ باب في لزوم السنة، رقم: ٤٦٠٥، ((سنن ابن ماجه)): لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني: (ت٢٧٥هـ)، المقدمة ـ باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ، والتغليظ على من عارضه، رقم: ١٣، ((مسند أحمد)): لأحمد بن حنبل الشيباني: (ت٢٤١هـ)، رقم: ١٧١٠٨، ١٧١٢٨.

إني رأيت الْجَيْشَ بِعَيْنَيَّ وَإِنِّي أنا النَّذِيرُ الْعُرْيَانُ[1] فَالنَّجَاءَ[2]، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ من قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا[3] فَانْطَلَقُوا على مُهْلَتِهِمْ، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ منهم فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمْ الْجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ[4]، فَذَلِكَ مَثَلُ من أَطَاعَنِي وَاتَّبَعَ ما جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ من عَصَانِي وَكَذَّبَ ما جِئْتُ بِهِ من الْحَقِّ﴾. متفق عليه[5].

قال الخطيب في "الكفاية": فإن الله تبارك وتعالى أنقذ الخلق من نائرة[6] الجهل، وخلص

---

(١) النذير: هو الذي ينذر قومه العدو فيستعدون له، وكانت عادة النذير أن يخلع ثوبه ويشير به إلى قومه، وهو عريان، إيذاناً بشدة الخطر.

(٢) أي: اسلكوا طريق النجاة قبل أن يدهمكم العدو.

(٣) بادروا بالسير.

(٤) استأصلهم بالهلاك لأنهم لم يسمعوا إنذار النذير.

(٥) ((صحيح البخاري)): كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة. باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم: ٧٢٨٣، ((صحيح مسلم)): لأبي الحسين لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري: (ت٢٦١هـ)، كتاب الفضائل. باب شفقته ﷺ، على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم، رقم: ٢٠٩، ٢٢٨٦.

(٦) النَّائرةُ: الحِقْدُ والعَداوَة، وقال الليث: النَّائرةُ الكائنةُ تقع بين القَوْم، وقال غيرُه: بينهم نائرةٌ أَي: عَداوَة. انظر: ((تاج العروس)): لمحمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني الزَّبيدي الملقب بـ "مرتضى": (ت١٢٠٥هـ)، (٣٢٦/١٤).

الـورى مـن زخـارف الضـلالة بالكتـاب النـاطق والوحي الصادق المنزلين على سـيد الـورى نبينـا محمد المصطفى ﷺ، ثم أوجـب النجـاة مـن النـار وأبعد عن منزل الذل والخسار لمن أطاعه في امتثال ما أمر والكف عما عنه نهى وزجـر؛ فقـال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٥٢﴾[1]، وطاعة الله في طاعة رسوله، وطاعة رسوله في اتباع سننه، إذ هي النورُ البهي، والأمرُ الجلـي، والحجـةُ الواضحة، والمحجةُ اللائحة؛ من تمسكَ بها اهتدى، ومن عدلَ عنها ضلَ وغوى[2].

---

(١) سورة النور.

(٢) ((الكفاية في علم الرواية)): للخطيب البغدادي، (ص٢).

وقال أكملُ الرسلِ ﷺ مخبراً عن ربه ﷻ: ﴿مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً[(١)] فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ[(٢)]، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ[(٣)]، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا[(٤)]، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ[(٥)]، وَمَا تَرَدَّدْتُ

---

(١) وإنَّما قال: "من عادى لي ولياً"، ولم يقل: "ولياً لي"، تفخيماً لشأن العداوة، لأنَّ في الأوَّل إيذاناً بأن عداوة وليٍّ كأنها عداوة الله تعالى، بخلاف الثاني، ينظر: ((فيض الباري)): لمحمد أنور الكشميري: (ت١٣٥٢هـ)، (٥١٤/٧).

(٢) فلا يسمع إلا ما يرضي ربه تعالى. كقرآن وذكر ودعاء.

(٣) فلا يبصر إلا في طاعة الله تعالى وما يرضيه. كنظره في عجائب المخلوقات، ومصحف، وكتب علم. ينظر ((التاج الجامع للأصول)): للشيخ منصور علي ناصف رحمه الله.

(٤) فلا يحركها إلا في طاعة الله تعالى وما يرضيه. وزاد سليمان بن احمد الطبراني: (ت٣٦٠هـ)، في ((المعجَم الكبير)): (٢٠٦/٨): "وَلِسَانَهُ الذي يَنْطِقُ بِهِ وَقَلْبَهُ الذي يَعْقِلُ بِهِ".

(٥) فإذا صار الشخص عبدا لله في كل أحواله: في أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته كان عبداً ربانياً أينما طلبه وجده، وأينما سأله أعطاه، وفي روايةٍ: "ويكون من أوليائي وأصفيائي ويكون جاري مع النبيين والصديقين والشهداء في الجنة"؛ قال زين الدين، عبد الرؤوف، محمد علي بن زين العابدين الحدادي المناوي: (ت١٠٣١هـ) في ((الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية))، (ص١٠٤): رواه أبو نعيم والحاكم والديلمي وابن عساكر.

عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ﴾. رواه البخاري[1]، أي ما ردّدت رسلي في شيء أنا فاعله كترديدي إيّاهم في نفس المؤمن ﴿يَكْرَهُ الْمَوْتَ﴾ لما فيه من الألم العظيم ﴿وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ﴾، قال الإمام الجنيد بن محمد رضي الله عنه: الكراهة هنا لما يلقى المؤمن من الموت وصعوبته، وليس المعنى إني أكره له الموت؛ لأن الموت يورده إلى رحمة الله تعالى ومغفرته[2].

قال صاحب "إرشاد الساري": وفي ذلك دلالة على شرف الأولياء ورفعة منزلتهم، حتى لو تأتى أنه تعالى لا يذيقهم الموت الذي حتمه على عباده لفعل، ولهذا المعنى ورد لفظ التردّد، كما أن العبد

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الرقاق ـ باب التواضع، رقم: ٦٥٠٢.

(٢) ((فتح الباري)): لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني:(ت٨٥٢هـ)، (٣٤٦/١١).

إذا كان له أمر لا بدّ له أن يفعله بحبيبه لكنه يؤلمه، فإن نظر إلى ألمه أنكف عن الفعل، وإن نظر إلى أنه لا بد له منه أن يفعله لمنفعته أقدم عليه فيعبر عن هذه الحالة في قلبه بالتردّد، فخاطب الله الخلق بذلك على حسب ما يعرفون، ودلهم به على شرف الوليّ عنده ورفعة درجته. انتهى[1]. فتأمل.

قلتُ: أجمل ما في الدنيا هو الموت؛ لأنه رحلةً سريعةً إلى رحمة اللهِ وجنتهِ، وفيها رضوان الله ومشاهدته؛ لقوله تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ

(١) ((إرشاد الساري، بشرح صحيح البخاري)): للعلاّمة أبي العباس شهاب الدين أحمد بن محمد القسطلاني: (ت ٩٢٣ هـ)، (٩/٢٩٠).قال ابن حجر العسقلاني في "الفتح" (١١/٣٤٦): قال الشيخ أبو الفضل بن عطاء: في هذا الحديث عظم قدر الولي، لكونه خرج عن تدبيره إلى تدبير ربه، وعن انتصاره لنفسه إلى انتصار الله له، وعن حوله وقوته بصدق توكله، قال: ويؤخذ منه أن لا يحكم لإنسان آذى وليا ثم لم يعاجل بمصيبة في نفسه أو ماله أو ولده بأنه سلم من انتقام الله، فقد تكون مصيبته في غير ذلك مما هو أشد عليه كالمصيبة في الدين مثلاً.

صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾﴾[1]، ولقولـــه ﷺ: ﴿الموت تحفة المؤمن﴾[2]، وأما لفظ التردّد ﴿وَمَا تَرَدَّدْتُ﴾ فهو بين الأمر المحتم؛ وهو الفناء والموت، لأن الحبيب لا يعذب حبيبه؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ ﴿١٨﴾﴾[3]،ولكن جعل الله البلاء فيه التكفير للسيئات،ومضاعفة الحسنات،ورفع الدرجات؛لأن عظم الجزاء، مع عظم البلاء[4]؛ فقد سُئل أكمل

---

(١) سورة البقرة.

(٢) ((الفردوس بمأثور الخطاب)): لأبي شجاع شيرويه بن شهردار الديلمي الهمذاني: (ت٥٠٩هـ)، (٤/٢٣٨)، رقم: ٦٧١٥، قال إسماعيل بن محمد العجلوني: (ت١١٦٢هـ)، في ((كشف الخفاء)): (٢/٣٨٣): رواه الديلمي عن جابر بزيادة: "والدرهم والدينار مع المنافق وهما زاده إلى النار". ورواه عن عائشة بلفظ: "الموت غنيمة، والمعصية مصيبة، والفقر راحة، والغنى عقوبة، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له".

(٣) سورة المائدة.

(٤) كما قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مع عِظَمِ الْبَلاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إذا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلاهُمْ فَمَنْ رضى فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ"، ((سنن الترمذي)): كتاب الزهد . باب ما جاء في الصبر على البلاء، رقم: ٢٣٩٦، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

الرسل ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً؟ قَـالَ: ﴿الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ، فَيُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ دِينُهُ صُلْبًا، اشْتَدَّ بَلاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ[١]، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ[٢]﴾[٣]، حتى إذا بقى عليه شيء شدد عليه السكرات حتى يلقى الله وليس عليه خطيئةٌ تُذكر؛ لقوله ﷺ، مخبراً عن ربه ﷻ: ﴿إني لا أُخرج أحداً من الدنيا، وأنا أريدُ أن

---

(١) دينه صلباً: أي قوياً، وفي دينه رقة: أي ضعف.

(٢) فأعظم الناس بلاءً الرسل، فالأنبياء، فمن يليهم في الدرجة والقرب من الله تعالى ـ كالأولياء والخيار من الناس، والأتقياء ليعظم أجرهم.

(٣) ((مسند الإمام أحمد))، رقم: ١٤٨١، ١٤٩٤، ١٥٥٥، ١٦٠٧، ((سنن الترمذي)): كتاب الزهد ـ ما جاء في الصبر على البلاء، رقم: ٢٣٩٨، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الفتن ـ باب الصبر على البلاء، رقم: ٤٠٢٣ ((سنن الدارمي)): لأبي عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي: (ت٢٥٥هـ): كتاب الرقاق ـ باب في أشد الناس بلاء. قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح، رواه الترمذي عن قتيبة عن شريك عن عاصم، وقال: "حديث حسن صحيح" قال شارحه: "وأخرجه أحمد والدارمي والنسائي في "الكبرى" وابن ماجه وابن حبان والحاكم كذا في الفتح". "الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ": في "النهاية": أي الأشرف فالأشرف، والأعلى فالأعلى في الرتبة والمنزلة. يقال: هذا أمثل من هذا، أي أفضل وأدنى إلى الخير. ينظر: ((المسند)): (٢٢٧/٢).

أرحمَهُ، حتى أوفيه بكلِّ خطيئةٍ كان عملها: سقماً في جسدهِ، ومُصيبةً في أهلهِ وولدهِ، وضيقاً في معاشِه، وإقتاراً في رزقه، حتى أبلغَ منه مثاقيلَ الذرِّ، فإن بقَى عليه شيءٌ شددت عليه الموتَ حتى يُفْضِيَ إليَّ كَيَومِ ولدتْهُ أمُّهُ﴾[1].

"أي أخي" لو يَعْلَمُ المحبُّ ما في المرض والبلاء من الحسنات والدرجات لتمنى أن يستمر عليه هذا[2]، "والصالحون يتلذذون بالبلاء"؛ فإن عافاهم الله شكروه، وإن ابتلاهم صبروا وسألوه العافية.

---

(١) ((التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة)): للإمام القرطبي: (١/٣٨)، ((شرح الصدور، بشرح حال الموتى والقبور)): لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي:- (ت٩١١هـ)، (ص٣٦).

(٢) لقول رسول الله ﷺ: "يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يوم الْقِيَامَةِ حين يُعْطَى أَهْلُ الْبَلاءِ الثَّوَابَ لو أن جُلُودَهُمْ كانت قُرِضَتْ في الدُّنْيَا بِالْمَقَارِيضِ"، ((سنن الترمذي)): كتاب الزهد، رقم ٢٤٠٢، قال عبد العظيم بن عبد القوي المنذري: (ت٦٥٦هـ) في ((الترغيب والترهيب))، (١٧٥/٤): رواه الترمذي، وابن أبي الدنيا، من رواية عبد الرحمن بن مغرا، وبقية رواته ثقات، وقال الترمذي: حديث غريب، ورواه الطبراني في "الكبير"، عن ابن مسعود موقوفاً عليه، وفيه رجل لم يسم.

ونسأله ﷻ العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدنيا والآخرة[1]؛ وورد أن بلالاً رضي الله عنه قال عند موته: (وافرحاه غداً نلقى الأحبة محمداً وحزبه)[2].

"أي أخي": اعلم أَن عظيم العمل بالطاعات؛ قوله ﷺ: ﴿بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالْحَجِّ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ﴾. متفق عليه[3]، وفي لفظ مسلم: ﴿إِنَّ الإِسْلامَ بُنِيَ على خَمْسٍ، شَهَادَةِ أَنْ

(١) قال أهل العلم: المرض منه ثواب، لا يمنع سؤال الله العفو والعافية؛ كما في الخبر عن ابن عمر قال: لم يَكُنْ رسول اللَّهِ ﷺ يَدَعُ هَؤُلاءِ الدَّعَوَاتِ حين يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: "اللهم إني أَسْأَلُكَ الْعَافِيَةَ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، اللهم إني أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ في دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي، اللهم اسْتُرْ عَوْرَتِي [وقال عُثْمَانُ]: عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي، اللّهم احْفَظْنِي من بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي، وَأَعُوذُ بِعَظَمَتِكَ أَنْ أُغْتَالَ من تَحْتِي"، قال أبو داود: قال وكيع: يعني الخسف، ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب . باب ما يقول إذا أصبح، رقم: ٥٠٧٤. وهو حديث صحيح. ينظر: ((عون المعبود على سنن أبي داود))، (ص٢١٦٧): لشمس الحق الديانوي (ت١٣٢٩هـ)، وهو من تأليفه حقيقةً، ونسبه إلى أخيه محمد أشرف كما في ((نزهة الخواطر)) لعبد الحي الحسني: (١٧٩/٨).

(٢) ((سير أعلام النبلاء)): لمحمد بن احمد بن عثمان الذهبي: (ت٧٤٨هـ)، (٣٥٩/١).

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان . باب بني الإسلام على خمس، رقم: ٨، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان . باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم: ١١٣.

لا إِلَـهَ إلا الله، وَإِقَـامِ الصَّـلاةِ، وَإِيتَـاءِ الزَّكَـاةِ، وَصِـيَامِ رَمَضَانَ، وَحَجِّ الْبَيْتِ﴾[1].

ـ والحديث من جوامع كلمه ﷺ؛ المشـار إليهـا بقولــــه: ﴿أوتيـت جوامـع الكلـم واختصـر لـي الكـلام اختصاراً﴾[2]، وفي روايةٍ: ﴿بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ﴾[3].

ومن معاني جوامع الكَلِم: هي القواعد الكلية الجامعـة للفـروع الجزئيـة، أو الكلمـات اليسـيرة

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ـ باب بيان أركان الإسلام ودعائمه العظام، رقم: ١١٤.

(٢) قال العجلوني في ((كشف الخفاء)): رواه العسكري عن جعفر بن محمد عن أبيه مرسلاً، ورواه النسائي عن ابن عباس بلفظ: ((أعطيت ...)) وله شاهد في "الصحيح".

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب الجهاد والسير ـ باب قول النبي ﷺ: "نصرت بالرعب مسيرة شهر"، رقم: ٢٩٧٧، ((صحيح مسلم)): كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم: ١١٦٨، ورواه الديلمي بلا سند عن ابن عباس رضي الله عنهما رفعه بلفظ: "أُعْطِيتُ جوامعَ الكلمِ واخْتُصِرَ ليَ= =الكـلامُ اخْتِصَـارا"، وفـي خبـر آخـر؛ رواه الإمـام احمـد: "أُوتِيـتُ فَـوَاتِحَ الْكَلِـمِ وَخَوَاتِمَـهُ وَجَوَامِعَـهُ، وَعَلِمْـتُ كَـمْ خَزَنَـةُ النَّـارِ وَحَمَلَـةُ الْعَـرْشِ، وَتُجـوِّزَ بـي، وَعُوفِيـتُ، وَعُوفِيَـتْ أمتـي، فَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ما دُمْتُ فِيكُمْ، فإذا ذُهِبَ بي فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ، أَحِلُّوا حَلاَلَهُ وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ"، قال أحمد محمد شاكر: إسناده حسن، بالإسناد قبله، وهو في ((مجمع الزوائد)): (١٦٩/١)، وقال: "رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف". وهذا تهافت منه كما بيّنا في مثل هذا التعليل آنفاً في ٦٦٠٤، وسيأتي الحديث بإسناد آخر صحيح عقب هذا. ينظر: ((المسـند)): (١٧٧/٦)، رقـم: ٦٦٠٦. والحـديث الـذي عقبـه بإسـناد صـحيح، رقـم: ٦٦٠٧.

الجامعة للحكم الغزيرة والمعاني الكثيرة[1]؛ لذا فقد جاء النص الشريف في غاية الحسن وفي نهاية درجات الفصاحة والبلاغة؛ وذلك: أن البناء لا يكون إلا في المحسوسات، واستعمله في المعقولات مجازاً بالاستعارة. وتقريره، أن يقال: شبه دين الإسلام بحصنٍ مبني على أقوم الدعائم وأعظم الأركان بجامع الرصانة والصيانة في كل منهما. فإن الحصن الرصين يصون ويمنع عن الوقوع في أيدي الأعداء؛ كما أن الدين المتين يصون ويمنع من الوقوع في نار المخالفات في الدنيا، والسقوط في نار جهنم في الآخرة[2].

---

(١) قال الإمام البخاري: بلغني أن جوامع الكلم هو أن الله تعالى يجمع الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد، والأمرين أو نحو ذلك. ينظر: ((الكواكب الدَّراري في شرح البخاري)): لشمس الدين محمد بن يوسف الكرماني: (ت٧٨٦هـ)، (٦/٤٥٤).

(٢) انظر إلى الكتاب الموسوم المسمى: ((ضوء الشمس في قوله ﷺ: بني الإسلام على خمس))؛ للعلامة الشيخ محمد أبو الهدى الصيادي:(ت١٣٢٨هـ)، (١/١٢ ـ ١٤).

"قلنا": المرتبة العظمى من مراتب التقوى:

وهي الأمور الخمسة: لأن الإسلام غير منحصر في هذه الأشياء الخمسة؛ لأن الفرائض والواجبات التي يتعين الإذعان لها والعمل بها والسنن والمندوبات ـ كالمقربات والمحبوبات التي حض عليها الشارع ﷺ، وندب الأمة إليها وهي كثيرة. وكلها داخلة في الأعمال التي هي داخلة بمفهوم الإسلام، غير أن أعظمها وأهمها وأعلاها هذه الخمسة. ويدل على ذلك أحاديث أخرى، فمنها: قوله ﷺ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ[١] شُعْبَةً، أَفْضَلُهَا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَوْضَعُهَا

---

(١) وفي رواية مسلم في كتاب الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون بشك، والبضعة والبضع بكسر أولهما، وفتحه في العدد ـ ما بين الثلاث والعشر، وقيل: البضع سبع، وقيل: من ثلاث إلى تسع، والشعبة: القطعة من الشيء، والمراد بها هنا: الخصلة من أمور الدين. ((التاج الجامع للأصول)): (٢٧/١).

إِمَاطَــةُ الأَذَى عَــن الطَّرِيــقِ، وَالْحَيَــاءُ شُــعْبَةٌ[1] مِــن الإِيمَانِ﴾[2].

ومنها: حـديث جبريـل المشـهور عنـدما سَـئلَ رسول الله ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان.

ومنها: قوله تعـالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾[3].

---

(١) والحياء: لباس جميل وهو خلق يبعث على ترك القبيح وفعل المليح.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان ـ باب أمور الإيمان، رقم: ٩، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان . باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها، وفضيلة الحياء، وكونه من الإيمان، رقم: ١٥١، ((سنن أبي داود)): كتاب السنة . باب في رد الإرجاء، رقم: ٤٦٧٦، ((سنن الترمذي)): كتاب الإيمان . باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادته ونقصانه، رقم: ٢٦١٤، ((سنن النسائي)): لأحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، (ت٣٠٣هـ) كتاب الإيمان وشرائعه . باب ذكر شعب الإيمان، رقم: ٥٠٠٥.

(٣) سورة البقرة.

قال العلامة الآلوسي في "تفسيره": والآية كما ترى مشتملة على خمس عشرة خصلة وترجع إلى ثلاثة أقسام، فالخمسة الأولى منها تتعلق بالكمالات الإنسانية التي هي من قبيل صحة الاعتقاد، وآخرها، قوله: ﴿وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ وافتتحها بالإيمان بالله واليوم الآخر؛ لأنهما إشارة إلى المبدأ والمعاد اللذين هما المشرق والمغرب في الحقيقة فيلتئم مع ما نفاه أولاً غاية الالتئام، والستة التي بعدها: تتعلق بالكمالات النفسية التي هي من قبيل حسن معاشرة العباد، وأولها: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ﴾ وأخرها: ﴿وَفِي ٱلرِّقَابِ﴾ والأربعة الأخيرة: تتعلق بالكمالات الإنسانية التي هي من قبيل تهذيب النفس، وأولها: ﴿وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وآخرها: ﴿وَحِينَ ٱلْبَأْسِ﴾.

"ولعمري من عمل بهذه الآية فقد استكمل الإيمان ونال أقصى مراتب الإيقان". انتهى[1].

اللّهم أنت العالم بسرائرنا فأصلحها وأنت العالم بحوائجنا فاقضها، وأنت العالم بذنوبنا فاغفرها وأنت العالم بعيوبنا فاسترها، لا ترنا حيث نهيتنا ولا تفقدنا حيث أمرتنا، لا تجعلنا من الغافلين. اللّهم ألهمنا رشدنا وأعذنا من شر أنفسنا، واشغلنا بك عمن سواك، أقطع عنا كل قاطع يقطعنا عنك، ألهمنا ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، لا إله إلا اللهُ محمدٌ رسول الله، ﷺ ما شاء الله، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) ((تفسير روح المعاني)): للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي:- (ت١٢٧٠هـ)، (٤٨/٢).

رُكْنُ التَّوحِيد



"أي أخي" قال أكمل الرسل ﷺ: «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ»؛ فقد جعل الشارع الحكيم ﷺ، أول واحدة منها أساساً وباقيها أركاناً؛ فكما أن البناء لا يقوم إلا على أساس، كذلك الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، لا تنفع، بل لا تصح إلا بعد وجود الأساس وهو: الشهادتان: فهما أصل الأصول التي من حرمها فهو من رحمة الله محروم؛ قال ﷻ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ۝٧٢﴾[1].

ومعنى "لا إله إلا الله" نَفْي الإلوهية عما سوى الله وإثباتها له وحده. "والإلوهية": استحقاق صفات الكَمال كلها فلا مَعْبود إلا الله، ولا خالق ولا رازق إلا الله، ولا مُعطيَ ولا مانع إلا الله، ولا

(١) سورة المائدة.

ضـــارٌّ ولا نـــافِع إلا الله، وهكـــذا في جميـــع المُلـــك والمَلكوت، لا يملك أحد مِثقـال ذَرَّة في الســماوات ولا في الأرض، كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ ٢٢ ﴾[1]، وقال جل وعلا: ﴿وَلَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗا وَلَا يَمۡلِكُونَ مَوۡتٗا وَلَا حَيَوٰةٗ وَلَا نُشُورٗا ٣ ﴾[2]، ولو أَمْكن أن يكون له سُبحانه شريك في الإلوهية لوجَب أن يتّصف ذلك الشريك بصفات الإلوهية: من نَفاذ القُدرة، وشُمول العلم والإرادة ولأدى ذلك إلى اخـتلاف الإرادات، فيريد أحد الإلهين مثلاً وجود شــيء ويُريـد الآخـر عدمه، ومُحال أن يحصـل المُـرادان معـاً لاسـتحالة

---

(١) سورة سبأ.

(٢) سورة الفرقان.

اجتماع الضّدّين، كذلك أن لا يحصل شيء منهما، إذ يُؤدي ذلك إلى فساد العالم وعدم وجود شيء فيه وهو باطل، ولم يَبْقَ إلا أن يحصل مرادُ أحدهما فقط، وذلك دليل على نَفاذ قُدرته واستِحْقاقه الإلوهية، فدلّ ذلك بطريق العقل على امتِناع الشّريك في الإلوهية، كما قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1]، وقال سبحانه: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ﴿٩١﴾﴾[2].

و"الشهادةُ" هي: الركنُ الأول، والأساسُ التي تُبنى عليها العبادة، وهي: المانعةُ من الخلود في

(١) سورة الأنبياء.

(٢) سورة المؤمنون.

الجحيم: لما روى الشيخان[1] عن رسول الله ﷺ أنه قال: ﴿يَخْرُجُ مِن النَّارِ[2] مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ[3]، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ شَعِيرَةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِن النَّارِ مَن قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ بُرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ، وَيَخْرُجُ مِن النَّارِ مَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَفِي قَلْبِهِ وَزْنُ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ[4]﴾.

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان . باب زيادة الإيمان ونقصانه، رقم: ٤٤، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان . باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم:٤٧٧.

(٢) أي: بشفاعة من يأذن الله لهم بالشفاعة، أو برحمة الله تعالى.

(٣) مع قرينتها: "محمد رسول الله" ﷺ.

(٤) الشعيرة: حبة الشعير. والبرة: حبة البر، وهو القمح. والذرة: أصغر النمل. وقال ابن بطال: قال ابن المهلب: الذرة أقل الموزونات وهي في الحديث التصديق الذي لا يجوز أن يدخله النقص وما في البرة والشعيرة من الزيادة على الذرة، فإنما هي زيادة من الأعمال يكمل التصديق بها وليست زيادة في نفس التصديق. فإن قيل: لِما أضاف هذه الأجزاء التي في الشعيرة، والبرة الزائدة إلى القلب دل أنها زائدة من التصديق لا من الأعمال؟ والجواب: إنه لما كان الإيمان التام إنما هو قول وعمل، والعمل لا يكون إلا بنية وإخلاص من القلب، جاز أن ينسب العمل إلى القلب؛ إذ تمامه بتصديق القلب، وقد عبر عن هذه الأجزاء من الأعمال مرة بالخير ومرة بالإيمان، وكل شائع سائغ. وقال غير المهلب: ويحتمل أن تكون الذرة واختاها التي في القلب ثلاثتها من نفس التصديق؛ لأن قول لا إله إلا الله لا يتم إلا بتصديق القلب، والناس يتفاضلون في التصديق إذ يجوز عليه الزيادة بزيادة العلم والمعاينة، أما زيادته بزيادة العلم؛ فلقوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ ﴿١٢٤﴾﴾ [سورة التوبة]، وأما زيادته بزيادة المعاينة؛ فلقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ ﴿٢٦٠﴾﴾ [سورة البقرة] =

ورحم الله الإمام الشافعي حيث قال:-

إنْ كُنْتَ تَغْدُو فِي الذنوبِ جَلِيدَا وَتَخَافُ فِي يَوْمِ المَعَادِ وَعِيدَا
فَلَقَدْ أتَاكَ مِنَ المُهَيْمِنِ عَفُوُهُ وَأفَاضَ مِنْ نِعَمٍ عَلَيْكَ مَزِيدَا
لا تَيْأسَنْ مِنْ لُطْفِ رَبِّك فِي الحَشَا فِي بَطْنِ أمِّكَ مُضْغَةً وَوَلِيدَا
لَوْ شَاءَ أنْ تُصْلَى جَهَنَّمَ خالِداً مَا كَانَ ألْهَمَ قَلْبَكَ التَّوْحِيدا

فهي: أي "الشهادةُ": البدايةُ لكلِ مسلمٍ بالنطق والتصديق: كما قال تعالى:﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ ﴿١٩﴾ ﴾[1]، لذا كان رسول الله ﷺ، يدعو قائلاً: «لا إِلَهَ إلاَّ أنْتَ سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْمًا وَلا تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أنْتَ الْوَهَّابُ»[2].

=و ﴿ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة التكاثر] حيث جعل مزية على علم اليقين. ينظر: ((شرح الكرماني)): (١/٤٠٦).

(١) سورة محمد ﷺ.

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب . ما يقول الرجل إذا تعار من الليل، رقم: ٥٠٦١. النسائي الكبرى)): (٦/٢١٦)، رقم: ١٠٧٠١، و ((صحيح ابن حبان)): لأبي حاتم=

روى ابنُ جرير الطبري في "تفسيره"، وابنُ أبي حاتِم، أن قوله: ﴿شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ﴾ يقتضي أن يكون الشاهد عالماً بأن: ﴿لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ﴾، كما قال الله ﷻ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾، وقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾[1]، فهي لكل مؤمنٍ في عملهِ وترقيه، وهي الأساس لكل سائر إلى الله ﷻ إلى مقام الإحسان واليقين: كما قال تعالى: ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي ﴿١٤﴾﴾[2]، والمعنى: حصول العلم لموسى عليه السلام بوحدانية الله تعالى، ثم فرع على ذلك الأمر

=محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي: (ت٣٥٤هـ)، (٣٤١/١٢)، رقم: ٥٥٣١ و((المستدرك)): لمحمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ) (٧٢٤/١)، رقم: ٢٠٢٥، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(١) سورة الزخرف.

(٢) سورة طه.

بعبادته. والعبادة تجمع معنى العمل الدال على التعظيم من قول وفعل وإخلاصٍ بالقلب.

ووجه التفريع أن انفراده تعالى بالإلهية يقتضي استحقاقه أن يعبد[1] ـ جل في علاه.

قال العلاّمة الرازي: يدل ذلك على أنَّ علم الأصول مقدم على علم الفروع، لأن التوحيد من علم الأصول، والعبادة من علم الفروع[2].

والمعنى: قدَّمَ ذكر التوحيد على الأمر بالعبادة وذلك لأن التوحيد أحق بالتقدم لأنه الأساس الذي تبنى عليه العبادة؛ فإنَّ غير الموحد لا تصح له عبادة كما لا يخفى.

---

(١) ((تفسير التحرير والتنوير)): للعلامة الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن عبد القادر بن محمد بن عاشور: (ت١٢٨٤هـ)، (١٠٦/١٦).

(٢) ((تفسير الرازي)): للإمام فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي: (ت٦٠٦هـ)، (١٩/٢٢).

وما أحسن قول القائل[1]:-

أيهـا المقتـدي لتطلـب علمـاً ... كـل علـم عبـد لعلـم الكـلام
تطلب الفقه كي تصحح حكماً ... ثـمَّ أغفلـت منـزل الأحكـام.

ـ فالتوحيد: أصل أصول البرّ، وعمدة أنواعـه. ذلك أنه يتوقـف عليـه الإخبـات لله ربّ العـالمين، الذي هو أعظم الأخلاق الجالبة للسعادة، وهو أصل التدبير المحمود الذي به يحصل للإنسان التوجه التام تلقـاء الغيـب، ويعـد نفسـه للُّحـوق بـه بالوجـه المقدس، وقد نبَّه سيدنا رسول الله ﷺ، علـى عِظَـم أمره، وكون منزلته من أنواع البرّ بمنزلة القلب من الجسد، إذا صلح صلح الجسد كلُّه، وإذا فسد فسـد الجسد كلُّـه؛ كمـا قـال رسـول الله ﷺ: «أَلا وَإِنَّ فِي

(١) هو أبو عبد الله بن مجاهد المتكلم. انظر: ((تبيين كذب المفتري)): لعلي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي: (ت٥٧١هـ)، (ص٥٧١).

الْجَسَدِ مُضْغَةً[1]، إِذَا صَلَحَتْ[2] صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا، وَهِيَ الْقَلْبُ[3]». متفق عليه[4].

عن أَبِي سَعِيدٍ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ صَدَّقَهُ رَبُّهُ[5] فَقَالَ: لا إِلَهَ إِلا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ. وَإِذَا

---

(١) هو في اللغة قدر ما يمضغ، وعبر بها عن مقدار القلب، فإنه صغير في الرؤية، مع أن صلاح سائر البدن وفساده تابع له.

(٢) بفتح اللام، وهو الأفصح، وحكى الفراء فيه الضم أيضاً، وهو ضد الفساد، واتفقوا على أن اللام تضم في الماضي إذا صار الصلاح له هيئة لازمة لشرف ونحوه.

(٣) فإن نسبة القلب إلى سائر الجسد كنسبة الأمير إلى المأمور، وهو الأصل، والأعضاء كالفروع له، وهو معدن العلوم والمعارف والأخلاق والملكات، وهو بعد فنائه في اللذات، والهوى يسمى نفساً، كما في ((فيض الباري)): (١/١٥٤)، ينظر: ((تكملة فتح الملهم)): للعلامة محمد تقي العثماني، (٧/٥٧٩).

(٤) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان . باب فضل من استبرأ لدينه، رقم:٥٢، ((صحيح مسلم)): كتاب المساقاة . باب أخذ الحلال وترك الشبهات، رقم: ٤٠٧٠، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الفتن . باب الوقوف عند الشبهات، رقم: ٣٩٨٤، ((سنن الدارمي)): كتاب البيوع . باب في الحلال بين والحرام بين، رقم: ٢٥٣١، وفي ((مسند أحمد)): من حديث النعمان بن بشير عن النبي ﷺ بلفظ: "إِنَّ فِي الإِنْسَانِ مُضْغَةً إِذَا سَلِمَتْ وَصَحَّتْ سَلِمَ سَائِرُ الْجَسَدِ وَصَحَّ وَإِذَا سَقِمَتْ سَقِمَ سَائِرُ الْجَسَدِ وَفَسَدَ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ"، رقم: ١٨٣٢٥.

(٥) صدقه ربه: وقال أي وقال الرب بيانا لتصديقه أي قرره بأن قال: لا إله إلا أنا وأنا أكبر وهذا أبلغ من أن يقول صدقت.

قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ: لا إِلَهَ إِلا أَنَا وَحْدِي. وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ قَالَ اللَّهُ: لا إِلَهَ إِلا أَنَا وَحْدِي لا شَرِيكَ لِي. وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ قَالَ اللَّهُ: لا إِلَهَ إِلا أَنَا لِيَ الْمُلْكُ وَلِيَ الْحَمْدُ. وَإِذَا قَالَ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ قَالَ: لا إِلَهَ إِلا أَنَا وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِي. وَكَانَ يَقُولُ مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ(١)﴾. رواه الترمذي وابن ماجه وابن حِبّان والحاكم(٢).

---

(١) قال الطيبي: أي لم تأكله استعار الطعم للإحراق مبالغة.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات . باب ما يقول العبد إذا مرض، رقم: ٣٤٣٠ ((سنن ابن ماجه)): كتاب الأدب . باب فضل لا إله إلا الله، رقم: ٣٧٩٤، ((صحيح ابن حبان)): (١٣١/٣)، رقم: ٨٥١، ((المستدرك على الصحيحين)): (٤٦/١)، رقم: ٨، وصححاه، وقال الترمذي: حديث حسن غريب، وفي رواية: "مَن رُزِقَهُنَّ عِنْدَ مَوْتِهِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ"، أي: من أعطاه الله تعالى هذه الكلمات عند الموت ووفقه لها لم تمسه النار بل يدخل الجنة ابتداءً مع الأبرار، وفي روايةٍ: "مَا مِنْ نَفْسٍ تَمُوتُ تَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرْجِعُ ذَلِكَ إِلَى قَلْبِ مُوقِنٍ إِلا غَفَرَ اللَّهُ لَهَا" اللهم اجعلنا ممن رزقته إياهن. ينظر ((شروح سنن ابن ماجه))، للسيوطي، والسندي، والدهلوي، والبوصيري، والكنكوهي، والنعماني: (١٣٧٦/٢، ١٣٧٧). قدم له وحققه: رائد بن صبري ابن أبي علفة.

وعَن عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ﷺ عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ[1] أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ[2] مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ وَالنَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى الْجَنَّةَ[3] عَلَى مَا كَانَ مِنْ عَمَلٍ». متفق عليه[4].

قال الإمام النووي: هذا حديث عظيم الموقع، وهو أجمع أو من أجمع الأحاديث المشتملة على العقائد، فإنه ﷺ، جمع فيه ما يخرج عن جميع ملل

---

(١) هي: قوله كن فيكون.

(٢) رحمة من عنده.

(٣) أي فمن مات على هذه العقيدة فهو من أهل الجنة، إلا أنه إن كان فاعلاً للواجبات بعيداً عن المحرمات دخل الجنة بدون عذاب، وإلا فأمره إلى الله تعالى . إن شاء عذبه بقدر تقصيره وأدخله الجنة، وإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة.

(٤) ((صحيح البخاري)): كتاب أحاديث الأنبياء . باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ ﴿١٧١﴾﴾ [سورة النساء]، رقم: ٣٤٣٥، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان . باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، رقم: ١٣٩.

الكفر على اختلاف عقائدهم وتباعدها، فاقتصر ـ ﷺ، في هذه الأحرف على ما يباين به جميعهم[1].

"أي عزيزي": أن معاني هذه الكلمة الشريفة، هي: شهادة أن ما سوى الله ليس بإِله، وأن إلهية ما سواه أبطل الباطل، وإثباتها أظلم الظلم، فلا يستحق العبادة سواه، كما لا تصلح الإلهية لغيره، فتضمنت نفي الإلهية عما سواه، وإثباتها له وحده لا شريك له، وذلك يستلزم الأمر باتخاذه إلها وحده، والنهي عن اتخاذ غيره معه إلها، وهذا يفهمه المخاطب في النفي والإثبات، فإن هذا أمر منه ونهي، وقد دخل في الإلهية جميع أنواع العبادة الصادرة عن تألُّه القلب لله بالحبِّ والخضوع له وحده لا شريك له ﷻ.

---

(١) ((شرح النووي على صحيح مسلم)): لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مرّي النووي: (ت٦٧٦هـ)، (١/٢٢٧).

"ومعنى التوحيد": تنزيه الله ﷻ، عن الحدوث والشبيه والنظير، فهو القدوس في ذاتـه، وصـفاته، وأفعاله، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1]، فهو الأزليُّ الأبديُّ: الأولُ بِلا بِداية، والآخـرُ بِـلا نهاية؛ كما قال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾[2]، وقال رسول الله ﷺ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ». رواه مسلم وغيره[3].

---

(١) سورة الشورى.

(٢) سورة الحديد.

(٣) ((صحيح مسلم)): كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار . باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم: ٦٨٢٧، ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب . ما يقال عند النوم، رقم: ٥٠٥١، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الدعاء . باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه، رقم: ٣٨٧٣.

فقولــه ﷺ: ﴿وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ﴾، أي: ليس أقرب منك شيء؛ لقوله تعالى: ﴿وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ ۝٨٥﴾[1]، أي: علماً، وقدرةً، ورؤيةً.

- روى البيهقي عن مقاتل بن حيان ﷺ قال: بلغنا في قوله ﷻ: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ﴾ قبل كل شيء، ﴿وَٱلۡأٓخِرُ﴾ بعد كل شيء، ﴿وَٱلظَّٰهِرُ﴾ فوقَ كل شيء، ﴿وَٱلۡبَاطِنُ﴾ أقرب من كل شيء[2].

---

(١) سورة الواقعة.

(٢) أخرجه أحمد بن الحسين بن علي البيهقي: (ت٤٥٨هـ) في ((الأسماء والصفات)): عن مقاتل بن حيان، كما في ((الدر المنثور)): (٤٨/٨)، وكما في ((روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)): (١٦٧/٢٧).

. وقيل: هو "الأول" قبل كل شيء بلا ابتداء، كان هو ولم يكن شيء موجودًا و"الآخر" بعد فناء كل شيء، بلا انتهاء تفنى الأشياء ويبقى هو، و"الظاهر" الغالب العالي على كل شيء و"الباطن" العالم بكل شيء، هذا معنى قول ابن عباس. ينظر: ((تفسير البغوي)): لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي: (ت٥١٦هـ)، (٢٩/٨).

فسبحان الباطنُ ـ جلَّ وعلا؛ المحتجب عن أبصار الخلائق وأوهامِهم، فلا يُدركه بصر، ولا يُحيط به وَهْم؛ فهو العالم بكلِّ ما بطن ﷻ.

قال الإمام الجنيد رضي الله عنه: نفى القدم عن كل أول بأوليته، ونفى البقاء عن كل آخر بآخريتهِ، واضطر الخلق إلى الإقرار بربوبيته بظاهريته، وحجب الأفهام عن إدراك كُنْهِهِ وكيفيتهِ بباطنيتهِ[1].

وقال أمير المؤمنين عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه، وكرم الله وجهه: " إن ربي عز وجل هو الأول لم يبد مما، ولا ممازج مع ما، ولا حال وهما ولا شبح يتقصى، ولا محجوب فيحوى، ولا كان بعد أن لم يكن فيقال حادث، بل جلَّ أن يكيف المكيف للأشياء كيف كان، بل لم يزل ولا يزول لاختلاف الأزمان، ولا

(١) ((دفع شُبَه من شَبَّهَ وتَمرَّد ونسب ذلك إلى السيد الجليل الإمام أحمد)): لأبي بكر بن محمَّد الحصُني الدمشقي: (ت٨٢٩هـ)، (ص٦٠).

لتقلب شأن بعد شـأن وكيـف يوصـف بالأشـباح
وكيف ينعت بالألسـن الفصـاح، مـن لم يكـن في
الأشياء فيقال بائن، ولم يبن عنها فيقال كائن، بل هو
بلا كيفية وهو أقرب من حبل الوريـد، وأبعـد في
الشبه مـن كـل بعيـد، لا يخفـى عليـه مـن عبـاده
شخوص لحظة، ولا كرور لفظة ولا ازدلاف رقـوة،
ولا انبساط خطوة، في غسق ليل داج ولا إدلاج، لا
يتغشى عليه القمر المنير، ولا انبساط الشمس ذات
النور بضوئهما في الكرور، ولا إقبال ليل مقبل، ولا
إدبار نهار مدبر، إلا وهو محيط بما يريد من تكوينه،
فهو العالم بكل مكان، وكل حين وأوان، وكل نهاية
ومدة، والأمد إلى الخلق مضروب، والحـد إلى غـيره
منسوب، لم يخلـق الأشـياء مـن أصـول أوليـة، ولا
بأوائل كانت قبله بدية، بل خلـق مـا خلـق فأقـام

خلقه، وصور ما صور فأحسن صورته، توحد في علوه فليس لشيء منه امتناع، ولا له بطاعة شيء من خلقه انتفاع، إجابته للداعين سريعة، والملائكة في السموات والأرضين له مطيعة، علمه بالأموات البائدين، كعلمه بالأحياء المتقلبين، وعلمه بما في السموات العلى كعلمه بما في الأرض السفلى، وعلمه بكل شيء، لا تحيره الأصوات ولا تشغله اللغات سميع للأصوات المختلفة، بلا جوارح له مؤتلفة، مدبر بصير، عالم بالأمور، حي قيوم.

سبحانه كلّم موسى تكليماً بلا جوارح ولا أدوات ولا شفة ولا لهوات، سبحانه وتعالى عن تكييف الصفات، من زعم أن إلهنا محدود، فقد جهل الخالق المعبود، ومن ذكر أن الأماكن به تحيط، لزمته الحيرة والتخليط، بل هو المحيط بكل مكان.

فإن كنت صادقاً أيها المتكلف لوصف الـرحمن بخـلاف التنزيـل والبرهـان، فصـف لـي جبريـل وميكائيل وإسرافيل، هيهات!، أتعجـز عـن صـفة مخلوق مثلك، وتصف الخالق المعبود! فكيف مـن لم تأخذه سـنة ولا نـوم؟، الـذي لـه مـا في الأرضـين والسـموات ومـا بينهمـا وهـو رب العـرش العظيم؟!"[1].

وأما التوحيد، فهو: أولُ دعوةِ الرسـل علـيهم السلام، وأولُ منازلِ الطريق، وأولُ مقامٍ يقومُ فيـه السالكُ، والعارفُ بالله تعالى في مقام المحبة الإلهية ـ تجريداً، وتفريداً ـ في التوحيد.

"فالتوحيد": هو الإقرار، وقطع الأنداد، وتجريد الذات الإلهية عن كل ما يتصور في الأفهام، ويتخيل

(١) ((حلية الأولياء)): لأبي نعيم احمد عبد الله الأصبهاني: (ت٤٣٠هـ)، (٧٣/١).

في الأوهام والأذهان؛ كما قال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾[1]، وقال جل شأنه: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴾[2].

"والتجريد": هو الإخلاص، وقطع الأسباب عن الفؤاد، واتخاذ السبب ظاهراً شرعياً، والتعلق بالمسبب هو الله وحده؛ قال تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾[3]، وقال جل وعلا: ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلۡخَالِصُۚ ﴾[4]، نبه الحق جل شأنه على لزوم الإخلاص فيه، وبشر بعد الإخلاص بمضاعفته وقبوله، وكل هذا انطوى في الإخلاص، إذ الأعمال

---

(١) سورة محمد ـ صلى الله عليه وسلم.

(٢) سورة الشورى.

(٣) سورة غافر.

(٤) سورة الزمر.

بغير الإخلاص كلها ظلمة، وبها تتنور، وبذلك ارتفعت همم العارفين في الأعمال إلى الإخلاص.

قال الإمام أحمد الرفاعي ﷺ: عليكم بتجريد التوحيد وهو: فقدان رؤية ما سواه لوحدانيته، إن قلت: يا الله فقد ذكرته باسمه الأعظم[1].

"والتفريد": هو الانقطاع أو الفرار مما سوى الله إلى الله تعالى، بالإيمان السليم، والسير على النهج القويم؛ وهو سير العارفين الموحدين، فمن صحَّ فرارُه إلى الله، صَحَّ قَرارُه مع الله؛ قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ٥١﴾[2].

قال الإمام النوري ﷺ: فالتوحيد تنزيه الحق عن دونه، والمعرفة إثبات الحق بصفاته العليا وأسمائه

---

(١) ((البرهان المؤيد)): للإمام أحمد الرفاعي الحسيني: (ت٥٧٨هـ)، (ص٤٨).

(٢) سورة الذاريات.

الحسنى، والإيمان عقد القلب بنفي جميع ما توهمت القلوب إليه من المضار والمنافع سواه ﷻ؛ والإسلام التسليم في الأمور كلها سراً وعلانية؛ وهذه الأسرار كائنة في أسرار الموحدين؛ ولا تصح المعرفة إلا بالتوحيد، ولا يصح الإيمان إلا بالمعرفة، ولا يصح الإسلام إلا بالإيمان؛ فمن لا توحيد له لا معرفة له، ومن لا معرفة له لا إيمان له، ومن لا إيمان له لا إسلام له، ومن لا إسلام له لا ينفعه ما سواه من الأعمال والأفعال[1].

وسُئل الإمام الجنيدُ ﷺ، عن التوحيد، فقال: إفرادُ الموحد بتحقيق وحدانيته، وكمال أحديته ـ أنه الواحد الذي لم يلد، ولم يولد، ينفي الأضداد، والأنداد، والأشباه، بلا تشبيه، ولا تكييف، ولا

(١) ((مقامات القلوب)): لأبي الحسين النوري، خراساني الأصل صحب السري والقصاب ﷺ: (ت٢٩٥هـ)، (ص٤).

تصوير، ولا تمثيل ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾[1]"[2]، ثم قال ﷺ: متى يتصل من لا شبيه له ولا نظير له، بمن له شبيه ونظير؟ هيهات، هذا ظن عجيب إلا بما لطف اللطيف، من حيث لا درك، ولا وهم، ولا إحاطة إلا إشارة اليقين، وتحقيق الإيمان[3]. اللّهم؛ يا لطيف يا واسع يا عليم، يا الله.

قال الإمام الرفاعي ﷺ: وقد جمع إمامنا الشافعي ﷺ جميع ما قيل في التوحيد بقوله: من انتهض لمعرفة مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره، فهو مشبه. وإن اطمأن إلى العدم الصرف، فهو

(١) سورة الشورى.

(٢) ((الاستقامة)): لأبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني: (ت٧٢٨هـ)، (١٤٦/١).

(٣) ((الاستقامة)): (١٤٦،١٨٤/١).

معطل. وإن اطمأن لموجود، واعترف بـالعجز عـن إدراكه فهو موحِّد[1].

وسُئل الإمام التستري ﷺ، عن ذات الله تعالى، فقـال: ذاتُ اللَّـهِ مَوْصُـوفَةٌ بِـالْعِلْمِ، غَيْـرُ مُدْرَكَـةٍ بِالإِحَاطَةِ، وَلا مَرْئِيَّةٍ بالأَبْصَارِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، وَهِـيَ مَوْجُودَةٌ بِحَقَائِقِ الإِيمَانِ، مِنْ غَيْرِ حَدٍّ وَلا إِحَاطَةٍ وَلا حُلُولٍ، وَتَرَاهُ الْعُيُونُ فِي الْعُقْبَى، ظَاهِرًا فِـي مُلْكِـهِ وَقُدْرَتِهِ، وَقَدْ حَجَبَ الْخَلْقَ عَنْ مَعْرِفَةِ كُنْـهِ ذَاتِـهِ، وَدَلَّهُمْ عَلَيْهِ بِآيَاتِهِ، فَـالْقُلُوبُ تَعْرِفُـهُ، وَالْعُيُـونُ لا تُدْرِكُهُ، يَنْظُرُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُ بِالأَبْصَارِ، مِنْ غَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلا إِدْرَاكِ نِهَايَةٍ[2].

---

(١) ((البرهان المؤيد)): (ص١٦).

(٢) ((شرح العقيدة الطحاوية)): لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي: (ت٧٩٢هـ)، (ص٢٤٠).

وسُئل الإمام أبو علي الروذباري ﵁، عن التوحيد، فقال: التوحيد استقامة القلب بإثبات مفارقة التعطيل، وإنكار التشبيه، والتوحيد في كلمة واحدة: كل ما تُصورِهُ الأوهام والأفكار، فالله ﷻ بخلافه؛ لقوله تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾. اهـ[1]. الله الله؛ يا من حارت عقول العقلاء في كنه ذاته ﷻ وعمَّ نواله، ولا إله غيره.

"أي أخي": اعلم: أن من اقرَّ لله بالوحدانية، ولم يؤمن برسالة سيدِنا محمّدٍ ﷺ فهو كافرٌ بلا مُنازع في شريعة الإسلام: كما قال جلَّ ثناؤه: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١﴾[2] وقال ﷻ: ﴿وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ١٣﴾[3]،

---

(١) ((الاستقامة)): (١/١٨١).

(٢) سورة الأنفال.

(٣) سورة الفتح.

والمعنى: ومن لم يؤمن بالله ورسوله معاً؛ فإنا اعتدنا له وهيأنا له ناراً وسعيراً؛ لأنه من عداد الكفار؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[1]، والمعنى: أن إطاعة الله والرسول واحدة، فإن إطاعة الرسول من حيث هو رسول الله ﷺ إنَّما إطاعة الله تعالى لا غير، ومن ثم قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إلا من أَبَى» قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قال: «من أَطَاعَنِي دخل الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»[2]، حيث جعل الشارع الحكيم دخول الجنة فرض إطاعته؛ كما قال ﷺ: «من أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَد عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَد أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى

---

(١) سورة آل عمران.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة . باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ، رقم: ٧٢٨٠.

أَمِيرِي فَقَد عَصَانِي﴾[1]، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾[2]، وقال ﷺ: ﴿أُمِرْتُ[3] أَنْ أُقَاتِلَ الناس[4] حتى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إلا الله وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول اللَّهِ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ فإذا فَعَلُوا ذلك عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ[5] إلا بِحَقِّ الإِسْلامِ[6] وَحِسَابُهُمْ على اللَّهِ[7]﴾، متفق عليه[8]. وقال أكمل الرسل ﷺ: ﴿ذَاقَ طَعْمَ

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الأحكام ـ باب قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴿٥٩﴾﴾ [سورة النساء]، رقم: ٧١٣٧، ((صحيح مسلم)): كتاب الإمارة ـ باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، رقم: ٤٧٢٤، و ٤٧٢٦، ((مسند أحمد)): (١٤٧/٧)، رقم: ٧٣٣٠، ((سنن النسائي)): كتاب البيعة ـ الترغيب في طاعة الإمام، رقم: ٤١٩٣.

(٢) سورة آل عمران.

(٣) أي أمرني ربي.

(٤) أي: المشركين وعبدة الأوثان.

(٥) حفظوها فلا يجوز التعرض لها.

(٦) كالقتل قصاصاً، وأخذ الزكاة من أموالهم.

(٧) فيما يبطنون فليس لنا عليهم إلا الظاهر.

(٨) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان ـ باب ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴿٥﴾﴾ [سورة التوبة]، رقم: ٢٥، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ـ =

الإِيمَـانِ[١]، مـن رضـي بِاللَّـهِ[٢] رَبّـاً، وَبِالإِسْـلامِ دِينـاً[٣]، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولاً[٤]﴾. رواه مسلم والترمذي وأحمد[٥].

قال العلاّمة علي القاري رحمه الله: والمقصود من الرضاء: الانقياد الباطني والظاهري، والكمـال: أن يكون صابراً على بلائـه، وشـاكراً علـى نعمائـه،

=باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ، وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها، ووكلت سريرته إلى الله تعالى، وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام، رقم: ١٢٨.

(١) قال القاضي عياض ـ رحمه الله تعالى: أي صح إيمانه، واطمأنت به نفسه، وخامر باطنه، لأن رضاه بالمذكورات، دليل لثبوت معرفته، ونفاذ بصيرته، ومخالطة بشاشة قلبه، لأن من رضي أمراً: سهل به، فكذا المؤمن، إذا دخل قلبه الإيمان، سهل عليه طاعات الله تعالى ولذت له. ينظر: ((شرح النووي على صحيح مسلم)): (٢/٢).

(٢) معنى رضيت بالشيء: قنعت به، واكتفيت به، ولم أطلب معه غيره، فمعنى الحديث: لم يطلب غير الله تعالى، ولم يسْعَ في غير طريق الإسلام، ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ، ولا شك في أن من كانت هذه صفته: فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه، وذاق طعمه. ((موسوعة فتح الملهم)): للشيخ شبير أحمد العثماني (١/٥٥٩).

(٣) أي: أتدين بأحكامه دون غيره من الأديان.

(٤) أي بجميع ما أرسل به وبلغه إلينا من الأمور الاعتقادية وغيرها.

(٥) ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ـ باب الدليل على أن من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ، رسولاً، فهو مؤمن، رقم: ١٥٠، ((سنن الترمذي)): كتاب الإيمان، رقم: ٢٦٢٣، ((مسند أحمد)): رقم: ١٧٧٨، و ١٧٧٩.

وراضياً بقدره وقضائه، ومنعه وإعطائه، وأن يعمل بجميع شرائع الإسلام بامتثال الأوامر واجتناب الزواجر، وأن يتبع الحبيب حق متابعته في سننه وآدابه وأخلاقه ومعاشرته، والزهد في الدنيا، والتوجه الكلي إلى العقبى. انتهى[1].

لذا، فقد قرن الشهادة برسالته ﷺ، وبالشهادة بوحدانية الله تعالى، لأنه لا يتم الإيمان والإسلام إلا بالتصديق والإقرار بهما جميعاً، ولذلك كانت الشهادتان الشريفتان في حكم شيء واحد، ولهذه الحكمة عدهما ﷺ، ركنا واحداً من الأركان الخمسة، وذكر بعدهما الأربعة الأركان الباقية؛ الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.

---

(١) ((مرقاة المفاتيح)): لعلي بن سلطان محمد القاري: (ت١٠١٤هـ)، (١/١٤٤).

"أي أخي": فمعنى "محمدٌ رسولُ اللهِ": أن تعتقد أن الله أرسل النبيَّ الأُميّ، العربي القرشي الهاشمي، مولانا محمّداً ﷺ إلى كافة الجن والأنس، وأيّده بالوحي، وألزم الخلق طاعته فيما أمر به ونهى عنه، وتصديقه فيما أخبر به، ومنع كمال شهادة التوحيد بلا إله إلا الله ما لم تَقْترن بها شهادة الرسالة لسيدنا محمد ﷺ؛ قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴿٨٠﴾﴾[1]، وفي هذا كمال شرف النبيّ الكريم ﷺ مما لا يستطيع ضبطه الأدباء الظرفاء، فقد جعل الله طاعته عين طاعته، فهو الخليفة حقيقة، وجميع الرسل والأنبياء والأولياء تبعاً له؛ قال "مقاتل" في هذه الآية: أن النبي ﷺ كان يقول: ﴿من

---

(١) سورة النساء.

أحبني فقد أحب الله، ومن أطاعني فقد أطاع الله»[1]، وفي أخرى، عَنْ أَنَسٍ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «يا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ فَافْعَلْ» ثُمَّ قَالَ لِي: «يا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ» رواه الترمذي[2] وفي أخرى: «من أَحَبَّ عَلِيّاً فَقَدْ أَحَبَّنِي[3]، وَمَنْ أَحَبَّنِي فَقَدْ أَحَبَّ اللَّه، وَمَنْ أَبْغَضَ عَلِيًّا فَقَدْ

---

(١) ((تفسير مقاتل بن سليمان)): لأبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخي: (ت١٥٠هـ)، (٢٤٤/١).

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب العلم ـ باب ما جاء في الأخذ بالسنن واجتناب البدع، رقم: ٢٦٧٨.

(٣) لما أوتيه من كرم الشيم، وعلو الهمم. قال السهروردي: اقتضى هذا الخبر وما أشبهه من الأخبار الكثيرة في الحث على حب أهل البيت، والتحذير من بغضهم، وتحريم بغضهم، ووجوب حبهم، وفي توثيق عرى الإيمان، عن الحرالي: أن خواص العلماء يجدون لأجل اختصاصهم بهذا الإيمان حلاوة ومحبة خاصة لنبيهم، وتقديما له في قلوبهم، حتى يجد إيثاره على أنفسهم وأهليهم. ينظر: ((فيض القدير)): (٤٧/٦).

أَبْغَضَنِي، وَمَنْ أَبْغَضَنِي فَقَدْ أَبْغَضَ اللَّهَ». رواه الطبراني[1].

أما الإيمان الكامل الذي عليه أهل اليقين وكمال التقوى[2]؛ فعَن أَنَسِ بنِ مَالِك ﷺ عَنِ

---

(١) ((المعجم الكبير)): (٢٣/٣٨٠)، وقال علي بن أبي بكر الهيثمي، (٨٠٧هـ)، في ((مجمع الزوائد)) (٩/١٣٢): رواه الطبراني وإسناده حسن.

(٢) وكمال التقوى، مراتبها ثلاثة: "تقوى الأوامر"، "وتقوى التعظيم"، "وتقوى الآداب"؛ أما تقوى الأوامر: فقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝٧﴾ [سورة الحشر]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ ۝١٨﴾ [سورة الحشر]. أما تقوى التعظيم: فقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ۝٣٢﴾ [سورة الحج]. وأما تقوى الآداب: فقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣﴾ [سورة الحجرات].

النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لا يُؤْمِنُ أحدكم حتى أَكُونَ أَحَبَّ إليه[1] من وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ[2] وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ». متفق عليه[3].

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ اللهُ: كل من آمن بالنبيِّ ﷺ إيماناً صحيحاً لا يخلو عن وجدان شيء من تلك المحبة الراجحة، غير أنهم متفاوتون، فمنهم من أخذ من تلك المرتبة بالحظ الأوفى، ومنهم من أخذ منها بالحظ الأدنى، كمن كان مستغرقا في الشهوات، محجوباً في الغفلات أكثر الأوقات، لكن الكثير

---

(١) أي: عنده من كل الناس، أي: لا يكمل إيمان شخص حتى يقدم ما يرضى الله ورسوله على ما يرضي عشيرته الأقربين، وليس المراد بالمحبة الحنان والشفقة كمحبة الأولاد، ولا محبة العشق كمحبة العاشق، فإن هاتين ليستا بالاختيار، وإنما المراد بالمحبة لازمها، وهو امتثال أمر المحبوب، فإن من أحب إنساناً سارع في هواه. فتنبه.

(٢) قال الكرماني: إنما خص الولد والوالد بالذكر لكونهما أعز خلق الله ـ عزَّ وجل ـ على الرجل غالباً، وربما يكون أعز من نفس الرجل على الرجل، فذكرهما إنما هو على سبيل التمثيل، فكأنه قال: حتى أكون أحب إليه من أعزته، ويعلم أيضاً منه حكم غير الأعزة؛ لأنه يلزم في غيرهم بالطريق الأولى، أو اكتفى بما ذكر في سائر النصوص الدالة على وجوب كونه أحب من نفسه أيضاً، كالرواية التي بعده. ينظر: ((شرح الكرماني)): (١/٢٨٨، ٢٨٩).

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان ـ باب حب الرسول ﷺ، من الإيمان، رقم: ١٥، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ـ باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل والولد والوالد والناس أجمعين، وإطلاق عدم الإيمان على من لم يحبه هذه المحبة، رقم: ١٦٧.

منهم إذا ذكر النبيّ ﷺ اشتاق إلى رؤيته، بحيث يؤثرها على أهله وولده وماله ووالده، ويبذل نفسه في الأمور الخطيرة، ويجد رجحان ذلك في نفسه وجداناً لا تردد فيه، وقد شوهد من هذا الجنس من يؤثر زيارة قبره ورؤية مواضع آثاره على جميع ما ذكر، لما وقر في قلوبهم من محبته، غير أن ذلك سريع بتوالي الغفلات والله المستعان[1].

وقال الإمام الزرقاني رحمه الله تعالى[2]: فكل مسلم في قلبه محبة الله ورسوله لا يدخل الإسلام إلا بها، ولكن الناس متفاوتون في محبة رسول الله ﷺ، بحسب استحضار ما وصل إليهم من جهته من وجوه النفع الشامل لخير الدارين، وبحسب الغفلة

(١) ينظر ((فتح الباري)): (١/ ٦٠)، و ((مرقاة المفاتيح)): (١/ ١٤٠).

(٢) ينظر ((فتح الملهم)): (١/ ٥٩١).

عن ذلك، ولا شك أن حظ الصحابة ﷺ في هذا المعنى أتم، لأن هذا ثمرة المعرفة، وهم بها أعلم.

وَعَن أَنَسٍ ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ[1]﴾. رَوَاهُ الخَمْسَةُ إلا أبَا دَاوُدَ[2].

ـ قوله ﷺ: ﴿لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ﴾ أي: إيماناً كاملاً، ﴿حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ﴾ أي: المسلم، ﴿ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ﴾ أي: مثل جميع ما يحبه لنفسه، قال "النووي": قال العلماء: معناه: لا يؤمن الإيمان التام، وإلا فأصل الإيمان يحصل، وإن لم يكن بهذه الصفة، والمراد:

---

(١) كما يحب لنفسه: فلا يكمل إيمان شخص حتى يحب للمسلمين مثل ما يحب لنفسه من الصحة واليسار والتوفيق ونحوها.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان ـ باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، رقم: ١٣، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ـ باب الدليل على أن من خصال الخير أن يحب لأخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير، رقم: ١٦٨، ١٦٩، ((سنن الترمذي)): كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: ٢٥١٥، ((سنن النسائي)): كتاب الإيمان وشرائعه ـ باب علامة الإيمان، رقم: ٥٠١٦، ٥٠١٧.

يحب لأخيه من الطاعات والأشياء المباحات، ويـدل عليه ما جاء في رواية النسـائي، في هـذا الحـديث، ﴿حتى يحب لأخيه من الخير ما يحب لنفسه﴾، قـال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: وهذا قد يعـد مـن الصعب الممتنع، وليس كذلك، إذ معناه: لا يكمـل إيمانُ أحدِكم، حتى يحب لأخيه في الإسلام، مثل مـا يحب لنفسه، والقيامُ بذلك يحصـل بـأن يحـب لـه حصول مثل ذلك من جهةٍ لا يزاحمه فيها، بحيث لا تنقص النعمة على أخيه شيئاً مـن النعمـة عليـه، وهذا سهل على القلب السليم، وإنما يعسر علـى القلب الدغل، عافانا الله وإخواننا أجمعين[1]. فتأمل.

قلتُ: الناسُ في هذا على ثلاثةِ أصنافٍ:-

(١) ينظر ((شرح مسلم)): للإمام النووي (١/٢٩٢)، و ((تحفة الأحوذي)): لأبي العلا محمد عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفوري: (ت١٣٥٣هـ)، (٧/٢٦١، ٢٦٢).

الصنف الأول: المؤمن، وهو الذي يتمنى لإخوانه ما يتمنى لنفسه.

الصنف الثاني: الولي الصالح، وهو الذي يتمنى لإخوانه أكثر مما يتمنى لنفسه؛ لقوله تعالى:- ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾[1]، وكان شيخي وأستاذي؛ مصطفى كمال الدين ـ طيب الله روحه، وذكره، وثراه ـ يدعو الله قائلاً: اللّهم إن أردت أن تعذب أحبابي فعذبني مكانهم.

الصنف الثالث: مريض القلب، البعيد عن الله ﷻ؛ لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[2]،

---

(١) سورة الحشر.

(٢) سورة القصص.

ولا يتم ذلـك إلا بـترك الحسـد، والغـل، والحقـد، والغش؛ أو يتمنى لنفسه أكثر من إخوانه المسلمين.

وَعَنْهُ عَنِ الـنَّبيِّ ﷺ قَـالَ: «ثَلاثٌ من كُنَّ فيه وَجَدَ[1] حَلاوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ الله وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إليه مِمَّا سِوَاهُمَا[2] وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لا يُحِبُّهُ إلا لِلَّهِ تعالى[3] وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ[4] في الْكُفْرِ كما يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ في النَّارِ». رَوَاهُ الخَمْسَةُ إِلا أَبَا دَاوُدَ[5].

---

(١) أي: ذاق طعم الإيمان الكامل.

(٢) أي: فيؤثر ما يرضيهما على كل شيء.

(٣) أي: أن تكون محبته للمسلم لله تعالى لأنه عبد الله.

(٤) أي: يصير كافراً كما يكره الوقوع في النار.

(٥) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان . باب حلاوة الإيمان، رقم: ١٦، ورواه في كتاب الإكراه . باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، رقم: ٦٩٤١، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان . باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، رقم: ٤٣/٦٧، ((سنن الترمذي)): كتاب الإيمان، رقم: ٢٦٢٤، ((سنن النسائي)): كتاب الإيمان وشرائعه . باب علامة الإيمان، رقم: ٥٠١٩.

وعَنْهُ عَــنِ الــنَّبيِّ ﷺ قَــالَ: ﴿آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ[1]، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ﴾.رَوَاهُ الشَّيْخَان وَالنَّسَائِيُّ[2].

وعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قال: (وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ[3] وَبَرَأَ النَّسَمَةَ[4]، إنه لَعَهْدُ الـنَّبيِّ الأُمِّـيِّ ﷺ إِلَـيَّ: أَنْ لا يُحِبَّنِي إلا مُؤْمِنٌ، ولا يُبْغِضَـنِي إلا مُنَـافِقٌ)[5]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ والتِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائيُّ[6].

---

(١) هم أهل المدينة، فعلامة الإيمان الكامل محبتهم ولا يبغضهم إلا منافق.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان . باب علامة الإيمان حب الأنصار، رقم: ١٧، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان . باب الدليل على أن حب الأنصار وعليّ رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق، رقم: ٢٣٢، ((سنن النسائي الكبرى)): كتاب المناقب . الترغيب في حب الأنصار رضي الله عنهم، رقم ٨٣٣١.

(٣) والله الذي شق الحبة ليخرج نبتها.

(٤) خلق النفس.

(٥) إنه لقول النبي ﷺ لي: لا يحبك يا علي إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق، وذلك لأنه ابن عم النبي ﷺ الشقيق، وزوج بنته فاطمة البتول، وأبو السبطين النيرين، وهؤلاء هم خواص أهل البيت الأطهار عليهم الرضوان .

(٦) ((صحيح مسلم)):كتاب الإيمان . باب الدليل على أن حب الأنصار وعليّ . رضي الله عنهم عنهم . من الإيمان وعلاماته، وبغضهم من علامات النفاق، رقم: ٢٣٢، ((سنن=

وعن عبد اللَّهِ بن عَمْـرو رضي الله عنهما، عَـنِ الـنَّبيِّ ﷺ قال: «الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ من لِسَانِهِ وَيَدِهِ[1]، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ ما نَهَى اللهُ عَنْهُ». رَوَاهُ الخَمْسَةُ[2].

وَزَادَ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَـائيُّ: «وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ[3]».

وَعَنْهُ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ النبي ﷺ أَيُّ الإِسْلامِ خَيْرٌ[4]؟ قال: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلامَ، على من عَرَفْتَ وَمَنْ

=الترمذي)): كتاب المناقب . باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم: ٣٧٤٥، ((سنن النسائي)): كتاب الإيمان وشرائعه . باب علامة المنافق، رقم: ٥٠٢٥.

(١) فكامل الإسلام لا يؤذي أحداً لا بلسانه ولا بيده.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان . باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، رقم: ١٠و١١، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان . باب بيان تفضل الإسلام، وأي أموره أفضل، رقم: ٤٢ و ٦٦، ((سنن أبي داود)): كتاب الجهاد . باب في الهجرة هل انقطعت، رقم: ٢٤٨١، ((سنن الترمذي)): كتاب الإيمان، رقم: ٢٥٠٤، ((سنن النسائي)): كتاب الإيمان وشرائعه . باب أي الإسلام أفضل، رقم: ٤٩٩٩.

(٣) وكامل الإيمان من كان الناس منه في أمان.

(٤) أي: خصاله أكثر ثواباً.

لم تَعْرِفْ[1]». رَوَاهُ الخَمْسَةُ إِلا التِّرْمِذِيُّ[2]. وعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ ﷺ عَنِ الـنَّبِيِّ ﷺ قـال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ[3]» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «لِلَّهِ[4] وَلِكِتَابِهِ[5] وَلِرَسُولِهِ[6] ولائمة الْمُسْلِمِينَ[7] وَعَامَّتِهِمْ[8]». رَوَاهُ الخَمْسَةُ[9].

---

(١) لأن نفعهما يعود على الخلق وبهما ينتشر الأمان في الأرض.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان . باب إطعام الطعام من الإسلام، رقم: ١٢، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان . باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل، رقم: ١٥٩، ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب . باب في إفشاء السلام، رقم: ٥١٩٤، ((سنن النسائي)): كتاب الإيمان وشرائعه . باب أي الإسلام خير، رقم: ٥٠٠٠ .

(٣) أي: مداره على النصيحة كحديث: "الحج عرفة".

(٤) بالإيمان به، والقيام بواجب شكره . عزَّ وجل، وحمل الناس على ذلك.

(٥) بتعلمه والعمل به وإرشاد الناس إلى ذلك.

(٦) باتباعه ونصره في كل شيء ﷺ.

(٧) ولاتهم باحترامهم وإطاعة أمرهم فيما يرضي الله ورسوله؛ كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ ﴿٥٩﴾ ﴾ [سورة النساء].

(٨) بإرشادهم إلى ما فيه سعدهم في الدنيا والآخرة، فمن كان بهذه الصفات كان خليفة الله في أرضه.

(٩) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان . بَاب قَوْلِ النبي ﷺ: "الدِّينُ النَّصِيحَةُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ" وَقَوْله تَعَالَى: ﴿ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ ﴿٩١﴾ ﴾. [سورة التوبة]، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان . بَاب بَيَان أَنَّ الدِّين النَّصِيحَة، رقم: ٥٥، ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب . باب في النصيحة، رقم: ٤٩٤٤، ((سنن الترمذي)): كتاب البر والصلة . باب ما جاء في النصيحة، رقم: ١٩٢٥، ((سنن النسائي)): كتاب البيعة . باب النصيحة للإمام، رقم: ٤٢٠٢.

وعَن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبيِّ ﷺ قال: ﴿أَكْمَلُ الْمُـؤْمِنِينَ إِيمَانًـا أَحْسَـنُهُمْ خُلُقًـاً[(١)] وَخِيَـارُكُمْ خِيَـارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ خُلُقًاً[(٢)]﴾. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرْمِذِيُّ[(٣)].

وعَنْهُ عَنِ الـنَّبِيِّ ﷺ قَـالَ: ﴿إِنَّ مِنْ حُسْنِ إِسْلامِ الْمَـرْءِ تَرْكَـهُ مـالا يَعْنِيـهِ[(٤)]﴾. رَوَاهُ التِّرْمِـذِيُّ وَابْـنُ مَاجَهْ[(٥)].

وعن أبي سَعِيدٍ ﷺ عَـنِ الـنَّبِيِّ ﷺ قـال: ﴿إذا رَأَيْتُمْ الرَّجُلَ يَتَعَاهَدُ الْمَسْجِدَ[(٦)] فأشهدوا له بِالإِيمَانِ،

---

(١) حسن الخلق في ثلاث: بشاشة الوجه، وكف الأذى، وبذل الندى، وقد فاز صاحب الخلق الحسن بخيري الدنيا والآخرة.

(٢)أي:أرحمهم وألطفهم بأهله،ولا يهم الإنسان إلا درهما لمعاشه،أو راحة لجسمه،أو حسنة لمعاده.

(٣) ((سنن أبي داود)): كتاب السنة ـ باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، رقم: ٤٦٨٢، ((سنن الترمذي)): كتاب الرضاع ـ باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، رقم: ١١٦٢، وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) أي: ابتعاده عن ما لا حاجة له فيه.

(٥) ((سنن الترمذي)): كتاب الزهد، رقم: ٢٣١٨، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الفتن ـ باب كف اللسان في الفتنة، رقم: ٢٣١٧.

(٦) وفي لفظ: ((يعتاد المساجد))، أي: يتردد إليها لعبادة الله تعالى.

فإن اللَّهَ تَعَالَى يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ ﴿١٨﴾﴾[١]. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وابن ماجه والدارمي وأحمد[٢].

وعن أبي أُمَامَةَ عن رسول اللَّـهِ ﷺ قـال: ﴿من أَحَـبَّ لِلَّـهِ[٣]، وَأَبْغَـضَ لِلَّـهِ[٤]، وَأَعْطَـى لِلَّـهِ[٥]، وَمَنَعَ لِلَّهِ[٦]، فَقَد اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ﴾. رواه أبـو داود والطبراني والحاكم[٧].

---

(١) سورة التوبة.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب الإيمان . باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم: ٢٦١٧، وقال: حديث حسن غريب، ((سنن ابن ماجه)): كتاب المساجد . باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، رقم: ٨٠٢، ((سنن الدارمي)): كتاب الصلاة . باب المحافظة على الصلوات، رقم: ١٢٢٣، ((مسند أحمد)): رقم: ١١٥٩٣، ١١٦٦٥، وانظر: إلى أوصاف الإيمان الكامل؛ كتاب: ((التاج الجامع للأصول في أحاديث الرسول)): (٢٦/١، ٢٨).

(٣) (أحب لله): أي لأجله ولوجهه الكريم . مخلصاً لا لميل قلبه ولا لهواه.

(٤) (أبغض لله): لا لإيذاء من أبغضه له، بل لكفره وعصيانه.

(٥) (أعطى لله): أي لثوابه ورضاه، لا لنحو رياء.

(٦) (ومنع لله): أي لأمر الله كأن لم يصرف الزكاة لكافر لخسته، ولا لهاشمي لشرفه؛ بل لمنع الله لهما منها.

(٧) ((سنن أبي داود)): كتاب السنة . باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه، رقم: ٤٦٨١، بإسناد صحيح، ((المعجم الكبير)): (١٣٤/٨)، رقم: ٧٦١٣، وصححه الحاكم في "المستدرك": (١٦٤/٢)، رقم: ٢٧٤٢، ولفظه عند الترمذي، رقم: ٢٥٢١، والحاكم:

اللّهم؛ اعطنا إيماناً صادقاً، ويقيناً ليس بعده كفر ـ ورحمةً ننال بها شرف كرامتك في الدنيا والآخرة، اللّهم؛ إنا نسألك الفوز في القضاء، ثم اللقاء، ونزل الشهداء، وعيش السعداء، ومرافقة الأنبياء، والنصر على الأعداء، اللّهم تداركنا بلطفك يا لطيف يا واسع يا عليم يا الله يا معين.

اللَّهمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجيدٌ. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا

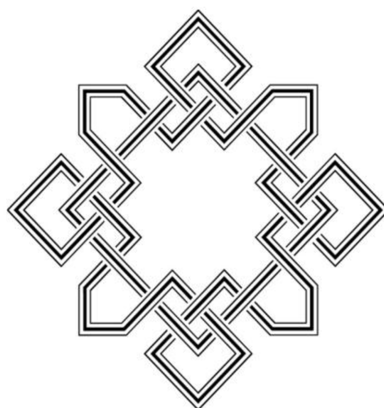
="من أَعْطَى لِلَّهِ وَمَنَعَ لِلَّهِ وَأَحَبَّ لِلَّهِ وَأَبْغَضَ لِلَّهِ وَأَنْكَحَ لِلَّهِ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ". قال الترمذي: هذا حديث حسن.

عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[1]. ﴿سُبۡحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلۡعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[2].

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة الصافات.

رُكْنُ الصَّلَاةِ



"الركن الثاني": الصلاةُ، فهي: عمادُ الدينِ[1]، وعصامُ اليقينِ[2]، ورأسُ القُرباتِ[3]، وغُرةُ الطاعاتِ[4]؛ وأجَلُّ مَباني الإسلام الخمس بعد الشهادتين، ومَحَلّها من الدين مَحلّ الرأس من الجسد، فكما أنه لا حياة لمن لا رأس له فكذلك لا دين لمن لا صلاة له؛ كما قال أكمل الرسل ﷺ: ﴿من حَافَظَ عليها كانت له نُوراً وَبُرْهَاناً وَنَجَاةً يوم الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لم يُحَافِظْ عليها لم يَكُنْ له نُورٌ وَلاَ بُرْهَانٌ وَلاَ نَجَاةٌ

---

(١) قال موسى محمد علي في تحقيقه لكتاب ((أسرار الصلاة ومهماتها)) للإمام الغزالي (ص٦٨): جزء من حديث أخرجه البيهقي في "الشعب" بسند ضعيف من حديث عمر، قال الحاكم: عكرمة لم يسمع من عمر، قال: وأراه ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصلاح، فقال في "مشكل الوسيط: انه غير معروف، وأخرج أبو نعيم الفضل بن دكين شيخ البخاري في "كتاب الصلاة" عن حبيب بن سليم عن بلال بن يحيى قال جاء رجل إلى النبي ﷺ يسأل عن الصلاة فقال: ((الصلاة عمود الدين))، وهو مرسل ورجاله ثقات.

(٢) وعصام القربة بالكسر: رباطها وسيرها الذي يحمل به، واليقين عند أهل الحقيقة: رؤية العيان بقوة الإيمان، لا بالحجة والبرهان، وقيل: مشاهدة الغيوب بصفات القلوب وملاحظة الأسرار بمحافظة الأفكار.

(٣) أعظم ما يتقرب به المتقربون إلى الله ـ جلَّ جلاله.

(٤) منزلتها في الطاعات الإلهية منزلة الغرة من ناصية الفرس، أشار به إلى شرفها وعظمتها.

وكـان يـوم الْقِيَامَـةِ مـع قَـارُونَ وَفِرْعَـوْنَ وَهَامَـانَ وأبـي بـن خَلَفٍ﴾.رواه أحمد وابن حبان والطبراني وغيرهم[1].

"وقد فرضها الله تعالى على هذه الأمة" بقوله: ﴿فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ[2] إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا ١٠٣﴾[3] أي: مكتوباً مفروضاً في وقته، فـدل ذلك على فرضيتها.

عن أَنَسِ بن مَالِـكٍ رضي الله عنه قـال: (فُرِضَـتْ علـى النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِـهِ الصَّـلَوَاتُ خَمْسِـينَ، ثُـمَّ نُقِصَتْ حتى جُعِلَتْ خَمْسًا، ثُمَّ نُودِيَ يا محمد إنه لا

---

(١) ((مسند أحمد)): (٢/١٦٩)، رقم: ٦٥٧٦، ((صحيح ابن حبان)): (٤/٣٢٩)، رقم: ١٤٦٧، ((شعب الإيمان)): (٣/٤٦)، رقم: ٢٨٢٣، ((سنن الدارمي)): كتاب السير . باب في المحافظة على الصلاة، (٢/٣٩٠)، رقم: ٢٧٢١، ((مسند عبد بن حميد)): لأبي محمد عبد بن حميد بن نصر: (ت٢٤٩هـ)، (١/١٣٩)، رقم: ٣٥٣، قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد))، (١/٢٩٢): رواه أحمد والطبراني في "الكبير والأوسط" ورجال أحمد ثقات.

(٢) أقيموا، أمرٌ، وهو للوجوب، فيفيد فرضيتها.

(٣) سورة النساء.

يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، وَإِنَّ لك بِهَذِهِ الْخَمْسِ خَمْسِينَ). رواه الخمسة إلا أبا داود[1].

وقال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ ﴿١١٤﴾ ﴾[2] أي: الصلوات المفروضة؛ "فالطرف الأول" الصبح، "والطرف الثاني" الظهر والعصر، "والزلف من الليل" المغرب والعشاء[3]، ويتناول ذلك قيام الليل، "فإنها مما تُزلِف العبدَ وتقربه إلى الله تعالى"[4].

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الصلاة . باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء؟، رقم: ٣٤٩، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان . باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات، وفرض الصلوات، رقم: ٤٠٩، ((سنن النسائي)): كتاب الصلاة . باب فرض الصلاة وذكر اختلاف الناقلين، رقم: ٤٤٩، ((سنن الترمذي)): كتاب الصلاة .كم فرض الله على عباده من الصلوات؟، رقم: ٢١٣.

(٢) سورة هود.

(٣) ((التسهيل لعلوم التنزيل)): لمحمد بن أحمد بن محمد الغرناطي الكلبي: (ت٧٤١هـ)، (١١٣/٢).

(٤) ((تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)): (ص٣٩١).

ـ وقال تبارك وتعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [(١)]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إنَّ الآية جامعة للصلوات الخمس ومواقيتها؛ ﴿تُمْسُونَ﴾ صلاة المغرب والعشاء، ﴿تُصْبِحُونَ﴾ صلاة الفجر، ﴿وَعَشِيًّا﴾ صلاة العصر، ﴿تُظْهِرُونَ﴾ صلاة الظهر[(٢)].

فالمعنى: فصلوا لله في هذه الأوقات.

وقال أكمل الرسل ﷺ: «خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ الله تَعَالَى؛ من أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلاّهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ، كان له على اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ له[(٣)]، وَمَنْ لم يَفْعَلْ فَلَيْسَ له على اللَّهِ عَهْدٌ إن

---

(١) سورة الروم.

(٢) ((تفسير البيضاوي)): لأبي الخير ناصر الدين، عبد اللّه بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشافعي: (ت٦٨٥هـ)، (٤/٣٣١).

(٣) أي كان له عند الله وعد بالغفران.

شَاءَ غَفَرَ له، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ﴾. رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه وأحمد[1].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ، وكرم الله وجهه: (صلُّوا بالنَّاسِ الظُّهرَ حتّى تَفيءَ الشَّمسُ من مَرْبَضِ الْعَنْزِ[2]، وَصَلُّوا بهم العَصْرَ والشَّمْسُ بيضاءُ حيَّةٌ في عِضْوٍ من النَّهارِ حين يُسَارُ فيها فرسخان، وَصَلُّوا بهم المَغْرِبَ حين يُفطِرُ الصَّائِمُ وَيَدْفَعُ الحَاجُّ[3]، وَصَلُّوا بِهِمُ العِشَاءَ حين يَتَوَارَى الشَّفَقُ إلى ثُلُثِ اللَّيلِ، وَصَلُّوا بِهِمُ

---

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة . باب في المحافظة على وقت الصلوات، رقم: ٤٢٥، ((سنن النسائي)): كتاب الصلاة . باب المحافظة على الصلوات الخمس، رقم: ٤٦١، ((سنن ابن ماجه)): رقم: ١٤٠١، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح. ينظر: ((المسند)): رقم: ٢٢٥٩٢، و ٢٢٦٠٣، و٢٢٦٥١.

(٢) تفيء: أي تصل في ميلها جهة الغرب إلى أن يكون لها فيء، أي ظل من حائط المربض على قدر طوله، وذلك حيث يكون ظل كل شيء مثله.

(٣) يدفع الحاج: أي يفيض من عرفات؛ أي عند غروب الشمس.

الغداةَ[1] والرَّجُلُ يَعرِفُ وَجْهَ صاحِبِهِ، وَصَلُّوا بهم صلاة أضعفِهِمْ ولا تكونوا فَتَّانِينَ)[2].

وهي: أشرفُ العباداتِ بعد التوحيدِ؛ كما في حديث أبي سعيد: ﴿إن الله ﷻ، لا يفترض شيئاً أفضل من التوحيدِ والصلاة، ولو كان شيء أفضل منه لافترضه على ملائكته: منهم راكع ومنهم ساجد﴾[3]، لذا سأل إبراهيم ـ عليه السلام، ربه أن يجعله وذرّيّته مُقيمي الصلاة حيث قال: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۝٤٠﴾[4].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ ۝٣﴾[5].

---

(١) الغداة: أي صلاة الفجر.

(٢) ((نهج البلاغة)): وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا علي ـ عليه السلام والرضوان: (٨٢/٣).

(٣) ((الفردوس بمأثور الخطاب)): لأبي شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه الديلمي الهمذاني الملقب إليكا: (ت٥٠٩هـ)، (١٦٥/١)، رقم: ٦١٠.

(٤) سورة إبراهيم.

(٥) سورة البقرة.

﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾، حقيقة الإيمان: هو التصديق التام بما أخبرت به الرسل، المتضمن لانقياد الجوارح، وليس الشأن في الإيمان بالأشياء المشاهدة بالحس، فإنه لا يتميز به المسلم من الكافر، إنما الشأن في الإيمان بالغيب، الذي لم نره ولم نُشاهده، وإنما نؤمن به لخبر الله وخبر رسوله، فهذا الإيمان الذي يُميز به المسلم من الكافر، لأنه تصديق مجرد لله ورسله، فالمؤمن يؤمن بكل ما أخبر الله به، أو أخبر به رسوله، سواء شاهده أو لم يشاهده، وسواء فهمه وعقله أو لم يهتدِ إليه عقله وفهمه، بخلاف الزنادقة المكذبين للأمور الغيبية؛ لأن عقولهم القاصرة المقصرة لم تهتدِ إليها فكذبوا بما لم يحيطوا بعلمه، ففسدت عقولهم، ومرجت أحلامهم، وزكت عقول المؤمنين المصدقين المهتدين بهدى الله.

ويدخل في الإيمان بالغيب، الإيمـان بجميـع مـا أخبر الله به من الغيوب الماضية والمستقبلية، وأحوال الآخرة، وحقائق أوصاف الله وكيفيتها، وما أخبرت به الرسل من ذلك، فيؤمنون بصفات الله ووجودها، ويتيقنونها وإن لم يفهموا كيفيتها.

ـ ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾، ولم يقل: يفعلون الصـلاة، أو يأتون بالصلاة، لأنـه لا يكفـي فيهـا مجـرد الإتيـان بصورتها الظاهرة، فإقامة الصـلاة، إقامتهـا ظـاهراً بإتمام أركانها وواجباتها وشروطها، وإقامتها باطنـاً بإقامة روحها، وهو حضور القلب فيها، وتـدبر مـا يقوله ويفعله منها، فهذه الصلاة هي التي قـال الله فيها: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ (٤٥)﴾[(١)]، وهي التي يترتب عليها الثواب، فلا ثواب للإنسان

(١) سورة العنكبوت.

من صلاته، إلا ما عقل منهـا، ويـدخل في الصـلاة فرائضها ونوافلها[1].

﴿تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ والفحشاء: كل ما استعظم واستفحش من المعاصي التي تشتهيها النفوس.

والمنكر: كل معصية تنكرها العقول والفطر.

ووجه كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، أن العبـد المقـيم لهـا، المـتمم لأركانهـا وشـروطها وخشوعها؛ يستنير قلبه، ويتطهر فؤاده، ويزداد إيمانه، وتقوى رغبته في الخير، وتقـل أو تُعـدم رغبتـه في الشر، فبالضرورة مداومتها والمحافظة عليها على هذا الوجه، تنهى عن الفحشاء والمنكر، فهذا من أعظم مقاصدها وثمراتها. فتأمل.

---

(١) ينظر: ((تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)): (ص٢٦، ٢٧).

ـ وثَمَّ في الصلاة مقصود أعظم من هذا وأكبر، وهو ما اشتملت عليه من ذكر الله، بالقلب واللسان والبدن، فإن الله تعالى إنما خلق الخلق لعبادته، وأفضل عبادة تقع منهم الصلاة، وفيها من عبوديات الجوارح كلها، ما ليس في غيرها، ولهذا قال: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾.[1]

قال "صاحب المواهب": اعلم أن بالصلاة يحصل تحقيق العبودية، وأداء حق الربوبية، وسائر العبادات وسائل إلى تحقيق سر الصلاة، وقد جمع الله تعالى للمصلين في كل ركعة ما فرق على أهل السموات، فللّه ملائكة في الركوع منذ خلقهم الله تعالى لا يرفعون من الركوع إلى يوم القيامة، وهكذا السجود والقيام والقعود، واجتمع فيها أيضاً من

(١) ((تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)): (ص٦٠٢ ، ٦٠٣).

العبـادات مـا لم يجتمـع في غيرهـا منهـا الطهـارة، والصمت، واستقبال القبلة، والاستفتاح بـالتكبير، والقراءة، والقيام، والركوع، والسجود، والتسبيح في الركوع، والدعاء في السجود إلى غير ذلـك، فهـي مجموع عبادات عديـلة؛ لأن الـذكر بمجـرده عبـادة، والقراءة بمجردها عبادة، وكذا كل فرد فرد، وقد أمر الله تعالى نبيه بالصلاة في قولـه: ﴿ ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ﴿٤٥﴾ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴿١٣٢﴾ ﴾[2]، وفي ذلك إشارة إلى أن في الصلاة تكليفاً للنفوس شـاقاً عليهـا، لأنهـا تأتي في أوقات ملاذ العبـاد وأشـغالهم، فيطـالبهم بالخروج عن ذلك كله إلى القيام بين يديه، والفراغ

(١) سورة العنكبوت.

(٢) سورة طه.

عما سوى الله تعالى؛ فلذلك قال تعالى: ﴿وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾، ومما يدل على أن في القيام بالصلاة تكاليف العبودية، وأن القيام بها على خلاف ما تقتضيه البشرية؛ قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ ۝٤٥﴾[1]،فجعل الصبر والصلاة مقترنين إشارة إلى أنه يحتاج في الصلاة إلى الصبر: صبر ملازمة أوقاتها، وصبر على القيام بمسنوناتها وواجباتها، وصبر يمنع القلوب فيها عن غفلاتها، ولذلك قال تعالى بعد ذلك: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ فأفرد الصلاة بالذكر، ولم يفرد الصبر إذ لو كان كذلك لقال وإنه لكبير؛ فذلك يدل على ما قلنا أو لأن الصبر والصلاة مقترنان متلازمان فكان

---

(١) سورة البقرة.

أحدهما هو عين الآخر؛ كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ﴿٦٢﴾﴾ [1] اهـ [2].

عن أنس بن مالك ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أول ما يحاسب به العبد صلاته، فإن صلحت صلاته صلح سائر عمله، وإن فسدت صلاته فسد سائر عمله»، رواه الضياء المقدسي [3].

وروى أصحاب السنن، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ [4]، فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَد أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَد خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنْ انْتَقَصَ مِنْ

---

(١) سورة التوبة.

(٢) ((المواهب اللدنية بالمنح المحمدية)): للقسطلاني: (٢/٢١٣ و ٢١٤).

(٣) ((الأحاديث المختارة)): لأبي عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمد الحنبلي المقدسي:- (ت ٦٤٣هـ)، (٧/١٤٥)، قال عبد الملك بن عبد الله بن دهيش: إسناده حسن لشواهده.

(٤) لا يعارضه حديث: ((أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء))، فإن هذا في حقوق الخلق مع بعضهم، وما هنا في حقوق الله تعالى، ولم يرد ما يفيد تقديم أحدهما. ويمكن أن يكون قوله في الحديث الصحيح: ((أول ما يقضى))، ولفظ حديث الباب: ((أول ما يحاسب))، فيمكن أن يكون المحاسبة أولاً في الصلاة، ويكون القضاء أولا في الدماء.

فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّبُّ ﷻ: انْظُرُوا، هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِن الْفَرِيضَةِ، ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِهِ عَلَى ذَلِكَ﴾. رواه أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وأحمد[1].

وإن مما يُتم النقص في فرض الصلاة، بكماله وقبوله ـ بفضل الله ورحمته، هي السنن الراتبة لها وغير الراتبة؛ وها هي التالية ذكراً:-

قال رسول الله ﷺ: ﴿مَنْ ثَابَرَ عَلَى ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً مِن السُّنَّةِ، بَنَى اللَّهُ لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ: أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ

---

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـ باب قول النبي ﷺ: "كل صلاة لا يتمها صاحبها تتم من تطوعه"، رقم: ٨٦٤، ((سنن الترمذي)): كتاب الصلاة ـ باب ما جاء أن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة، رقم: ٤١٣، وقال: حسن غريب، ((سنن النسائي)): كتاب الصلاة ـ باب المحاسبة على الصلاة، رقم: ٤٦٦، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في أول ما يحاسب به العبد الصلاة، رقم: ١٤٢٦، ((مسند أحمد)): (٢٢٧/٩)، رقم: ٩٤٦٢.

بَعْدَ الْعِشَاءِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الْفَجْرِ﴾. رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه[1].

وعن ابن عمر قال:(صليتُ مع رسولِ الله ﷺ: رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ،وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا). متفق عليه[2].

وعن أُمِّ حَبِيبَة زَوْج النَّبِيِّ ﷺ، تَقُولُ: سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يقول: ﴿من حَافظَ على أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب الصلاة . باب ما جاء فيمن صلى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة، رقم: ٤١٤، ((سنن النسائي)): كتاب قيام الليل وتطوع النهار . باب ثواب من صلى في اليوم والليلة ثنتي عشرة ركعة سوى المكتوبة، وذكر اختلاف الناقلين فيه لخبر أم حبيبة في ذلك، والاختلاف على عطاء، رقم: ١٧٩٥، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها . باب ما جاء في ثنتي عشرة ركعة من السنة، رقم: ١١٤٠، وهو حديث صحيح.

والسنن التابعة للفرائض، تسمى تطوعاً ونافلةً وسنةً ومندوباً ومستحباً وهو ما رجح الشرع فعله ورغب فيه، ولم يعاقب على تركه، وهو قسمان مؤكد وهو ما واظب عليه النبي ﷺ، وغير مؤكد، وهو ما تركه أحياناً، وحكمة الرواتب: تكميل ما نقص من الفرائض إن حصل، وإلا فزيادة الثواب والقرب من الله تعالى. انظر ((التاج الجامع للأصول)):– (٢٠٨/١).

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الجمعة . باب الصلاة بعد الجمعة وقبلها، رقم: ٩٣٧، ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، وبيان عددهن، رقم: ١٦٩٥.

قبل الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرَّمَهُ الله على النَّارِ﴾. رواه أبو داود والترمذي[(١)].

وعن عَلِيٍّ ﷺ، قال: (كان النَّبِيُّ ﷺ يُصَلِّي قبل الْعَصْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ بِالتَّسْلِيمِ على الْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ من الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ). رواه الترمذي[(٢)].

وعن ابن عُمَرَ ﷺ، قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: ﴿رَحِمَ الله امْرَأً صلى قبل الْعَصْرِ أَرْبَعًا﴾. رواه أبو داود والترمذي[(٣)]؛ فلنحظَ برحمة الله وجنته، بدعائه ﷺ.

---

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة . باب الأربع قبل الظهر وبعدها، رقم: ١٢٦٩، ((سنن الترمذي)): كتاب الصلاة، رقم: ٤٢٨، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب الصلاة . باب ما جاء في الأربع قبل العصر، رقم: ٤٢٩، وقال: وفي الْبَاب: عن ابن عُمَرَ، وَعَبْدِ اللَّهِ بن عَمْرٍو. وقال: حَدِيثُ عَلِيٍّ حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(٣) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة . باب الصلاة قبل العصر، رقم: ١٢٧١، ((سنن الترمذي)): كتاب الصلاة . باب ما جاء في الأربع قبل العصر، رقم: ٤٣٠، وقال: هذا حديث غريب حسن.

وقال المباركفوري في ((تحفة الأحوذي))، (٢/٥١٨، ٥١٩): قوله: (هذا حديث حسن غريب) كذا في النسخ الموجودة؛ بتقديم لفظ "حسن" على لفظ "غريب". وقال العراقي: جرت عادة المصنف أن يقدم الوصف بالحسن على الغرابة، وقدم هنا غريب على حسن؛=

وعن عَلِيٍّ ﷺ، وكرم الله وجهه: (أَنَّ الـنَّبِيَّ ﷺ كان يُصَلِّي قبل الْعَصْرِ رَكْعَتَيْنِ). رواه أبو داود [1].

وعن انس ﷺ، قال:(كُنَّـا نُصَـلِّي علـى عَهْـدِ رسول الله ﷺ، رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ غُـرُوبِ الشَّـمْسِ قبـل الْمَغْرِبِ، فقيل: أَكَانَ رسول اللَّهِ ﷺ، صَلاَّهُما؟ قال: كان يَرَانَـا نُصَـلِّيهِمَا فَلَـم يَأْمُرْنَـا ولم يَنْهَنـا). رواه مسلم [2].

=والظاهر أنه يقدم الوصف الغالب على الحديث؛ فإن غلب عليه الحسن ـ قدمه، وإن غلبت عليه الغرابة ـ قدمها. وهذا الحديث بهذا اللفظ لا يعرف إلا من هذا الوجه، وانتفت فيه وجوه المتابعات، والشواهد؛ فغلب عليه وصف الغرابة. انتهى كذا في ((قوت المغتذي)). فيظهر من كلام العراقي هذا: أنه كان في النسخة الموجودة عنده هذا "غريب حسن" بتقديم لفظ "غريب" على لفظ "حسن" وحديث بن عمر هذا: قال الحافظ في "التلخيص" بعد ذكره: رواه أبو داود، والترمذي وحسنه، وابن حبان وصححه؛ وكذا شيخه بن خزيمة من حديث ابن عمر، وفيه محمد بن مهران، وفيه مقال؛ لكن وثقه ابن حبان. انتهى.

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـ باب الصلاة قبل العصر، رقم: ١٢٧٢.

(٢) ((صحيح مسلم)): فضائل القرآن وما يتعلق به ـ باب استحباب ركعتين قبل صلاة المغرب، رقم: ١٩٣٥.

وعـن ابـن عبـاس ﷺ، قـال: (كـان الـنَّبيُّ ﷺ، يُصَـلِّي بَعْـدَ الْمَغْـرِبِ رَكْعَتَـيْنِ). رواه البخـاري والنسائي[1].

وعن عمار بن ياسر رضي الله عنهما أنّ النَّبيَّ ﷺ، صلى بعد المغرب ست ركعات. وقال: ﴿مَنْ صَلَّى بَعْدَ الْمَغْرِبِ سِتَّ رَكَعَاتٍ غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ﴾. رواه الطبراني[2].

وعن حُذَيْفَةَ ﷺ قـال: (صَـلَّيْتُ مـع الـنَّبيِّ ﷺ الْمَغْرِبَ، فلما قَضَى الصَّلاَةَ قام يصلي، فلـم يَـزَلْ يصلي حتى صلّى الْعِشَاءَ ثُمَّ خَرَجَ). رواه الترمذي والنسائي وابن خزيمة وأحمد[3].

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الجمعة ـ باب الصلاة بعد الجمعة وقبلها، رقم: ٩٣٧، ((سنن النسائي)): كتاب الإمامة ـ باب الصلاة بعد الظهر، رقم: ٨٧٣.

(٢) ((المعجم الأوسط)): (١٩٢/٧)، رقم: ٧٢٤٦، ((المعجم الصغير)): (١٢٧/٢)، رقم: ٩٠٠.

(٣) قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.. والحديث رواه الترمذي (٥/ ٦٦٠)، رقم: ٣٧٨١، في المناقب، وقال: حسن غريب. والنسائي، رقم: ١٩٣و ٢٦٠٠ في فضائل=

وعن عُبَيْدٍ ﷺ مولى النَّبيِّ ﷺ قال: (سُئِلَ؛ أَكَانَ رسول اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُ بِصَلاَةٍ بَعْدَ الْمَكْتُوبَةِ ـ أو سِوَى الْمَكْتُوبَةِ ـ قال: نعم؛ بين الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ). رواه الإمام أحمد[1].

وعن أَنَسٍ ﷺ أَنَّهُ كان يُصَلِّي ما بين الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ وَيَقُولُ: "هِيَ نَاشِئَةُ اللَّيْلِ" رواه ابن أبي شيبة[2]. وعنه في تفسير قوله تعالى: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴿١٦﴾ ﴾[3]، قال: يصلون ما بين

=الصحابة، وابن خزيمة: (٢٠٧/٢)، رقم: ١١٩٤. ينظر: ((المسند)): (٥٩١/١٦، ٥٩٢)، رقم: ٢٣٢٢٢ و ٢٣٣٢٨.

(١) قال حمزة أحمد الزين: إسناده ضعيف، لجهالة الراوي عن عبيد، وأورده الهيثمي: (٢٢٩/٢)، وقال: مداره على رجل لم يسمه. ينظر: ((المسند)): (١٧/ ٦٦)، رقم: ٢٣٥٤٢.

(٢) ((مصنف ابن أبي شيبة)): لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي: (ت٢٣٥هـ)، (١٥/٢)، رقم: ٥٩٢٦.

(٣) سورة السجدة.

المغرب والعشاء[1]. وعنه أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[2]، أنه قال: "نزلت فيمن كان يصلي ما بين العشاء والمغرب"[3].

وعن محمد بن المنكدر مرسلاً أن النَّبيَّ ﷺ قال: ﴿مَنْ صَلَّى مَا بَيْنَ المَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ فَإِنَّهَا صَلاَةُ الأَوَّابِينَ﴾. رواه عبد الله بن المبارك[4].

وعن عبد اللَّهِ بن عُمَرَ رضي الله عنهما قال: (صَلَّيْتُ مع رسول اللَّهِ ﷺ، رَكْعَتَيْنِ قبل الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ

---

(١) نسبه محمد بن علي بن محمد الشوكاني: (ت١٢٥٥هـ)، في ((نيل الأوطار)): (٦٧/٣) لابن مردويه في "تفسيره"، ونقل أن العراقي قال عنه: إسناده جيد.

(٢) سورة الذاريات.

(٣) صححه الحافظ العراقي كما في ((نيل الأوطار)): (٦٧/٣).

(٤) ((الزهد)) لعبد الله بن المبارك المرزَوي: (ت١٨١هـ)، (ص٤٤٥)، قال الشوكاني في ((نيل الأوطار)): (٦٧/٣): "وهذا وإن كان مرسلاً لا يعارضه ما في الصحيح من قوله ﷺ: ((صلاة الأوابين إذا رمضت الفصال))؛ فإنه لا مانع أن يكون كل من الصلاتين صلاة الأوابين". اهـ.

الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْعِشَاءِ). متفق عليه[(١)].

وعن عَائِشَةَ رضي الله عنها عن النَّبيِّ ﷺ قال: «رَكْعَتَا الْفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيها[(٢)]» رواه مسلم[(٣)].

وعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَرَأَ في رَكْعَتَيْ الْفَجْرِ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾. و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. رواه مسلم والنسائي وأبو داود وابن ماجة[(٤)]. وفي أخرى في الصحيح: (كَانَ النَّبِيُّ ﷺ

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب التهجد . باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، رقم: ١١٦٥، ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب فضل السنن الراتبة قبل الفرائض وبعدهن، وبيان عددهن، رقم: ١٦٩٥.

(٢) أي: سنة الفجر قبل الفرض خير من الدنيا، فنعيمهما في الجنة خير من نعيم الدنيا لو ملكها الإنسان، أو ثوابها أكثر من ثواب الدنيا لو ملكها وتصدق بها، وإذا كان هذا في سنة الفجر، فما بالك بفرضه! فتأمل.

(٣) ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما والمحافظة عليهما، وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما، رقم: ١٦٨٥.

(٤) ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما والمحافظة عليهما، وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما، رقم:=

يُخَفِّفُ الرَّكْعَتَيْنِ اللَّتَيْنِ قَبْلَ صَلاةِ الصُّبْحِ)[1]، لينشط لما بعدهما، والمبادرة إلى حل عقد الشيطان؛ لقوله ﷺ: «فَحُلُّوا عُقَدَ الشَّيْطَانُ وَلَوْ بِرَكْعَتَيْنِ»[2].

وكان ﷺ يطيل القراءة في ركعتي فرض الفجر على العموم[3].

=١٦٨٧، ((سنن النسائي)): كتاب الافتتاح . باب القراءة في ركعتي الفجر بـ ((قل يا أيها الكافرون)) و ((قل هو الله أحد))، رقم: ١٢٥٦، ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة . باب في تخفيفها (أي ركعتي الفجر) رقم: ١٢٥٦، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها . باب ما جاء فِيمَا يقرأ في الركعتين قبل الفجر، رقم: ١١٤٨.

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب التهجد . باب ما يقرأ في ركعتي الفجر، رقم: ١١٧١، ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب استحباب ركعتي سنة الفجر، والحث عليهما وتخفيفهما، والمحافظة عليهما، وبيان ما يستحب أن يقرأ فيهما، رقم: ١٦٨١.

(٢) ((صحيح ابن خزيمة)): لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري:- (ت٣١١هـ)، (١٧٥/٢)، رقم: ١١٣٢.

(٣) أنه ﷺ كان يطيل في الصبح أكثر من العصرين، ففهم أنه كان يقرأ في الصلوات كمقتضى الحال، ولكن كان التطويل في الصبح أكثر لانتظار النائم فإنه وقت نوم، ويليه الظهر، فالعشاء، فالعصر، فتندب قراءة طوال المفصلة في الصبح والظهر بتطويل الصبح قليلاً، وقراءة أوصال المفصلة في العشاء والعصر، وقصاره في المغرب.

وعن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللّـهِ ﷺ: ﴿إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ رَكْعَتَيْ الْفَجْرِ فَلْيَضْطَجِعْ[1] على يَمِينِهِ﴾.

رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه[2].

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قال رسول اللّـهِ ﷺ ﴿إذا صلّى أحدكم الْجُمُعَةَ فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبَعاً﴾. رواه مسلم والنسائي وأبو داود وابن ماجه وأحمد[3].

---

(١) فَلْيَضْطَجِعْ: وهو للقبلة، وليذكر الموت وما بعده، ثم يعتدل، ويتعوذ بالله من الشيطان الرجيم سبعاً، ويتلو البسملة تسع عشرة مرة، ثم يقول: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم استغفر الله مائة مرة، ورد في حديث: أن من واظب عليها بين سنة الصبح وفرضه؛ أتته الدنيا وهي راغمة. فتنبه جداً.

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة . باب الاضطجاع بعدها، رقم: ١٢٦١، ((سنن الترمذي)): كتاب الصلاة . باب ما جاء في الاضطجاع بعد ركعتي الفجر، رقم: ٤٢٠، وقال: حَدِيثُ أبي هُرَيْرَةَ حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ من هذا الْوَجْهِ، ((سنن ابن ماجه)):- كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها . باب ما جاء في الضجعة بعد الوتر، وبعد ركعتي الفجر، رقم: ١١٩٩.

(٣) ((صحيح مسلم)): كتاب الجمعة . باب الصلاة بعد الجمعة، رقم: ٢٠٣٣، ((سنن النسائي)): كتاب الجمعة . باب عدد الصلاة بعد الجمعة في المسجد، رقم: ١٤٢٧، ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة . باب الصلاة بعد الجمعة، رقم: ١١٣١، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها . باب ما جاء في الصلاة بعد الجمعة، رقم:- ١١٣٣، ((مسند أحمد)): (٩/٤٨٦)، رقم: ١٠٤١٢، و ١٠٤٣٣.

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ (أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كان يُصَلِّي قبل الْجُمُعَةِ رَكْعَتَيْنِ وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ)[1].

وعَنِ ابن عَبَّاسٍ ﷺ قال: ﴿كان النَّبيُّ ﷺ يَرْكَعُ قبل الْجُمُعَةِ أَرْبَعًا، وَبَعْدَهَا أَرْبَعًا لا يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ﴾. رواه ابن ماجه والطبراني[2].

وعن عبد اللَّهِ بن مُغَفَّلٍ الْمُزَنِيِّ ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: ﴿بين كل أَذَانَيْنِ صَلاةٌ﴾ قَالَهَا ثَلاثًا قال في الثَّالِثَةِ: ﴿لِمَنْ شَاءَ﴾. متفق عليه[3].

"أي عزيـزي" قلنـا: يُسـأل العبـد أولاً عـن الصلاة: دلالةٌ على أنها المدرجُ الثاني بعد التوحيد، وقد شرفها الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ

(١) قال ابن حجر في ((فتح الباري))، (٢/٤٢٦): رواه البزار.

(٢) ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في الصلاة قبل الجمعة، رقم: ١١٢٩، ((المعجم الكبير)): (١٢/١٢٩)، رقم: ١٢٧٦٤.

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب الأذان ـ باب كم بين الأذان والإقامة ومن ينتظر الإقامة، رقم: ٢٦٤، ((صحيح مسلم)): كتاب فضائل القرآن ـ باب بين كل أذانين صلاة، رقم: ١٩٣٧.

﴿إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾[1]. والصلاة هي: العبادةُ الخالصةُ لوجهِ الله تعالى، وشرفها بنسبتها إليه، بقوله جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾، ولقوله تعالى: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ ٤٥﴾[2]، أي: ولذكر الله لعبده الذي يذكره في الصلاة، وخارج الصلاة أكبر من ذكر العبد لربّه، فإن الله تعالى قال: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ ١٥٢﴾[3]، فأول ما يدخل تحت عموم الآية، ذكر العبد لربّه في الصلاة: من تلاوة القرآن الكريم، والتسبيحات، والتكبيرات، والتحميدات، والدعوات، والذل والخضوع من قيامٍ، وركوعٍ، وسجودٍ للربِّ المعبود ـ جلَّ وعلا، فإنَّ هذا الذكر من العبد مقابل ذكر الله تعالى للعبد، وذكر الله

---

(١) سورة طه.

(٢) سورة العنكبوت.

(٣) سورة البقرة.

لعباده أكبر وأعظم من ذكر العبد لربّه، وذكر الله عليك تجلياً منه ـ جلَّ وعلا ـ ومعارج قرب؛ كما قال ﷺ: ﴿الصلاة معراج المؤمن﴾[1]، قال العلاّمة المناوي: وهي معراج المؤمن، ومقربته إلى ذاته الأقدس، فالزموها، وأقيموا حدودها سيما مقدمتها التي هي شطر الإيمان فحافظوا عليها؛ فإنه لا يحافظ عليها إلا مؤمن راسخ القدم في التقوى؛ كما قال ﷺ: ﴿اسْتَقِيمُوا وَنِعِمَّا إن اسْتَقَمْتُمْ، وَخَيْرُ أَعْمَالِكُمْ الصَّلاةُ، ولن يُحَافِظ على الْوُضُوءِ إلا مُؤْمِنٌ﴾[2]، قوله: ﴿اسْتَقِيمُوا وَنِعِمَّا إن اسْتَقَمْتُمْ﴾، فإن شأن الاستقامة

---

(١) قال الإمام الرازي ـ رحمه الله: فهذه المراتب السبع المذكورة في آخر سورة البقرة ذكرها محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ في عالم الروحانيات عند صعوده إلى المعراج فلما نزل من المعراج فاض أثر المصدر على المظهر فوقع التعبير عنها بسورة الفاتحة فمن قرأها في صلاته صعدت هذه الأنوار من المظهر إلى المصدر كما نزلت هذه الأنوار في عهد محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ من المصدر إلى المظهر فلهذا السبب قال ـ عليه السلام: ((الصلاة معراج المؤمن))، ((التفسير الكبير)): (١/٢١٤).

(٢) ((سنن ابن ماجه)): كتاب الطهارة وسننها ـ باب المحافظة على الوضوء، رقم: ٢٧٩.

عظيم، وخطبها جسيم، ومن ثم قال الحبر[1]: ما نزل على المصطفى ﷺ آية أشق من هذه الآية ولا أعظم وهـــي: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۝١١٢﴾[2]، وفي خـــبرٍ رواه "ابن أبي حاتم": أنه لم يُر بعد نزولها ضاحكاً أبداً؛ وفي خبر "الترمذي" ما يفيد أن أعظم مـا يراعـى استقامة بعد القلـب مـن الجـوارح اللسـان فإنـه الترجمان؛ قال "الحرانـي": وقـد جمـع لمـن اسـتقام الأمداح المبهمة لأن "نعم" كلمة مبالغة تجمع المدح

(١) هو: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ أَبُو الْعَبَّاسِ الْقُرَشِيُّ الْهَاشِمِيُّ الْمَكِّيُّ أَحَدُ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ فِي الْعِلْمِ سُمِّيَ بِالْحَبْرِ وَالْبَحْرِ، لِسَعَةِ عِلْمِهِ مَاتَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَسِتِّينَ. انظر: ((إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام)): لتقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف "بابن دقيق العيد": (ت٧٠٢هـ)، (٤٦/١). قال محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي: (ت٦٦٦هـ) في ((مختار الصحاح))، (ص١٢٠): والحبر بالكسر واحدُ (أحْبار) اليَهُود والكسر أفصح لأنه يُجْمع على أفعال دون فُعُول. وقال الفَرّاء: هو بالكسر. وقال أبو عُبَيد: هو بالفتح. وقال الأصمعيّ: لا أدري أهو بالكسر أو بالفتح. وكَعْب الحِبْر بالكسر منسوب إلى الحِبْر الذي يُكتب به لأنه كان صاحبَ كُتُب.

(٢) سورة هود.

كله، "وما" كلمة مبهمة تجمع الممدوح فتطابقا في الإبهام. قال "ابن الأثير": أصله "نعم ما"، فأدغم وشدد؛ ثم نبه على أن أعظم أركان الاستقامة الصلاة، بقوله: ﷺ: ﴿وَخَيْرُ أَعْمَالِكُمْ الصَّلاةُ ولن﴾وفي روايةٍ: ﴿ولا﴾، ﴿ولن يُحَافِظَ على الْوُضُوءِ﴾، أي: بإسباغه، وإدامته، واستيفاء سننه، وآدابه ﴿إلا مُؤْمِنٌ﴾: أي كامل الإيمان؛ وفيه بيان شرف الصلاة وكونها أشرف الطاعات، والمحافظة على الوضوء بمراقبة أوقاته وإدامته وإسباغه والاعتناء بآدابه[1].

ـ فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال لِبِلالٍ عِنْدَ صَلاةِ الْفَجْرِ: ﴿يا بِلالُ، حَدِّثْنِي بِأَرْجَى عَمَلٍ عَمِلْتَهُ في الإِسْلامِ، فَإِنِّي سمعت دَفَّ[2] نَعْلَيْكَ بين يَدَيَّ في

(١) أنظر: ((فيض القدير شرح الجامع الصغير)): (١/٦٤١، ٦٤٢).

(٢) الدَّفُّ: صوت النَّعل وحركته على الأرض، وفي لفظ مسلم: "خشف نعليك" بفتح الخاء وسكون الشين، وهو صوت المشي الخفيف.

الْجَنَّةِ﴾ قال: (ما عَمِلْتُ عَمَلاً أَرْجَى عِنْـدِي أَنِّـي لم أَتَطَهَّرْ طَهُورًا في سَاعَةَ مِن لَيْلٍ أو نَهَارٍ إلا صَلَّيْتُ بِذَلِكَ الطُّهُورِ ما كُتِبَ لي أَنْ أُصَلِّيَ).متفق عليه[1].

"والصلاةُ معارجٌ وتقربٌ إلى الله تعالى": فمن معارجِها: قوله تبارك وتعالى: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۝١٩﴾[2]

﴿وَٱسْجُدْ﴾ أي: صلِّ لله على وجه الخضوع والخشوع.

﴿وَٱقْتَرِب﴾ أي: إليه سبحانه، لتنال كمال القرب من المعبود ـ جلَّ وعلا؛ كما قال رسول الله ﷺ: ﴿أَقْرَبُ ما يَكُونُ الْعَبْدُ من رَبِّهِ وهو سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ﴾. رواه مسلم وأبو داود والنسائي وأحمد[3].

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب التهجد . باب فضل الطهور بالليل والنهار وفضل الصلاة بعد الوضوء بالليل والنهار، رقم: ١١٤٩، ((صحيح مسلم)): كتاب فضائل الصحابة . باب من فضائل بلال . رضي الله عنه، رقم: ٦٢٧٤.

(٢) سورة العلق.

(٣) ((صحيح مسلم)): كتاب الصلاة . باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم: ١٠٨٣، ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة . باب في الدعاء في الركوع والسجود، رقم: ٨٧٥، ((سنن=

﴿أقرب﴾ أي: "قبولاً ورضاً". فتنبه.

ومن معارجها: أنها ترفع الـدرجات إلى مقـام الوصول إلى الله تعالى: كما قـال ﷺ، لثوبـان ﷺ:- ﴿عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً، إلا رَفَعَكَ الله بها دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بها خَطِيئَةً﴾. رواه مسلم[1].

ومن معارجها: أنها كثيرة المناجات؛ كما قال ﷺ: ﴿الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ﴾. رواه الترمذي[2].

=النسائي)): كتاب التطبيق. باب أقرب ما يكون العبد من الله عزَّ وجل، رقم:- ١١٣٧، ((مسند أحمد))، رقم: ٩٤١٥.

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الصلاة. باب فضل السجود والحث عليه، رقم: ١٠٩٣.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات. باب منه، رقم: ٣٣٧١، وقال: هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ.

- "المخ": يطلق على الرأس، وعلى الود والدسم الذي في رأس الذبيحة وعظامها وهو أصفاها وأعظمها في التغذية، وعلى الخالص من كل شيء، وإنما كان الدعاء مخ العبادة لأن كل عابد لله ربما غلب قلبه إلا الداعي فإنه حاضر مع الله بقوله وظاهره وباطنه فهو في هذه الحال عبد الله بكل جوارحه وهذه أسعد أحوال الإنسان وأشرفها.

وفي روايةٍ: ﴿الدُّعَاءُ هو الْعِبَادَةُ﴾. رواه الترمـذي وأبو داود وابن ماجه[1].

وقال ﷺ: ﴿سَلُوا اللَّهَ من فَضْلِهِ، فإن اللَّهَ ﷻ يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ، وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ[2]﴾. رواه الترمذي[3].

وقـال ﷺ: ﴿من لـم يَسْأَلْ اللَّهَ يَغْضَبْ عليه[4]﴾. رواه الترمذي وأحمد[5].

---

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب تفسير القرآن . باب ومن سورة البقرة، رقم: ٢٩٦٩، وقال:– هذا حديث حسن صحيح، ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة . باب الدعاء، رقم:– ١٤٧٩، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الدعاء . باب فضل الدعاء، رقم: ٣٨٢٨.

(٢) من الله بتعجيل طلبه فهو حاضر مع الله كل لحظة لأخذ مطلوبه، ونفحات الله لا تنقطع دائما وأبدا بل ورد: أن له في كل نفس ستمائة ألف فرج قريب، اللهم أدركنا بفرج عظيم قريب يعمنا والمسلمين آمين، والحمد لله رب العالمين. انظر ((التاج الجامع للأصول)): (١١١/٥).

(٣) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات . باب في انتظار الفرج وغير ذلك، وقال: هَكَذَا رَوَى حَمَّادُ بن وَاقِدٍ هذا الحديث، وقد خُولِفَ في رِوَايَتِهِ. وَحَمَّادُ بن وَاقِدٍ هذا هو الصَّفَّارُ ليس بِالْحَافِظِ وهو عِنْدَنَا شَيْخٌ بَصْرِيٌّ وَرَوَى أبو نُعَيْمٍ هذا الحديث عن إِسْرَائِيلَ عن حَكِيمِ بن جُبَيْرٍ عن رَجُلٍ عن النبي ﷺ مرسلاً؛ وَحَدِيثُ أبي نُعَيْمٍ أَشْبَهُ أَنْ يَكُونَ أَصَحَّ.

(٤) لأنه نسيه تعالى وانصرف لغيره.

(٥) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات، رقم: ٣٣٧٣، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح. ينظر: ((المسند)): (٢٨٧/٩)، رقم: ٩٦٦٢.

ولله در القائل[1]:-

لا تسألن بُنَيَّ آدم حاجةً

وسل الذي أبوابه لا تحجبُ

اللهُ يغضبُ إن تركتَ سؤالَهُ

وبُنَيُّ آدمَ حينَ يسألُ يغضبُ.

والصلاة: كلّها دعاء، بل من عظيمها أنك تناجي ربك ﷻ بالفاتحة التي كلها دعاء عن الله تعالى؛ بل هي القرآن المجيد كله؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾[2]، وبما تضمنت من أسرار المناجاة وقبولها، لأنها دعاء منه وإليه ـ تبارك وتعالى. فتنبه جداً.

---

(١) قال أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي: (ت٣٨٨هـ)، في كتاب ((العزلة))، (ص٧٦): أنشدني الخزيمي فذكره.

(٢) سورة الحجر.

ومن عظيم معارجها: أنَّ الله ﷻ، يُقْبل بوجهه إلى المصلي: لقوله ﷺ: ﴿لا يَزَالُ الله مُقْبِلاً على الْعَبْدِ ما لم يَلْتَفِتْ، فإذا صَرَفَ وَجْهَهُ انْصَرَفَ عنه[1]﴾. رواه أبو داود والنسائي وابن خزيمة والحاكم وأحمد[2].

ومن معارجها: أنها أحب الأعمال إلى الله تعالى؛ فعَنْ عَبدِ اللهِ ابنِ مَسْعُودٍ قال: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَيُّ الْعَمَلِ أَحَبُّ إلى اللَّهِ؟ قال: ﴿الصَّلاةُ على وَقْتِهَا﴾ قال: ثُمَّ أَيُّ؟ قال: ﴿بِرُّ الْوَالِدَيْنِ﴾ قال: ثُمَّ أَيُّ؟ قال:

---

(١) أي: يقبل الله على العبد برحمته ورضوانه ما لم يلتفت، وإلا أعرض عنه وقل ثوابه، والالتفات بالوجه مكروه لتحويله عن القبلة ولمنافاته للخشوع، وعليه الإجماع: ((التاج الجامع للأصول)): (١/٢٠٤).

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة . باب الالتفات في الصلاة، رقم: ٩٠٩، ((سنن النسائي)): كتاب السهو . باب التشديد في الالتفات في الصلاة، رقم: ١١٩٥، ((صحيح ابن خزيمة)): (١/٢٤٤)، رقم: ٤٨٢، ((المستدرك)): (١/٣٦١)، وصححه ووافقه الذهبي، ينظر: ((المسند)): (١٥/ ٥٥١)، رقم: ٢١٤٠٠، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

﴿الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ﴾ قال: "حدثني بِهِنَّ، وَلَوْ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي". رواه الشيخان[1].

ومن معارجها: أنَّ الله تعالى يُباهي بالمصلّي:

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صلينا مع رسول الله ﷺ المغرب، فرجع ـ إلى بيته ـ من رجع، وعَقَّب ـ أي: في مصلاه "عَقِبَ الصلاة" ـ من عَقَّب. فجاء رسول الله ﷺ، مسرعاً حَفَزَهُ النفس ـ أي: "أتعبه من شدة سعيه" ﷺ فقال: ﴿أَبْشِرُوا: هَذَا رَبُّكُمْ قَدْ فَتَحَ بَاباً مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ يُبَاهِي بِكُمْ الْمَلائِكَةَ، يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي قَدْ قَضَوْا فَرِيضَةً، وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى﴾. رواه ابن ماجه وأحمد[2].

---

(1) ((صحيح البخاري)): كتاب مواقيت الصلاة . باب فضل الصلاة لوقتها، رقم: ٥٢٧، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان . بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال، رقم:– ٢٤٨و٢٤٩و٢٥٠.

(2) ((مسند احمد)): رقم: ٦٧٥٠، قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح، ((سنن ابن ماجه)):– كتاب المساجد والجماعات . باب لزوم المساجد وانتظار الصلاة، رقم: ٨٠١،=

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٢٠٠ ﴾ [(١)]، قال ابن كثير في "تفسيره": قال الحسن البصري أمروا أن يصبروا على دينهم الذي ارتضاه الله لهم وهو الإسلام، فلا يدعوه لسراء ولا لضراء ولا لشدة ولا لرخاء، حتى يموتوا مسلمين، وأن يصابروا الأعداء الذين يكتمون دينهم، وكذا قال غير واحد من علماء السلف.

وأما المرابطة فهي: المداومة في مكان العبادة والثبات، وقيل انتظار الصلاة بعد الصلاة؛ كما قال رسول الله ﷺ: «ألا أَدُلُّكُمْ على ما يَمْحُو الله بِهِ الْخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ» قالوا: بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ،

=قال البوصيري: هذا إسنادٌ رجاله ثقات، وقال الألباني: (صحيح) أنظر حديث، رقم: ٣٦ في "صحيح الجامع"، وقال أيضاً: وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم.

(١) سورة آل عمران.

قال: ﴿إِسْبَاغُ الْوُضُوءِ[1] على الْمَكَارِهِ[2]، وَكَثْرَةُ الْخُطَا[3] إلى الْمَسَاجِدِ[4]، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ؛ فَذَلِكُم الرِّبَاطُ[5]﴾. رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه[6].

عن ثَوْبَانَ ﷺ؛ قال: كان رسول اللَّهِ ﷺ، إذا انْصَرَفَ من صَلاتِهِ[7] اسْتَغْفَرَ ثَلاثًا. وقال: ﴿اللَّهمَّ أنتَ السَّلامُ وَمِنْكَ السَّلامُ[8]. تبَارَكْتَ ذَا الْجَلالِ

---

(١) أي: عمله كاملا بفروضه وسننه.

(٢) ولو في أوقات الشدة كالبرد والمرض.

(٣) بالضم جمع خطوة وهي ما بين القدمين، وبالفتح المرة من نقل القدم.

(٤) للجماعة ونحوها.

(٥) أصله الإقامة في الحد بيننا وبين الكفار لحفظ المسلمين، والمراد هنا أن هذه الأمور هي الرباط الكامل والجهاد الأكبر لمنعه نفسه من هواها. فتأمل.

(٦) ((صحيح مسلم)): كتاب الطهارة . باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره، رقم: ٥٨٦، ((سنن الترمذي)): كتاب الطهارة . باب ما جاء في إسباغ الوضوء، رقم: ٥١ و ٥٢، ((سنن النسائي)): كتاب الطهارة . باب الفضل في ذلك (أي إسباغ الوضوء)، رقم:– ١٤٣، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الطهارة وسننها . باب ما جاء في إسباغ الوضوء، رقم:– ٤٢٨.

(٧) بالتسليم منها.

(٨) أي الأمان، فأنت الذي تؤمن من تشاء من الخوف.

وَالإِكْـرَامِ». رواه مسـلم وأبـو داود والترمـذي والنسائي وابن ماجه[1].

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُـولَ اللَّـهِ ﷺ فَقَـالُوا: ذَهَـبَ أَهْـلُ الـدُّثُورِ[2] بِالدَّرَجَاتِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فقال: «وما ذَاكَ؟» قالوا: يُصَـلُّونَ كمـا نُصَـلِّي وَيَصُـومُونَ كمـا نَصُـومُ وَيَتَصَدَّقُونَ ولا نَتَصَدَّقُ وَيُعْتِقُونَ ولا نُعْتِقُ[3]؛ فقال رسـول اللَّـهِ ﷺ «أَفَلا أُعَلِّمُكُمْ شيئاً تُدْرِكُونَ بِهِ من سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ من بَعْدَكُمْ ولا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إلا من صَنَعَ مِثْلَ ما صَنَعْتُمْ؟» قـالوا: بَلَـى

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب المساجد ومواضع الصلاة . باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، رقم: ١٣٣٣، ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة . باب ما يقول إذا سلّم، رقم: ١٥١٣، ((سنن الترمذي)): كتاب الصلاة . باب ما يقول إذا سلّم من الصلاة، رقم: ٣٠٠، ((سنن النسائي)): كتاب السهو . باب الاستغفار بعد التسليم، رقم:– ١٣٣٨، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها . باب ما يقال بعد التسليم، رقم: ٩٢٨.

(٢) جمع دثر كشرط، وهو المال الكثير، أو الكثير من كل شيء.

(٣) فهم يعملون كأعمالنا، ويزيدون علينا بثمرات أموالهم من الصدقة والعتق ونحوهما.

يا رَسُولَ اللَّهِ قال: ﴿تُسَبِّحُونَ وَتُكَبِّرُونَ وَتَحْمَدُونَ دُبُرَ كل صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ مَرَّةً﴾. متفق عليه[1].

- وفي روايةٍ: ﴿من سَبَّحَ اللَّهَ في دُبُرِ كل صَلاةٍ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ فَتْلِكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ وقال تَمَامَ الْمِائَةِ: لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ له له الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وهو على كل شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كانت مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ[2]﴾. رواه مسلم[3].

وفي البخاري عن ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: (أَنَّ رَفْعَ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ، حين يَنْصَرِفُ الناس من الْمَكْتُوبَةِ،

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الأذان - باب الذكر بعد الصلاة، رقم: ٨٤٣، وفي كتاب الدعوات - باب الدعاء بعد الصلاة، رقم: ٦٣٢٩، ((صحيح مسلم)): كتاب المساجد ومواضع الصلاة - باب استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، رقم: ١٣٤٦.

(٢) ومن هذا أخذ الصوفية ختم الصلاة المشهور، ولكن بدءوه بآية الكرسي وحق لهم ذلك، فإن فضلها عظيم كما سيأتي في فضائل القرآن ((إن آية الكرسي أعظم آية في القرآن)) وكذا ختم الصلاة الكبير فإنه كله من الآيات القرآنية ومن الأحاديث التي ستأتي إن شاء الله في كتاب الذكر. جزاهم الله عن الأمة والدين خيرا. انظر ((التاج الجامع للأصول)): (٢١٧/١).

(٣) ((صحيح مسلم)): كتاب المساجد ومواضع الصلاة - استحباب الذكر بعد الصلاة، وبيان صفته، رقم: ١٣٥١.

كان على عَهْدِ النَّبيِّ ﷺ وقال ابن عَبَّاسٍ: كنت أَعْلَمُ إذا انْصَرَفُوا بِذَلِكَ إذا سَمِعْتُهُ)[1].

قال ابن القيم في "زاد المعاد"[2]: وبلغني عن شيخنا أبي العباس ابن تيمية قدس الله روحه أنه قال: ما تركت آية الكرسي عقب كل صلاة. أي عملاً بحديث أبي أُمامة مرفوعا: ﴿من قرأ آية الكرسي دُبُرَ كلِّ صلاة مكتوبة، لم يَمنعه من دخول الجنة إلاَّ أن يموت﴾، فقد حمل الشيخ ابن تيمية لفظ: (دُبُرَ كلِّ صلاة) على معنى: عقب كل صلاة. فتأمل.

ومن معارجها: مرافقة الحبيب ﷺ في الجنّة؛ لما روى مسلم عن ربيعة بن كعب ﷺ، قال: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ،

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الأذان ـ باب الذكر بعد الصلاة، رقم: ٨٤١.

(٢) ((زاد المعاد في هدي خير العباد)): لشمس الدين أبي عبد الله ابن قيم الجوزيَّة: (ت٧٥١هـ)، (١/١٦١).

فَقَالَ لِي: «سَلْ» فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، فقال ﷺ: «أَوَ غَيْرَ ذَلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. فقال ﷺ:- «فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ[1]». رواه مسلم أبو داود والنسائي وأحمد[2].

وقال ﷺ: «أَرَأَيْتُمْ لو أَنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ، يَغْتَسِلُ منه كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هل يَبْقَى من دَرَنِهِ شَيْءٌ؟» قالوا: لا يَبْقَى من دَرَنِهِ شَيْءٌ، قال: «فَذَلِكَ مَثَلُ

---

(١) أي: في الدنيا، حتى ترافقني في العقبى. قال "ابن الملك": وفيه إشارة إلى أن هذه المرتبة العالية لا تحصل بمجرد السجود، بل به مع دعائه ـ عليه السلام ـ له إياها من الله تعالى، وفي قوله: ((على نفسك)) إيذان بأن نيل المراتب العالية إنما يكون بمخالفة النفس الدنية. وفيه: أن مرافقة النبيّ ﷺ في الجنة لا تحصل إلا بقرب من الله تعالى. انظر ((فتح الملهم)): (٤٧٤/٣).

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب الصلاة ـ باب فضل السجود والحث عليه، رقم: ١٠٩٤، ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـ باب وقت قيام النبي ﷺ من الليل، رقم: ١٣٢٠، ((سنن النسائي)): كتاب التطبيق ـ باب فضل السجود، رقم: ١١٣٩، ((مسند أحمد)): (٧٣/١٣ و ٧٤)، رقم: ١٦٥٣٣.

الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَمْحُو الله بِهِنَّ الْخَطَايَا﴾. رواه الخمسةُ إلا أبا داودَ[1].

وقال أكمل الرسل ﷺ: ﴿خَمْسُ صَلَوَاتٍ كَتَبَهُنَّ الله على الْعِبَادِ، فَمَنْ جاء بِهِنَّ، ولم يُضَيِّعْ مِنْهُنَّ شيئاً اسْتِخْفَافًا بِحَقِّهِنَّ، كان له عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لم يَأْتِ بِهِنَّ فَلَيْسَ له عِنْدَ اللَّهِ عَهْدٌ، إن شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ أَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ﴾. رواه الأربعة إلا الترمذي[2].

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب مواقيت الصلاة . باب الصلوات الخمس كفارة، رقم: ٥٢٨، ((صحيح مسلم)): كتاب المساجد ومواضع الصلاة . باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، وترفع به الدرجات، رقم: ١٥٢٠، ((سنن الترمذي)): كتاب الأمثال . باب مثل الصلوات الخمس، رقم: ٢٨٦٨، ((سنن النسائي)): كتاب الصلاة . باب فضل الصلوات الخمس، رقم: ٤٦٣.

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة . باب من لم يوتر، رقم: ١٤٢٠، ((سنن النسائي)):- كتاب الصلاة . باب المحافظة على الصلوات الخمس، رقم: ٤٦١، ((سنن ابن ماجه)):- كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها . باب ما جاء في فرض الصلوات الخمس والمحافظة عليها، رقم: ١٤٠١، وهو حديث صحيح.

"أي أخي" "فالصلاةُ": نورٌ للمصلي في بيته، نورٌ في قبره، نورٌ في حشره، نـورٌ في نشـره، نـورٌ في سيره على الصراط، نورٌ في روضات جنته، بل هي نورٌ له في الدنيا والآخـرة. ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ﴿٤٠﴾﴾[1]. آمينَ آمين.

"واعلم يا أخـي": أن مـن اسـتهان بهـا [أي الصلاة] أو لهى عنها، فهو في ضَلال وسُعر: كما قال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾﴾[2]، فويل وهـلاك للمصلين الملتزمين بإقامة الصـلاة، ولكـنهم عـن

---

(١) سورة إبراهيم ـ عليه السلام.

(٢) سورة الماعون.

صلاتهم غافلون، الذين يصلون صلاتهم بدون خشوع وخضوع، بين يدي الخالق العظيم، فتراه يسبح بفكره ويسرح طرفه ويتحرك ويعبث بأطرافه ولا يعرف عدد ما يصلي، وكذلك مضيعون لها، تاركون لوقتها، مُخلّون بأركانها؛ وهذا لعدم اهتمامهم بأمر الله حيث ضيعوا الصلاة، التي هي أهم الطاعات وأفضل القربات؛ تلك صلاة بعض الناس الذين يكذبون بيوم الدين، وهي بلا شك لا تنهى عن الفحشاء والمنكر، وقد سها أصحابها عن ذكر الله وهم لذلك يراءون الناس، ويذكرونهم ويفعلون لهم، ولا يفعلون لله، وهو لشدة الشح وكثرة البخل يمنعون الماعون، "أريت من يكذب بالدين؟" فهو الذي يشتد على اليتيم، ولا يعطي حقوق المساكين، وهو غافل عن صلاته، مراء الناس

في عمله، ومانع خيره عن غيره؛ فالويل ثم الويل لهؤلاء وإن صاموا وإن صلوا. فتنبه جداً.

"أيها العاقل": اختر لنفسك أي الطريقين:- طريق الخضوع والخشوع، أم طريق الغفلة واللهو؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [1] فأين الأبرار، وأين الفجار، أين النعيم، وأين الجحيم؛ كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [2].

والمعنى: يسأل أولئك الخاشعون الواصلون إلى الله تعالى؛ الذين مدحهم بقوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾

(١) سورة الانفطار.

(٢) سورة المدثر.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[1] يسألون عن أولئك الغافلين التاركين المجرمين؟ ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ۝٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٤٣﴾[2] الفروض الواجبة علينا. ﴿وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ۝٤٤﴾[3] أي لوجه الله تعالى، ولم نفعل ما يقرب لرب العالمين، أو أطعمنا للدنيا وللرياء. ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ۝٤٥﴾[4] لغفلتنا وخوضنا بالباطل مع أهل الغواية والضلال وترويجه، وتركنا الحق وأهملناه ـ غفلةً وعناداً ومكابرة.

---

(١) سورة المؤمنون.

(٢) سورة المدثر.

(٣) سورة المدثر.

(٤) سورة المدثر.

قال ﷺ: ﴿إِنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ يُرْفَعُ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ: الأَمَانَةُ وَالْخُشُوعُ حَتَّى لاَ تَكَادَ تَرَى خَاشِعاً﴾. رواه الطبراني والدارمي[1].

عن أبي أَيُّوبَ ﷺ قال: جاء رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ، عَلِّمْنِي وَأَوْجِزْ[2]، قال: ﴿إذا قُمْتَ في صَلاتِكَ فَصَلِّ صَلاةَ مُوَدِّعٍ، ولا تَكَلَّمْ بِكَلامٍ تَعْتَذِرُ منه[3]، وَأَجْمِعْ الْيَأْسَ عَمَّا في أَيْدِي الناس[4]﴾. رواه ابن ماجه[5].

---

(١) أخرجه الدارمي من حديث أبي الدرداء مرفوعاً: (ص٤٨)، رقم: ٢٨٨، والطبراني في "الكبير"، رقم: ٧١٨٣، وإسناده حسن، قال الهيثمي: قلت: وفيه ذكر الخشوع فقط. وأخرجه الطبراني أيضاً عن شداد بن أوس مرفوعاً وهو مختصر، ينظر: ((مجمع الزوائد)):- (١٣٦/٢).

(٢) قال السندي: قوله: (وأوجز) أي: اقتصر على خلاصة الأمر ليكون أسهل للضبط، أو أدي ذلك العلم المطلوب بكلام مختصر. والموجز: "لفظ جامع للعلم الكثير معنىً".

(٣) أي: لا تنطق بشيء يوجب أن يطلب من غيرك رفع اللوم عنك بسببه.

(٤) أي: اعزم وصمم على قطع الأمل عما في يد غيرك من الخلق من متاع الدنيا، فإنك إن فعلت ذلك استراح قلبك وصفا لبك، والزهد في الدنيا يريح القلب والبدن.

(٥) ((سنن ابن ماجه)): كتاب الزهد . باب الحكمة، رقم: ٤١٧١، وفي "الزوائد": إسناده ضعيف، وعثمان بن جبير قال الذهبي في ((الطبقات)): مجهول، وذكره ابن حبان في ((الثقات))، وقال البخاري وأبو حاتم: روى عن أبيه عن جده عن أبي أيوب، قلت: لكن=

قال العلاّمة زين الدين بن رجب الحنبلي في كتابه "الخشوع في الصلاة": وأصل الخشوع هو لين القلب ورقته وسكونه وخضوعه وانكساره وحرقته، فإذا خشع القلب تبعه خشوع جميع الجوارح والأعضاء لأنها تابعة له؛ كما قال ﷺ: «أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ»[1]، فإذا خشع القلب خشع السمع والبصر والرأس والوجه وسائر الأعضاء وما ينشأ منها حتى الكلام؛ ولهذا كان النبي ﷺ يقول في ركوعه في الصلاة:

=كون الحديث من أوجز الكلمات وأجمعها للحكمة يدل على قربه إلى الثبوت. فليتأمل.

انظر: ((شروح سنن ابن ماجه)): (٢/١٥٣٥).

(١) سبق تخريجه في (ص٢٥).

﴿خَشَعَ لَكَ سَمْعِي وَبَصَرِي، وَمُخِّي وَعَظْمِي وَعَصَبِي﴾[1].

ـ وفي روايةٍ: ﴿وَمَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ قَدَمِي﴾[2]، **أي: قامت به وحملته، ومعناه جميع جسمي،** وإنما أتى به بعد قوله: **﴿خشع لك سمعي وبصري﴾** إلى آخره، للتوكيد: وهو من ذكر العام بعد الخاص.

قال المسعودي عن أبي سنان عمن حدثه عن علي بن أبي طالب ﷺ في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[3] **قال: هو الْخُشُوعُ فِي الْقَلْبِ،**

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: ١٨٠٩.

(٢) ((صحيح ابن حبان)): (٢٢٨/٥)، رقم: ١٩٠١، ((صحيح ابن خزيمة)): (٣٠٦/١)، رقم: ٦٠٧.

(٣) سورة المؤمنون.

وَأَنْ تُلِينَ كَتِفَكَ[1] لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ، وَأَنْ لاَ تَلْتَفِتَ فِي صَلاَتِكَ[2].

وقد شرع الله تعالى لعباده من أنواع العبادات ما يظهر فيه خشوع الأبدان الناشئ عن خشوع القلب وذله وانكساره، "ومن أعظم ما يظهر فيه ذلك من العبادات الصلاة"، وقد مدح الله تعالى الخاشعين فيها بقوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[3].

وقال ابن لهيعة عن عطاء بن يسار رحمه الله عن سعيد بن جبير رحمه الله: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ يعني متواضعين لا يعرف من عن يمينه ولا من عن

---

(١) وفي روايةٍ: الكنف، وهو شدة الرحمة والسعي للنفع.

(٢) ((كتاب الزهد)): رقم: ١١٤٨، ((المستدرك)): (٤٧٠/٣)، رقم: ٣٥٣٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، و ((سنن البيهقي الكبرى)): (٢٧٩/٥)، رقم:- ٣٣٣٣.

(٣) سورة المؤمنون.

شماله؛ ولا يلتفت من الخشـوع لله ﷻ. وقـال ابـن المبارك عن أبي جعفر عن ليث عن مجاهد ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾[1] قال: القنوت الركون والخشـوع وغض البصر وخفض الجناح من رحمة الله تعالى.

وقال رحمه الله: وكان العلمـاء إذا قـام أحـدهم في الصلاة هاب الـرحمن ﷻ عـن أن يشـد نظـره أو يلتفت أو يقلب الحصى أو يعبث بشيء أو يحدث نفسه بشيء مـن أمـر الـدنيا إلا ناسـياً مـا دام في صلاته.

وقال منصور عن مجاهد رحمه الله في قوله تعـالى:- ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ٢٩﴾[2] قـــال:- الخشوع في الصلاة.

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة الفتح.

وأخرج الإمام أحمد والنسائي والترمذي من حديث الفضل ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال:- ﴿الصَّلاة مَثْنَى مَثْنَى تَشَهَّدُ في كل رَكْعَتَيْنِ وَتَضَرَّعُ وَتَخَشَّعُ وَتَمَسْكَنُ وَتُقْنِعُ بِيَدَيْكَ يقول ترفعهما إلى رَبِّكَ تُسْتَقْبَلُ بِوَجْهِكَ وَتَقُولُ يا رَبِّ يا رَبِّ فَمَنْ لم يَفْعَلْ ذلك فَهُوَ خِدَاجٌ﴾[1] والخِدَاجُ هنا: الناقص من الأجر والفضيلة.

وفي مسلم عن عثمان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ﴿ما من امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا إلا كانت كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا من الذُّنُوبِ ما لم يُؤْتِ كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ﴾[2].

(١) ((مسند أحمد)): رقم: ٧٢٩، قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح، ((سنن النسائي الكبرى)): (١/٢١٢)، رقم: ١٤٤١، ((سنن الترمذي)): كتاب أبواب الصلاة ـ باب ما جاء في التخشع في الصلاة، رقم: ٣٨٥.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب الطهارة ـ باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، رقم: ٥٤٢.

ومن تمام خشوع العبد لله ﷻ وتواضعه له في ركوعه وسجوده؛ أنَّه إذا ذلَّ لربه بالركوع والسجود، وصف ربه حينئذ بصفات العز والكبرياء والعظمة والعلو، فكأنه يقول: الذل والتواضع وَصْفي، والعلو والعظمة والكبرياء وَصْفك.

روى "الحافظ أبو نُعيم": أن لقمان الحكيم قال لابنه: جمعت لك حكمتي في ست كلمات:- اعمل للدنيا بمقدار بقائك فيها، واعمل للآخرة بمقدار بقائك فيها، واعمل لله بمقدار حاجتك إليه، واعمل من المعصية بمقدار ما تطيق من العقوبة، ولا تسأل إلا من لا يحتاج إلى أحد، وإذا أردت أن تعصي الله فاعصه في مكان لا يراك فيه.

وقيل "لإبراهيم بن أدهم": ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا؟ قال: لأنكم؛ عرفتم الله فلم تطيعوه،

وعرفتم الرسول ﷺ فلم تتبعوا سنته، وعرفتم القرآن فلم تعملوا به، وأكلتم نعم اللّه فلم تؤدوا شكرها، وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار فلم تهربوا منها، وعرفتم الشيطان فلم تحاربوه ووافقتموه، وعرفتم الموت فلم تستعدوا له، ودفنتم الأموات فلم تعتبروا، وتركتم عيوبكم واشتغلتم بعيوب الناس[1].

قال العلاّمة ابن القيم في "الوابل الصيب":-

فالصلاة المقبولة، والعمل المقبـول: أن يصـلي العبد صلاة تليق بربه ﷻ، فإذا كانت صلاة تصلح لربه تبارك وتعالى وتليق به، كانت مقبولة.

"والمقبول من العمل قسمان":

(١) ((الخشوع في الصلاة)): لأبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت٧٩٥هـ): (ص ٦ - ٣١). وانظر إلى ((فتح الباري)): للمؤلف نفسه.

أحـــدهما: أن يصـــلي العبـــد ويعمـــل ســـائر الطاعات وقلبه متعلق بالله ﷻ، ذاكراً لله ﷻ علـى الدوام، فأعمال هذا العبد تعرض على الله ﷻ حتى تقف قبالته، فينظر الله ﷻ إليها، فإذا نظر إليها رآها خالصة لوجهه مرضية، قد صدرت عن قلب سليم مخلص محب لله ﷻ ومتقرب إليه، أحبهـا ورضـيها وقبلها.

والقسم الثاني: أن يعمل العبد الأعمال على العادة والغفلة، وينوي بها الطاعة والتقرب إلى الله، فأركانه مشغولة بالطاعة، وقلبـه لاهٍ عـن ذكـر الله، وكذلك سائر أعماله، فإذا رفعت أعمال هذا إلى الله ﷻ، لم تقف تجاهه، ولا يقـع نظـره عليهـا، ولكـن توضع حيث توضع دواوين الأعمال، حتى تعرض

عليه يوم القيامة فتميز، فيثيبه على ما كان له منها، ويرد عليه ما لم يرد وجهه به منها.

"فهذا قبوله لهذا العمل": إثابته عليه بمخلوق من مخلوقاته من القصور والأكل والشرب والحور العين، "وإثابة الأول" رضى العمل لنفسه، ورضاه عن معاملة عامله، وتقريبه منه، وإعلاء درجته ومنزلته، فهذا يعطيه بغير حساب، "فهذا لون"، "والأول لون".

والناس في الصلاة على مراتب خمسة:-

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكن قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوساوس والأفكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوساوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها وحقوقها لئلا يضيع شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شان الصلاة وعبودية ربه تبارك وتعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضعه بين يدي ربه ﷻ، ناظراً بقلبه إليه، مراقباً له، ممتلئاً من محبته وعظمته، كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت

تلك الوساوس والخطرات، وارتفعت حجبها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه ﷻ قرير العين به.

فالقسم الأول "معاقب"، والثاني "محاسب"، والثالث "مكفَّر عنه"، والرابع "مثاب"، والخامس "مقرب من ربه"، لان له نصيباً ممن جعلت قرة عينه في الصلاة، فمن قرت عينه بصلاته في الدنيا، قرت عينه بقربه من ربه ﷻ في الآخرة، وقرت عينه أيضاً به في الدنيا، ومن قرت عينه بالله قرت به كل عين، ومن لم تقر عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات[1]. فتنبه جداً.

---

(١) ((الوابل الصيب من الكلم الطيب)): (ص٣٨، ٣٩).

"أي أخي": اعلم أن للصلاة صورة ظاهرة، وحقيقة باطنة؛ لا كمال للصلاة ولا تمام لها إلا بإقامتهما جميعاً.

أما صورتها الظاهرة: فهي القيام، والقراءة والركوع، والسجود ونحو ذلك من وظائف الصلاة الظاهرة.

أما حقيقتها الباطنة: فمثل الخشوع، وحضور القلب، وكمال الإخلاص، والتدبر والتفهم لمعاني القراءة، والتسبيح ونحو ذلك من وظائف الصلاة الباطنة.

فظاهر الصلاة: "حفظ البدن والجوارح".

وباطن الصلاة: "حفظ القلب والسر"، وذلك محل نظر الحقّ من العبد. فتأمل.

قال الإمام الغزالي ـ رحمه الله تعالى: مثل الذي يقيم صورة الصلاة الظاهرة ويَغْفُل عـن حقيقتهـا الباطنة، كمثل الذي يُهدي لملك عظـيم وَصِـيفَةً[1] ميتة لا روح فيها.

ومثل الذي يقصر في إقامة ظاهر الصلاة، كمثل الذي يُهدي إلى الملك وصيفة مَقْطُوعـة الأطـراف، مَفْقوءَة العينين، فهو والـذي قبلـه مُتَعرِّضـان مـن الملِـك بهـديّتِهما للعِقـاب والنّكـال لاستِهانَتِهما بالحُرْمة واسْتِخْفافهما بحقّ الملك.

ثم قال: فأنت تُهدي صلاتك إلى ربك، فإياك أن تهديها بهذه الصفة فتستوجِبُ العُقوبة. فتنبه جداً.

قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾[2].

---

(١) الوصيفة هي: الجارية، أو الخادمة والفتاة دون المراهقة.

(٢) سورة المؤمنون.

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ﴾ وفاز بمرتبة حق اليقين التي هي أعلى مراتب التوحيد، ومنتهى السلوك ومنقطع الطلب والعرفان ﴿ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ الراسخون في اليقين العلمي، الجازمون الثابتون فيه بلا تزلزلٍ وتلوينٍ.

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ﴾ من كمال رسوخهم وشدة تمكنهم وجزمهم ﴿فِي صَلَاتِهِمۡ﴾ التي هي معراجهم للوصول إلى مرتبة الرضا والقبول ﴿خَٰشِعُونَ﴾ مخبتون متضرعون متحننون نحو الحق عن ظهر القلب، وجميع الجوارح والأركان بلا تلعثم وعثور[1].

قال الإمام النيسابوري في "تفسيره": وأما الخشوع فمنهم من جعله من أفعال القلوب؛ كالخوف والرهبة. ومنهم من جعله من أفعال

---

(١) ((تفسير الجيلاني)): للإمام الرباني محيي الدين عبد القادر الجيلاني: (ت٥٦١هـ)، (٢٤٨/٣).

الجوارح؛ كالسكون، وترك الالتفات، والنظر إلى موضع السجود، والتوقي عن كف الثوب "أي جمعه"، والعبث بجسده وثيابه، والتمطي، والتثاؤب، والتغميض، وتغطية الفم، والسدل: بأن يضع وسط الثوب على رأسه أو على عاتقه ويرسل طرفيه، والاحتراز من الفرقعة والتشبيك، وتقليب الحصى، والاختصار: وهو أن يمسك بيديه عصا أو سوطاً ونحوهما. قال الحسن وابن سيرين: كان المسلمون يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم، وكان رسول الله ﷺ يفعل ذلك؛ فلما نزلت هذه الآية طأطأ، وكان لا يجاوز بصره مصلاه.

وهذا الخشوع: واجب عند المحققين: نقل الإمام الغزالي عن أبي طالب المكي عن بشر الحافي: من

لم يخشع فسدت صلاته[1]؛ وعن الحسن: كل صلاة لا يحضر فيها القلب، فهي إلى العقوبة أسرع؛ وعن معاذ بن جبل: من عرف من على يمينه وشماله متعمداً وهو في الصلاة فلا صلاة له[2]؛ وروي عنه مرفوعاً: ﴿إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها وعشرها، وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها﴾[3] وادعى عبد الواحد بن زيد: إجماع العلماء، على أنه ليس للعبد إلا ما عقل من صلاته؛ ومما يدل على صحة هذا القول، قوله سبحانه: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾[4] والتدبر لا يتصوّر

(١) ومن خشع في صلاته ولو لحظة قبلت صلاته، والله أعلى وأعلم.

(٢) أي لا صلاة كاملة له، للحديث الوارد المرفوع.

(٣) عند أبي داود في كتاب الصلاة . باب ما جاء في نقصان الصلاة، رقم: ٧٩٦ بلفظ: ((إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلاَّ عُشْرُ صَلاَتِهِ تُسْعُهَا ثُمُنُهَا سُبُعُهَا سُدُسُهَا خُمُسُهَا رُبُعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا)). وهو حديث حسن، وقد صححه العراقي، كما في ((عون المعبود)): (ص٣٧١). فالرجل يصلي الصلاة وما كتب له من ثوابها إلا بقدر ما حضره من الخشوع والإخلاص لله تعالى. فليتأمل.

(٤) سورة محمد.

بدون الوقوف على المعنى؛ وكذا قوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾[1] والغفلة تضادّ الذكر، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾[2] وقوله: ﴿حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ ٤٣﴾[3] نهي للسكران، إلا أن المستغرق في هموم الدنيا بمنزلته.وقوله ﷺ: ﴿المصلي يناجي ربه﴾[4] ولا

---

(١) سورة طه.

(٢) سورة الأعراف.

(٣) سورة النساء.

(٤) ((موطأ مالك)): لأبي عبد الله مالك بن أنس الأصبحي، (ت١٧٩هـ): كتاب الصلاة ـ باب العمل في القراءة، رقم: ١٧٧، وفي ((صحيح البخاري)): كتاب الصلاة ـ باب حك البزاق باليد في المسجد، رقم: ٤٠٥، وفي ((صحيح مسلم)): كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب النهي عن البصاق في المسجد والصلاة وغيرها، رقم: ١٢٣٠، بلفظ: ((إذا كان أحدكم في الصَّلاةِ فإنه يُنَاجِي رَبَّهُ فلا يَبْزُقَنَّ بين يَدَيْهِ ولا عن يَمِينِهِ وَلَكِنْ عن شِمَالِهِ تَحْتَ قَدَمِهِ)). قال الشيخ شبير أحمد في ((فتح الملهم))، (٤/٩٣): قال النووي: (المناجاة إشارة إلى إخلاص القلب وحضوره وتفريغه لذكر الله تعالى). قلت: المناجاة والنجوى: السر بين الاثنين، يقال: ناجيته: إذا ساررته، وكذلك: نجوت نجوى ومناجاة الرب مجاز، لأن القرينة صارفة عن إرادة الحقيقة، إذ لا كلام محسوساً إلا من طرف العبد، فيكون المراد لازم المناجاة، وهو إرادة الخير، ويجوز أن يكون من باب التشبيه، أي كأنه ربه يناجي، والتحقيق فيه أنه شبّه العبد وتوجهه إلى الله تعالى في الصلاة وما فيها من القراءة والأذكار وكشف الأسرار واستنزال رحمته ورأفته مع الخضوع والخشوع: بمن يناجي مولاه ومالكه، فمن شرائط حسن الأدب أن يقف محاذيه، ويطرق رأسه، ولا يمد بصره إليه، ويراعي جهة إمامه=

منجاة مع الغفلة أصلاً، بخلاف سائر أركان الإسلام، فإن المقصود منها يحصل مع الغفلة، فإن الغرض من الزكاة كسر الحرص، وإغناء الفقير. وكذا الصوم قاهر للقوى، كاسر لسطوة النفس التي هي عدوّ الله. وكذا الحج: فإن أفعاله شاقة، وفيه من المجاهدة ما يحصل به الابتلاء، وإن لم يكن القلب حاضراً.

والمتكلمون أيضاً: اتفقوا على أنه لا بد من الحضور والخشوع؛ قالوا لأن السجود لله تعالى طاعة، وللصنم كفر: وكل واحد منهما يماثل الآخر في ذاته ولوازمه؛ فلا بد من مميز، وما ذاك إلا القصد والإرادة، ولا بد فيهما من الحضور.

وأما الفقهاء: فالأكثرون منهم لا يوجبون ذلك، فيقال لهم: هَبُوا أنه ليس من شرط الاجزاء، وهو

=حتى لا يصدر من تلك الهيئات شيء، وإن كان الله تعالى منزها عن الجهات، لأن الآداب الظاهرة والباطنة مرتبط بعضها ببعض. "قاله العيني".

عدم وجوب القضاء ـ أليس هو من شرط القبـول الذي يترتب عليه الثواب، فمن استعار ثوباً ثم ردّه على أحسن الوجوه فقد خرج عن العهدة، وكذا إن ردّه على وجه الإهانة والاستخفاف؛ الا أنه يستحق المدح في الصورة الأولى، والذم في الصورة الثانيـة. اهـ[1].

قال الإمـام الغزالـي في "الإحيـاء": اعلـم أن الخشوع: ثمرة الإيمان، ونتيجة اليقين، الحاصل بجلال الله ﷻ، ومـن رزق ذلـك فإنـه يكـون خاشـعاً في الصلاة وفي غير الصلاة، بل في خلوتـه، وفي بيـت الماء عند الحاجة[2]، فـإنّ موجـب الخشـوع: معرفتـه

---

(١) ((تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان)): لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري: (ت بعد ٨٥٠ هـ)، (٤٢٨/٥).

(٢) وفي كل ذلك آداب معروفة، فالخاشع في غير الصلاة أن يخشع في جلوسه مع أصحابه، وقيامه، ومشيه، وركوبه، وحديثه، وأكله وشربه، وسائر معاملاته، وفي خلواته عند التعري والجماع، وعشرة الأهل، وفي بيت الماء عند قعوده وقيامه عنه. وهذا "يسمى بالحضور".

اطلاع الله تعالى على العبد، ومعرفة جلاله، ومعرفة تقصير العبد، فمن هذه المعارف يتولد الخشوع، وليست مختصة بالصلاة؛ ولذلك روى عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه إلى السماء أربعين سنة حياءً من الله سبحانه وخشوعاً له؛ وكان الربيع بن خيثم[1] من شدة غضه لبصره وإطراقه يظن بعض الناس أنه أعمى، وكان يختلف إلى منزل ابن مسعود عشرين سنة، فإذا رأته جاريته قالت: لابن مسعود صديقك الأعمى قد جاء، فكان يضحك ابن مسعود من قولها، وكان إذا دق الباب تخرج الجارية إليه فتراه مطرقاً غاضاً بصره، وكان ابن مسعود إذا نظر إليه

---

(١) مصغراً، ابن عائذ بن عبد الله بن موهبة بن منقذ الثوري، أبو يزيد الكوفي. قال "ابن معين": لا يسأل عن مثله، وقال الشعبي: كان من معادن الصدق. وقال ابن سعد: توفي في ولاية عبيد الله بن زياد، روى عن ابن مسعود، وأبي أيوب، وعنه الشعبي، وإبراهيم. وقال الذهبي: كان ورعاً قانتاً مخبتاً باكياً، روى له الجماعة سوى أبي داوود.

يقــول: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤﴾[1] أمــا والله لــو رآك محمد ﷺ لفرح بك، وفي لفـظ آخـر: لأحبـك، وفي لفظ آخر: لضحك، ومشى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدادين، فلما نظـر إلى الأكـوار[2] تـنفخ، وإلى النار تلتهب صعق وسقط مغشياً عليه، وقعد ابــن مسعود عنـد رأسـه إلى وقـت الصـلاة فلـم يفـق، فحمله على ظهره إلى منزله فلم يزل مغشياً عليـه إلى مثل السـاعة الـتي صـعق فيهـا، ففاتتـه خمـس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول: هذا والله هو الخوف.

---

(١) سورة الحج.

ويعلق "صاحب القوت" فيقول: "الخاشعون من المؤمنين هم الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، والخاشعون أيضاً: هم الخائفون، الذاكرون، الصابرون، المقيمون الصلاة، فإذا كملت هذه الأوصاف فيهم كانوا مخبتين".

(٢) جمع كور، وهو المبنى من الطين الذي يوقد فيه، ويقال هو الزق أيضاً.

وكان الربيع يقول: ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها إلا ما أقول وما يقال لي. وكان عامر بن عبد الله[1] من خاشعي المصلين، وكان إذا صلى ربما ضربت ابنته بالدف، وتحدث النساء بما يردن في البيت، ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله، وقيل له ذات يوم: هل تحدّثك نفسك في الصلاة بشيء؟ قال: نعم بوقوفي بين يدي الله ﷻ ومنصرفي إحدى الدارين، قيل: فهل تجد شيئاً مما نجد من أمور الدنيا؟ فقال: لأن تختلف الأسنة فيَّ[2] أحب إلي من أن أجد

---

(١) هو عامر بن عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، أبو الحارث المدني، أخو ثابت وحمزة وحبيب وعباد وعمر وموسى وأمه حيتمة بنت عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي. قال أحمد: ثقة من أوثق الناس. وقال مالك: كان يغتسل كل يوم طلعت عليه فيه الشمس، ويواصل سبع عشرة ثم يمسي فلا يذوق شيئا حتى القابلة يومين وليلة. وقال الواقدي: مات قبل هشام أو بعده بقليل، قال: ومات هشام سنة أربع وعشرين، روى له الجماعة.

(٢) جمع سنان، وهو من الرمح معروف، وقوله: فيَّ أي في جسدي.

في صلاتي ما تجدون، وكان يقول: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً[1].

وقد كان مسلم بن يسار منهم، وقد نقلنا أنه لم يشعر بسقوط اسطوانة في المسجد وهو في الصلاة[2]، وتأكل طرفاً من أطراف بعضهم واحتيج فيه إلى القطع فلم يمكن منه، فقيل إنه في الصلاة لا يحس بما يجري عليه، فقطع وهو في الصلاة[3].

---

(١) قال مرتضى الزبيدي في ((إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين))،(١٦٨/٣): كذا أورده صاحب "القوت" والمشهور أنه من علي ﷺ.

(٢) وقال مرتضي الزبيدي: وفي القوت: وكان مسلم بن يسار من العلماء الزاهدين، فكان إذا دخل في الصلاة يقول لأهله: تحدثوا بما تريدون وافشوا سركم؛ فإني لا أسمع، وكان يقول: وما يدريكم أين قلبي، وكان يصلي ذات يوم في جامع البصرة، فوقع خلفه اسطوانة معقود بناؤها على أربع طاقات، فتسامع بها أهل السوق، فدخلوا المسجد وهو قائم يصلي كأنه وتد، فانتفل من صلاته فلما فرغ جاءه الناس يهنونه، فقال: وعلى أي شيء تهنوني فقالوا: وقعت هذه الاسطوانة العظيمة وراءك فسلمت منها، فقال: متى وقعت، قالوا: وأنت تصلي، قال: فإني ما شعرت بها.

(٣) وقال مرتضى الزبيدي: قلت: المراد به عروة بن الزبير عم عامر بن عبد الله. وأسند المزني في "التهذيب" عن هشام بن عروة قال: وقعت الآكلة في رجله، فقيل له: ألا ندعو لك طبيباً، قال: إن شئتم، فجاء الطبيب، فقال: أسقيك شراباً يزول فيه عقلك؟، فقال: امض=

وقال بعضهم: الصلاة من الآخرة، فإذا دخلت فيها خرجت من الدنيا. وقيل لآخر: هل تحدث نفسك بشيء من الدنيا في الصلاة؟ فقال: لا في الصلاة ولا في غيرها.

وسئل بعضهم هل تذكر في الصلاة شيئاً؟ فقال: وهل شيء أحب إليّ من الصلاة، فأذكره فيها. وكان أبو الدرداء ﷺ يقول: من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة، ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ.

وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس؛ وروي أن عمار بن ياسر صلى صلاة فأخفها، فقيل له: خففت يا أبا اليقظان فقال: هل رأيتموني

=لشأنك ما ظننت أن خلقاً يشرب شراباً يزول فيه عقله حتى لا يعرف ربه، قال: فوضع الميشار على ركبته اليسرى ونحن حوله فما سمعنا له حساً، فلما قطعناها جعل يقول: لئن اخذت لقد أبقيت ولئن ابليت قد عافيت، وما ترك حزبه من القراءة تلك الليلة وكان ربع القرآن... وكان يصوم الدهر كله إلا يوم الفطر والنحر، ومات وهو صائم.

نقصت من حـدودها شـيئاً؟، قـالوا: لا، قـال: إنـي بادرت سهو الشيطان، إن رسـول الله ﷺ قـال: ﴿إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها﴾[1]، وكـان يقول:(إنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها)[2]، ويقال إن طلحة والزبير وطائفة من الصـحابة ﷺ كانوا أخف الناس صلاة، وقالوا: نبادر بها وسوسة الشيطان.

وروي أن عمر بن الخطاب ﷺ قال على المنبر: إن الرجل ليشيب عارضاه في الإسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل: وكيف ذلك؟ قال: لا يتم خشوعها وتواضعها وإقباله على الله ﷻ فيهـا. وسـئل أبـو

---

(١) هكذا أورده "صاحب القوت" وأخرجه أحمد بإسناد صحيح، وتقدم المرفوع عنه، وهو عند أبي داود والنسائي. ينظر: ((إتحاف السادة المتقين)): (١٦٩/٣).

(٢) هكذا أورده "صاحب القوت" وهو من قول عمار وليس بمرفوع. ينظر ((إتحاف السادة المتقين)): (١٦٩/٣).

العاليــة عــن قولــه تعــالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ٥﴾[1] قال: هو الذي يسهو في صلاته فـلا يدري على كم ينصرف أعلى شفع أم علـى وتـر؟ وقال الحسن ـ البصري: هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج[2]. وقال بعضهم: هـو الـذي إن صلاها في أول الوقـت لم يفـرح، وإن أخرهـا عـن الوقت لم يحزن، فلا يرى تعجيلها خيراً ولا تأخيرها إثماً.

فدلت هذه الحكايات والأخبار مع ما سبق، على أن الأصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب، وأن

(١) سورة الماعون.

(٢) يخرج وقتها، وكان يقول: أما والله لو تركوها لكفروا، ولكن سهواً عن الوقت.

مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في الميعاد. والله أعلم. نسأل الله حسن التوفيق[1].

روى البخاري في "التاريخ الكبير" والديلمي وأبو نُعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما ﴿قال الله تبارك وتعالى: "وعزتي وجلالي" إني لا أتقبل الصلاة إلا لمن تواضع لعظمتي، وكف نفسه عن الشهوات ابتغاء مرضاتي، وقطع نهاره في ذكري، ولم يبت مصرا على الخطيئة، ولم يتعاظم على خلقي، يطعم الجائع، ويكسو العاري، ويرحم المصاب، ويؤوي الغريب؛ فذلك الذي يشرق نوره مثل الشمس، يدعوني فألبي، ويسألني فأعطى، اجعل له في الجهالة حلماً، وفي الظلمة نورا بنوري، وأستحفظه ملائكتي، مثله عندي في الناس كمثل

---

(١) ((إحياء علوم الدين)): لأبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي، (ت٥٠٥هـ): (١٧١/١، ١٧٣).

الفردوس في الجنان، لا تسنو ثمارها ولا تتغير عن حالها﴾[1].

"أي إخوتي": عليكم بالجماعة ما استطعتم، فإنها معرجٌ وتقربٌ إلى الله تعالى؛ كما قال ﷻ: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾[2] أي: أدم على طاعتك، لتنال كمال القرب من المعبود ـ جلَّ وعلا؛ كما قال أكمل الرسل ﷺ: ﴿أَقْرَبُ ما يَكُونُ الْعَبْدُ من رَبِّهِ وهو سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ﴾[3].

---

(١) ((التاريخ الكبير)): للبخاري، (١٥/٨)، رقم: ١٩٨١، قال المتقي الهندي في ((كنز العمال)): رواه الديلمي عن حارثة بن وهب. ((حلية الأولياء)): (١٨/٤)، وفي لفظ آخر: "أنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي، ولم يستطل على خلقي، ولم يبت مصرا على معصيتي، وقطع نهاره في ذكرى، ورحم المسكين، وابن السبيل، والأرملة، ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس، أكلأه بعزتي، وأستحفظه ملائكتي، أجعل له في الظلمة نوراً، وفي الجهالة حلماً، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة" قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد))، (١٤٧/٢): رواه البزار وفيه عبد الله بن واقد الحراني، ضعفه النسائي والبخاري وإبراهيم الجوزجاني وابن معين في رواية، ووثقه أحمد وقال: كان يتحرى الصدق، وأنكر على من تكلم به، وأثنى عليه خيراً، وبقية رجاله ثقات.

(٢) سورة العلق.

(٣) سبق تخريجه في (ص٨٨).

﴿أَقْرَبُ ما يَكُونُ﴾ أي: من رحمة ربه وفضله ـ "قبولاً ورضا". فتنبه.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ ﴿١٠٢﴾﴾ [1] أمر الحق ﷻ بها بالخوف [أي صلاة الجماعة]، فكيف بالأمن؟ فهي أولى. فتأمل.

وقال ﷺ: ﴿صَلاةُ الْجَمَاعَةِ أفضلُ من صَلاةِ الْفَذِّ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ جزءاً﴾. متفق عليه[2]، وللبخاري: ﴿دَرَجَةً﴾.

وقال ﷺ: ﴿صَلاةُ الْجَمَاعَةِ أفضلُ من صَلاة الْفَذِّ بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً﴾. متفق عليه [1].

---

(١) سورة النساء.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الأذان ـ باب فضل صلاة الفجر في جماعة، رقم: ٦٤٨، وفي كتاب التفسير ـ سورة بني إسرائيل ـ باب ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾﴾ [سورة الإسراء]، رقم: ٤٧١٧، ((صحيح مسلم)): كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها، رقم: ١٤٧٠.

قال النووي في "المجموع": والجمع بين هذه الروايات من ثلاثة أوجه:-

(أحدهما): أنه لا منافاة فذكر القليل لا ينفي الكثير.

(الثاني): أن يكون أخبر أولاً بالقليل ثم أعلمه الله تعالى بزيادة الفضل فأخبر بها.

(الثالث): أنه يختلف باختلاف أحوال المصلين والصلاة وتكون لبعضهم خمس وعشرون، ولبعضهم سبع وعشرون؛ بحسب كمال الصلاة ومحافظته على هيئاتها وخشوعها، وكثرة جماعتها وفضلهم، وشرف البقعة ونحو ذلك. والله اعلم[2].

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الأذان . باب فضل صلاة الجماعة، رقم: ٦٤٥، وباب فضل صلاة الفجر جماعة، رقم: ٦٤٩، ((صحيح مسلم)): كتاب المساجد ومواضع الصلاة . باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها، رقم: ١٤٧٥.

(٢) ((المجموع)): (٨٦/٣).

ـ وقال أكمل الرسل ﷺ: ﴿من صلى الْعِشَاءَ في جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قام نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صلى الصُّبْحَ في جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا صلى اللَّيْلَ كُلَّهُ[1]﴾. رواه مسلم وأبو داود والترمذي[2].

ـ وقال ﷺ: ﴿ما من ثَلاثَةٍ في قَرْيَةٍ ولا بَدْوٍ لا تُقَامُ فِيهِمْ الصَّلاةُ، إلا قد اسْتَحْوَذَ عليهم الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ، فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ[3]﴾. رواه أبو داود والنسائي وأحمد[4].

---

(١) أي: بانضمامه ذلك النصف، فكأنه أحيى نصف الليل الأخير، أو يكون إشارة إلى أن قيام الصبح أفضل من قيام صلاة العشاء، فإنه أشق وأصعب على النفس، وأشد على الشيطان، فإن ترك النوم بعد الدخول فيه أشق من إرادة الدخول فيه، إذ الكسل يستولي في الأول أكثر، فتكون مجاهدته على الشيطان أكبر. ينظر: ((فتح الملهم)): (٣١١/٤).

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب المساجد ومواضع الصلاة ـ باب فضل صلاة العشاء والصبح في جماعة، رقم: ١٤٨٩، ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـ باب فضل صلاة الجماعة، رقم: ٥٥٥، ((سنن الترمذي)): كتاب الصلاة ـ باب ما جاء في فضل العشاء والفجر في الجماعة، رقم: ٢٢١.

(٣) قال في النهاية: هي المنفردة عن القطيع البعيدة منه يريد أن الشيطان يتسلط على الخارج من الجماعة وأهل السنة.

(٤) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـ باب في التشديد في ترك الجماعة، رقم: ٥٤٧، ((سنن النسائي)): كتاب الإمامة ـ باب التشديد في ترك الجماعة، رقم: ٨٤٧، قال حمزة أحمد=

وكان الصحابة ﷺ: من أشد الناس التزاماً لهذه الجماعة؛ يقول "عبد الله بن مسعود ﷺ": من سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ غَداً مُسْلِماً فَلْيُحَافِظْ على هَؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فإن اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ ﷺ سُنَنَ الْهُدَى[1]، وَإِنَّهُنَّ من سُنَنِ الْهُدَى[2]، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ في بُيُوتِكُمْ كما يُصَلِّي هذا الْمُتَخَلِّفُ في بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ[3]، وما من رَجُلٍ يَتَطَهَّرُ فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَعْمِدُ إلى مَسْجِدٍ من هذه الْمَسَاجِدِ إلا كَتَبَ الله له

=الزين: إسناده صحيح وصححه الحاكم (١/٢١١) ووافقه الذهبي. ينظر: ((المسند)): (٦٩/١٦)، رقم: ٢١٦٠٧، و ٢٧٣٨٧. قال أبو محمد عبد الله بن يوسف الحنفي الزيلعي (ت٧٦٢هـ) في ((نصب الراية))، (٢/٢٤): أخرجه أحمد وأبو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ قال النووي: إِسْنَادُهُ صَحِيحٌ ذكره في "الخلاصة"

(١) أي: طرائق الهدى والصواب.

(٢) أي: الصلوات الخمس بالجماعة.

(٣) وفي بعض الروايات "لكفرتم". قال عياض: (تحذير من ترك إقامة الجماعة وتشديد في ترك السنن، وكان ذلك ضلالاً وكفراً، لأن تركها داع إلى التهاون بالشريعة، وترك الشريعة كفر). ينظر: ((فتح الملهم)): (٣٠٩/٤).

بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بها دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عنه بها سَيِّئَةً، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وما يَتَخَلَّفُ عنها إلا مُنَافِقٌ، مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كان الرَّجُلُ يؤتي بِهِ يُهَادَى بين الرَّجُلَيْنِ حتى يُقَامَ في الصَّفِّ[1].

وقد كان رسول الله ﷺ شديد الإنكار على من كان يتغّيب عن الجماعة، ولا يشهد الصلاة مع المسلمين، وقد جاء في الصحاح، عن أبي هريرة ﷺ أنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَدَ نَاسًا[2] في بَعْضِ الصَّلَوَاتِ[3] فقال: «لقد هَمَمْتُ[4] أَنْ آمُرَ رَجُلاً يُصَلِّي بِالنَّاسِ ثُمَّ أُخَالِفَ إلى رِجَالٍ يَتَخَلَّفُونَ عنها فَآمُرَ بِهِمْ فَيُحَرِّقُوا عليهم بِحُزَمِ الْحَطَبِ بُيُوتَهُمْ، وَلَوْ عَلِمَ أَحَدُهُمْ أَنَّهُ يَجِدُ

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب صلاة الجماعة من سنن الهدى، رقم: ١٤٨٦.

(٢) غير مرة.

(٣) بالعشاء والفجر.

(٤) هممت: أي قصدت. وفي رواية: (والذي نفسي بيده لقد هممت).

عَظْمًا سَمِينًا لَشَهِدَهَا يَعْنِي صَلاةَ الْعِشَاءِ﴾. رواه الخمسة[1].

"وحكمة الجماعة": تعارف الناس، وتعلم جاهلهم من عالمهم، والتحابب والتعاون، واتحاد الكلمة، ومضاعفة الثواب، والقرب من الله تعالى.

جاء في "شرح صحيح البخاري"، للإمام القسطلاني، ناقلاً عن البرماوي: (لمشروعية الجماعة حكمة ذكرها الشيخ قطب القسطلاني في "مقاصد الصلاة"، منها: قيام نظام الألفة بين المصلين، ولذا شرعت المساجد في المحال، ليحصل التعاهد باللقاء في أوقات الصلوات بين الجيران. ومنها: قد يتعلم

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الأذان. باب وجوب صلاة الجماعة، رقم: ٦٤٤، و ٦٥٧، و٢٤٢٠، و ٧٢٢٤، ((صحيح مسلم)): كتاب المساجد ومواضع الصلاة. باب فضل صلاة الجماعة، وبيان التشديد في التخلف عنها، رقم: ١٤٧٩، ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة. باب في التشديد في ترك الجماعة، رقم: ٥٤٨ و ٥٤٩، ((سنن الترمذي)): كتاب الصلاة. باب ما جاء فيمن يسمع النداء فلا يجيب، رقم: ٢١٧، ((سنن النسائي)): كتاب الإمامة. باب التشديد في التخلف عن الجماعة، رقم: ٨٤٩.

الجاهل من العالم ما يجهله من أحكامها. ومنها: أن مراتب الناس متفاوتة في العبادة، فتعم بركة الكامل على الناقص، فتكمل صلاة الجميع.

"وعليكم بالجمعة": فقد فرضها الله سبحانه بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩﴾[1].

﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ﴾ أي: أُذن لوقت الصلاة ﴿يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾ هو اليوم المعروف من أيام الأسبوع، ويأمر الحق تعالى عباده المؤمنين بالحضور لصلاة الجمعة، والمبادرة إليها من حين ينادى لها، والسعي إليها، والمراد بالسعي هنا: المبادرة إليها والاهتمام لها،

---

(١) سورة الجمعة.

وجعلها أهم الأشغال، لا العَدْو الذي قد نهي عنه عند المضي إلى الصلاة.

والمرادُ به: الآذان على باب المسجد عند جلوس الخطيب على المنبر؛ إذ لم يكن في عهد رسول الله ﷺ والخليفتيْن بعدَه غيرُ هذا الأذان.

ثم استحدث عثمانُ ﵁ أذاناً قبله بالزَّوراء؛ لكثرة المسلمين وتباعُدِ منازلهم، حتى إذا سمِعوا أقبلوا للصلاة. فإذا جلس الخطيب على المنبر أذّن المؤذّن ثانياً ـ ذلك الأذان الذي كان على عهده ﷺ وأقر الصحابةُ عثمانَ ﵁ على ذلك؛ فكان إجماعاً.

﴿فَاسْعَوْا﴾ أي: فامْضُوا: أمر تعالى بالسعي إلى الجمعة؛ فأفاد "أنها فرض، وعليه الأمة كلها".

﴿إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي الخطبة، والصلاة المشتملتان على ذكر الله تعالى.

﴿وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَ﴾ أي: اتركــوا البيــع إذا نــودي للصلاة وامضوا إليها.

﴿ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ مــن اشــتغالكم بــالبيع وتفويتكم الصلاة المفروضة، الـتي هـي مـن آكـد الفروض.

﴿إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ لأن ما عند الله خير وأبقى، وأن من آثر الدنيا على الدين، فقد خسر الخسـارة الحقيقية، من حيث ظن أنه يربح، وهذا الأمر بترك البيع، مؤقت مدة الصلاة.

"والجمعة يوم من أيام الله تبارك وتعالى"؛ كما قال أكمل الرسل ﷺ: ﴿خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عليه الشَّمْسُ يَـوْمُ الْجُمُعَـةِ، فيـه خُلِقَ آدَمُ، وَفِيـهِ أُدْخِـلَ الْجَنَّـةَ، وَفِيـهِ أُخْـرِجَ منهـا، ولا تَقُـومُ السَّـاعَةُ إلا فـي يَـوْمِ الْجُمُعَـةِ﴾.

رواه مسلم وغيره[1]. وزاد أبو داود: ﴿وَفِيهِ تِيبَ عليه، وَفِيهِ مَاتَ، وَفِيهِ تَقُومُ السَّاعَةُ، وما من دَابَّةٍ إلا وَهِيَ مُسِيخَةٌ[2] يوم الْجُمُعَةِ من حين تُصْبِحُ حتى تَطْلُعَ الشَّمْسُ شَفَقًا[3] من السَّاعَةِ إلا الْجِنَّ وَالإِنْسَ، وَفِيهِ سَاعَةٌ لا يُصَادِفُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وهو يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ حَاجَةً إلا أَعْطَاهُ إِيَّاهَا﴾[4].

"وحذر الشارع الحكيم من التهاون والتغافل عنها"؛ فقال ﷺ: ﴿لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عن وَدْعِهِم[5]

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الجمعة . باب فضل يوم الجمعة، رقم: ١٩٧٤، ((سنن النسائي)): كتاب الجمعة . باب ذكر فضل الجمعة، رقم: ١٣٧٤، و ١٤٣١، ((موطأ مالك)): كتاب النداء . باب ما جاء في الساعة التي في يوم الجمعة، رقم: ٢٤١، ((مسند أحمد)): رقم: ٩١٧٩، ٩٣٧٦، ١٠٢٥٢، ١٠٤٩٣، ١٠٥٩٣، ١٠٩١٢.

(٢) مسيخة: أي مستمعة ومنتظرة لقيام الساعة.

(٣) بالتحريك: خوفاً.

(٤) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة . تفريع أبواب الجمعة باب فضل يوم الجمعة وليلة الجمعة، رقم: ١٠٤٦، وسنده صحيح.

(٥) بفتح فسكون أي: تركهم الجمعات جمع جمعة.

الْجُمُعَاتِ، أو لَيَخْتِمَنَّ الله على قُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَيَكُونُنَّ من الْغَافِلِينَ[(١)]﴾. رواه مسلم والنسائي وأحمد[(٢)].

ـ وقال ﷺ: ﴿من تَرَكَ ثَلاثَ جُمَعٍ تَهَاوُناً بها طَبَعَ الله على قَلْبِهِ[(٣)]﴾. رواه أصحاب السنن والحاكم[(٤)].

ـ "والجمعة واجبة على كل مسلم إلا أربعة"؛ لقول النَّبيِّ الكريم ﷺ: ﴿الْجُمُعَةُ حَقٌّ وَاجِبٌ[(٥)] على

---

(١) قال تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة البقرة] أي: والله من لم يرجع عن ترك الجمعة فإنه يصير كافراً. انظر ((التاج الجامع للأصول)): (١/٢٧٣).

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب الجمعة ـ باب التغليظ في ترك الجمعة، رقم: ١٩٩٩، ((سنن النسائي)): كتاب الجمعة ـ باب التشديد في التخلف عن الجمعة، رقم: ٣٧٠، ((مسند أحمد)): (٣/٥٠)، رقم: ٢٢٩٠.

(٣) طبع الله على قلبه: أي ختم عليه، فلا يدخله خير، بل ويكفر؛ كما قال تعالى: ﴿ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥٥﴾ ﴾ سورة النساء.

(٤) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـ باب التشديد في ترك الجمعة، رقم: ١٠٥٢، ((سنن الترمذي)): كتاب الجمعة ـ ما جاء في ترك الجمعة من غير عذر، رقم: ٥٠٠، ((سنن النسائي)): كتاب الجمعة ـ باب التشديد في التخلف عن الجمعة، رقم: ١٣٦٩، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء فيمن ترك الجمعة من غير عذر، رقم: ١١٢٥، قال الحاكم في ((المستدرك))، (١/٤١٥)، رقم: ١٠٧٣: هذا حديث صحيح على شرط مسلم، ولم يخرجاه.

(٥) حق واجب: أي فرض مؤكد.

كل مُسْلِمٍ في جَمَاعَةٍ[1] إلا أَرْبَعَةً، عَبْدٌ مَمْلُوكٌ[2] أو امْرَأَةٌ[3] أو صَبِيٌّ[4] أو مَرِيضٌ[5]﴾. رواه أبو داود والبيهقي والحاكم[6].

"أما خصائصها": فقد أفرد الإمام الحافظ السيوطي كتاباً سماه: "اللُّمعَة في خَصَائِص الجمعة" ذكر فيها مائة خصوصية وواحدة؛ منها: أنه عيد هذه الأمة؛ كما قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ هذا يَوْمُ عِيدٍ، جَعَلَهُ الله لِلْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ جاء إلى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ،

---

(١) في جماعة: فالجماعة فيها فرض بالإجماع.

(٢) لم تجب عليه لاشتغاله بحقوق سيده، ولأن لها بدلاً عنها وهو الظهر.

(٣) لاشتغالها بخدمة بيتها وأولادها، ولها بدل عنها وهي الظهر.

(٤) لعدم تكليفه، ولكن يسن له وللعجائز حضورها.

(٥) يشق عليه حضورها، ومثله الأعمى إلا إذا اهتدى وحده أو وجد قائداً ولا يجوز لمريض يتأذى المصلون به كالزكام وغيره. فتنبه جداً.

(٦) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـ باب الجمعة للمملوك والمرأة، رقم: ١٠٦٧، قال رائد بن صبري ابن أبي علفة: صحيح، وصححه النووي والحاكم والذهبي. ينظر: ((عون المعبود)): (ص٥٠٩)، ((سنن البيهقي الصغرى)): (٣٧٣/١)، رقم: ٥٣٦٨، ((المستدرك)): (٤٢٥/١)، رقم: ١١٠١.

وَإِنْ كان طِيبٌ فَلْيَمَسَّ منه، وَعَلَيْكُمْ بِالسِّوَاكِ﴾. رواه ابن ماجه والطبراني[1].

ومنها: أنها مكفرة لـذنوبنا: كمـا قـال ﷺ: ﴿لا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يوم الْجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ ما اسْتَطَاعَ من طُهْرٍ[2]، وَيَدَّهِنُ من دُهْنِهِ[3]، أو يَمَسُّ من طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ[4] فلا يُفَرِّقُ بين اثْنَيْنِ[5]، ثُمَّ يُصَلِّي ما كُتِبَ كُتِبَ له، ثُمَّ يُنْصِتُ إذا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إلا غُفِرَ له ما بَيْنَهُ

---

(١) ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها . باب ما جاء في الزينة يوم الجمعة، رقم: ١٠٩٨، قال البوصيري: هذا إسنادٌ فيه صالح بن أبي الأخضر لينه الجمهور، وباقي رجال الإسناد ثقات. ورواه عبد العظيم المنذري الحافظ في كتاب "الترغيب" وحسَّنه. ورواه الترمذي في جامعه من حديث البراء بن عازب مرفوعاً: "حقٌّ على المسلمين أن يغتسلوا يوم الجمعة؛ وليمسَّ أحدُهم من طيب أهله، فإن لم يجد فالماءُ له طيب". وقال: حديث حسن. وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري، رواه النسائي في "سننه" الصغرى. ينظر: ((شروح سنن ابن ماجه)): (١/٤٥٥ و ٤٥٦)، ((المعجم الأوسط)): (٧/٢٣٠).

(٢) يتنظف، ويبالغ في النظافة من حلق العانة، ونتف الأبط، وقص الأظفار والشارب.

(٣) بالضم والفتح ما يطلى به الشعر عند تسريحه وربما كان به طيب، ففيه إشارة إلى تسريح الشعر إن كان.

(٤) إلى المسجد، ولأحمد من حديث أبي الدرداء: ((ثم يمشي وعليه السكينة)).

(٥) ليجلس بينهما فربما تألما، ولاسيما في شدة الحر إلا بإذنهما.

وَبَيْنَ الْجُمُعَةِ الأُخْرَى﴾. رواه البخـاري عـن سـلمان ﷺ[1].

ـ وفي مسند الإمام أحمد عن أبـي هريـرة ﷺ، قـال رسـول الله ﷺ: ﴿الصَّلاَةُ إلى الصَّلاَةِ التي قَبْلَهَا كَفَّارَةٌ، وَالْجُمُعَةُ إلى الْجُمُعَةِ التي قَبْلَهَا كَفَّارَةٌ، وَالشَّهْرُ إلى الشَّهْرِ[2] الذي قَبْلَهُ كَفَّارَةٌ، إِلاَّ من ثَلاَثٍ﴾ قـال: فَعَرَفْنَا أَنَّهُ أَمْـرٌ حَـدَثَ ﴿إِلاَّ مِنَ الشِّرْكِ بِاللَّهِ، وَنَكْثِ الصَّفْقَةِ، وَتَرْكِ السُّنَّةِ﴾، قال: قُلْنَا: يا رَسُولَ اللَّهِ، هذا الشِّرْكُ بِاللَّهِ قد عَرَفْنَاهُ فما نَكْثُ الصَّـفْقَةِ وَتَـرْكُ السُّـنَّةِ؟ قـال: ﴿أَمَّا نَكْثُ الصَّفْقَةِ: فَأَنْ تعطي رَجُلاً بَيْعَتَكَ ثُمَّ تُقَاتِلَهُ بِسَيْفِكَ، وَأَمَّا تَرْكُ السُّنَّةِ: فَالْخُرُوجُ مِنَ الْجَمَاعَةِ﴾[3].

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الجمعة ـ باب الدهن للجمعة، رقم: ٨٨٣.

(٢) يعني رمضان إلى رمضان.

(٣) قال حمزة أحمد الزين: إسناده ضعيف فيه مجهول، لكنه مر بأجزائه في ٩١٦٩ و ٩٣٢٧ وهو صحيح. ينظر: ((المسند)): (٥٠٨/٩)، رقم: ١٠٥٢٤.

وفي أخرى لمسلم والترمذي: ﴿الصَّلاةُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إلى الْجُمْعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ ما لم تُغْشَ الْكَبَائِرُ﴾[1].

وفي أخرى لأبي داود: ﴿من اغْتَسَلَ يوم الْجُمُعَةِ، وَلَبِسَ من أَحْسَنِ ثِيَابِهِ[2] وَمَسَّ من طِيبٍ إن كان عِنْدَهُ، ثُمَّ أتى الْجُمُعَةَ فلم يَتَخَطَّ أَعْنَاقَ الناس[3]، ثُمَّ صلى ما كَتَبَ الله له، ثُمَّ أَنْصَتَ إذا خَرَجَ إِمَامُهُ حتى يَفْرُغَ من صَلاتِهِ كانت كَفَّارَةً لِمَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ جُمُعَتِهِ التي قَبْلَهَا﴾[4].

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الطهارة ـ باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، رقم: ٥٤٩، ((سنن الترمذي)): كتاب الصلاة ـ باب ما جاء في فضل الصلوات الخمس، رقم: ٢١٤.

(٢) فالتجمل بحسن الملابس مندوب، وأفضل الألوان الأبيض؛ للحديث الذي رواه الترمذي في كتاب الجنائز ـ باب ما يستحب من الأكفان، رقم: ٩٩٤: "البسوا من ثيابكم البياض، فإنها من خير ثيابكم، وكفنوا فيها موتاكم".

(٣) فهو مكروه إلا للإمام وأهل الفضل والصلاح فلا كراهة.

(٤) ((سنن أبي داود)): كتاب الطهارة ـ باب في الغسل يوم الجمعة، رقم: ٣٤٣، وهو حديث حسن. ينظر: ((عون المعبود)): (ص١٨٧).

ومنها: أنها تقرب إلى الله تعالى: كما قال ﷺ: ﴿الجمعة حج المساكين﴾. رواه ابن أبي أسامة[1].

ومنها: أنها من آكد فروض الإسلام، ومن أعظم مجامع المسلمين، وهي أعظم من كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضه سوى مجمع عرفة، ومن تركها تهاوناً بها طبع الله على قلبه.

وقرب أهل الجنة يوم القيامة وسبقهم إلى الزيارة يوم المزيد بحسب قربهم من الإمام وتبكيرهم؛ قال رسول الله ﷺ: ﴿ما مِنَ الصَّلَوَاتِ صَلاةٌ أَفْضَلُ من صَلاةِ الْفَجْرِ يوم الْجُمُعَةِ في الْجَمَاعَةِ، وما أَحْسَبُ من شَهِدَهَا مِنْكُمْ إِلا مَغْفُوراً له﴾. رواه

(١) ((مسند الشهاب)): لأبي عبد الله محمد بن سلامة بن جعفر القضاعي: (ت٤٥٤هـ)، (٨١/١)، رقم: ٧٨، وأخرجه حميد بن زنجويه في ((فضائل الأعمال))، ورواه ابن أبي أسامة في "مسنده" عن ابن عباس رضي الله عنهما؛ انظر ((اللمعة في خصائص الجمعة)): (ص٢٠).

الطبراني والبزار[1]. وفي روايةٍ للبيهقي: ﴿إن أفضل الصلوات عند الله تعالى صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة﴾[2].

ومنها: أن للماشي إلى الجمعة بكل خطوة أجر سنة صيامها وقيامها؛ كما قال رسـول الله ﷺ: ﴿من غَسَّلَ وَاغْتَسَلَ[3] يوم الْجُمُعَةِ وَبَكَّرَ[4] وَابْتَكَرَ، وَمَشَى ولم يَرْكَبْ[5] فَدَنَا مِنَ الإِمَامِ فَاسْتَمَعَ ولم يَلْغُ[6] كان له

---

(١) ((المعجم الأوسط)): (٦٥/١)، رقم: ١٨٤، ((المعجم الكبير)): (١٥٦/١)، رقم: ٣٦٦، ((مسند البزار)): (١٠٦/٤). قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد))، (١٦٨/٢): رواه البزار والطبراني في "الكبير" "والأوسط" كلهم من رواية عبيد الله ابن زهر عن علي بن يزيد وهما ضعيفان. قال المناوي في ((التيسير بشرح الجامع الصغير))، (٣٢٨/٢): إسناده حسن.

(٢) ينظر ((كنز العمال)): (١٤٩/٧).

(٣) تأكيد كقوله: "ومشى ولم يركب" الآتي. أو المراد غسل رأسه بما اشتمل عليه من شعور وضفائر، واغتسل أي في باقي جسمه لحديث أبي داود: "من غسل رأسه يوم الجمعة واغتسل". أو المراد غسل أهله بوقاعهم واغتسل هو.

(٤) بالذهاب للجمعة، وابتكر تأكيد ليسمع أول الخطبة.

(٥) لاحتساب آثاره، وإن كان في الركوب من ذلك إلا لضعف، فهو كالمشي.

(٦) لم يتكلم وقت الخطبة بشيء.

بِكُلِّ خُطْوَةٍ عَمَلُ سَنَةٍ، أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا[1]﴾. رواه الأربعة وأحمد[2].

ومنها: أنه اليوم الذي تفزع منه السموات والأرض، والجبال والبحار، والخلائق كلها إلا الجن والأنس؛ فروى أبو الجواب[3]، عن عمّار بن زريق، عن منصور، عن مجاهد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: اجتمع كعب وأبو هريرة، فقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: ﴿إِنَّ في الْجُمُعَةِ لَسَاعَةً لا يُوَافِقُهَا[4]

(١) أجر بدل من عمل.

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب الطهارة . باب في الغسل يوم الجمعة، رقم: ٣٤٥، ((سنن الترمذي)): كتاب الصلاة . أبواب الجمعة . باب ما جاء في الغسل يوم الجمعة، رقم: ٤٩٦، ((سنن النسائي)): كتاب الجمعة . باب فضل غسل يوم الجمعة، وباب الفضل في الدنو من الإمام، رقم: ١٣٩٨، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها . باب ما جاء في الغسل يوم الجمعة، رقم: ١٠٨٧، ((مسند أحمد))، رقم: ١٦١٢٠، قال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن، لأجل عبد الرحمن الدمشقي. ذكره هكذا البخاري وسكت عنه ولم يترجم له أحد؛ فالمتن صحيح. فتأمل.

(٣) وهو الأحوص بن جواب.

(٤) أي لا يصادفها.

مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ فيها خَيْرًا، إلا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ﴾[1]، فقال كعب: ألا أحدثكم عن يوم الجمعة، انه إذا كان يوم الجمعة، فزعت له السموات والأرض، والجبال، والبحار، والخلائق كلُّها إلا ابن آدم والشياطين، وحفَّت الملائكة بأبواب المساجد، فيكتبون الأول فالأول حتى يخرج الإمام، فإذا خرج الإمام، طوَوْا صحفهم، ومن جاء بعد جاء لحق الله، ولِمَا كُتِبَ عليه، ويَحقٌّ على كل حالم أن يغتسل فيه، كاغتساله من الجنابة، والصدقة فيه أفضل من الصدقة في

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الدعوات . باب في الساعة التي في يوم الجمعة، رقم: ٩٣٥، ((صحيح مسلم)): كتاب الجمعة . باب في الساعة التي في يوم الجمعة، رقم: ١٩٧٠، قال الشيخ منصور علي ناصف في ((التاج الجامع للأصول))، (١/٢٩٠): التي يستجاب الدعاء فيها بعين المطلوب، وهي ساعة زمنية خفيفة كخمس دقائق كما في الحديث الأول، أو ساعة فلكية ستون دقيقة كما في الحديث الثالث، ووقتها من جلوس الخطيب على المنبر إلى نهاية الصلاة كما في حديث أبي موسى. أو من العصر إلى الغروب كما في اللذين بعده، وحكمه إبهامها انتظارها في كل اليوم كإبهام ليلة القدر، وكما أبهم الرجل الصالح في العباد ليعتقد في كل العباد، وكما أبهم الاسم الأعظم ليدعي بالأسماء الحسنى كلها. فراجعه للتفصيل.

سائر الأيام، ولم تطلع الشمس ولم تغرب على يوم كيوم الجمعة. قال ابن عباس: هـذا حـديث كعـب وأبي هريرة، وأنا أرى، من كان لأهله طيب أن يمس منه يومئذ؛ وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ: ﴿لا تَطْلُـعُ الشَّـمْسُ وَلا تَغْـرُبُ عَلَـى يَـوْمٍ أَفْضَـلَ مِـنْ يَـوْمِ الْجُمُعَةِ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا وَهِيَ تَفْـزَعُ يَـوْمَ الْجُمُعَـةِ إِلا هَـذَيْنِ الثَّقَلَيْنِ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْـسِ﴾، وهــذا حــديث صحيح[1]، وذلك أنه اليوم الذي تقوم فيه الساعة، ويُطوى العالم، وتَخْـرَب فيـه الـدنيا، ويُبعـث فيـه الناس إلى منازلهم من الجنة والنار[2].

ومنها: أن الموتى تدنو أرواحُهم مـن قبـورهم، وتُوافيها في يوم الجمعة، فيعرفون زوَّارهم ومن يمرُّ بهم، ويُسلم عليهم، ويلقاهم في ذلك اليوم أكثـر

---

(١) ((صحيح ابن حبان)): (٥/٧)، رقم: ٢٧٧٠.

(٢) ينظر: ((زاد المعاد)): للعلامة ابن القيم رحمه الله (٤١٢/١).

من معرفتهم بهم في غيره من الأيام، فهو يوم تلتقي فيه الأحياء والأموات، فإذا قامت فيه الساعة، التقى الأولون والآخرون، وأهل الأرض وأهل السماء، والربُّ والعبد، والعامل وعمله، والمظلوم وظالمه، والشمس والقمر، ولم تلتقيا قبل ذلك قطُّ، وهو يوم الجمع واللقاء، ولهذا يلتقي الناس فيه في الدنيا أكثر من التقائهم في غيره، فهو يوم التلاق. قال "أبو التَّيَّاح؛ يزيد بن حميد": كان "مطرّف بن عبد الله" يبادر فيدخل كل جمعة، فأَدْلَج حتى إذا كان عند المقابر يوم الجمعة قال: فرأيت صاحب كل قبر جالساً على قبره فقالوا: "هذا مطرّف" يأتي الجمعة قال: فقلت لهم: وتعلمون عندكم الجمعة؟ قالوا: نعم ونعلم ما تقول فيه الطير قلت: وما تقول فيه الطير؟ قالوا: تقول رب سلم سلم يوم صالح.

وذكر "ابن أبي الدنيا" في "كتاب المنامـات" وغيره عن بعض أهل "عاصـم الجحـدري" قـال: رأيت "عاصماً الجحـدري" في منـامي بعـد موتـه لسنتين فقلت: أليس قد مِتَّ؟ قال: بلى، قلت: فأين أنت؟ قال: أنا والله في روضة من رياض الجنة، أنـا ونفر من أصحابي، نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها إلى "بكر بن عبد الله المزني"، فنتلاقـى أخبـاركم. قلت: أجسامكم أم أرواحكم؟ قال: هيهات بليـت الأجسام، وإنما تتلاقـى الأرواح، قـال: قلـت: فهـل تعلمون بزيارتنا لكم؟ قال: نعلم بها عشية الجمعة، ويوم الجمعة كله، وليلة السبت إلى طلوع الشمس. قال: قلت: فكيف ذلك دون الأيام كلها؟ قال: لفضل يوم الجمعة وعظمته.

وذكر "ابن أبي الدنيا" أيضا، عن "محمد بن واسع"، أنه كان يذهب كل غداة سبت حتى يـأتي الجبَّانة، فيقف على القبور، فيُسلم عليهم، ويـدعو لهم، ثم ينصرف. فقيل له :لو صيّرَت هذا اليوم يوم الاثنين. قال: بلغني أن الموتى يعلمون بزوَّارهم يوم الجمعة، ويوماً قبله، ويوماً بعده.

وذكر عن "سفيان الثوري" قـال: بلغـني عـن "الضحاك"، أنه قال: من زار قبراً يوم السبت قبل طلوع الشمس، علم الميت بزيارته، فقيل له: كيف ذلك؟ قال: لمكان يوم الجمعة[1].

---

(١) ((زاد المعاد)): (١/٤١٥، ٤١٦).

"وفي الختام"

أوصى نبينا وحبيبنا وشفيعنا محمدٌ ﷺ، مُؤكِداً على ثلاثٍ: صلاة الضحى، وصلاة الـوتر، وصـيام ثلاثة أيام من كل شهرٍ قَمَريّ: قال أبو هُرَيْـرَةَ رضي الله عنه: (أَوْصَانِي خَلِيلِي ﷺ بِثَلاثٍ: بِصِيَامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَـهْرٍ، وَرَكْعَتَـيْ الضُّـحَى، وَأَنْ أُوتِـرَ قَبْـلَ أَنْ أَرْقُدَ). رواه الخمسة[1].

ـ وفي روايةٍ أخرى: عن أبي الـدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قـال: (أَوْصَانِي حَبِيبِي ﷺ بِثَلاثٍ، لَنْ أَدَعَهُنَّ مـا عِشْـتُ: بِصِيَامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ من كل شَـهْرٍ، وَصَـلاةِ الضُّـحَى،

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب التهجد ـ باب صلاة الضحى في الحضر، رقم: ١١٧٨، وفي كتاب الصوم ـ باب صيام البيض: ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة، رقم: ١٩٨١ ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتين، وأكملها ثمان ركعات، وأوسطها أربع ركعات أو ست، والحث على المحافظة عليها، رقم: ١٦٦٩، ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـ باب الحث على الوتر قبل النوم، رقم: ١٤٣٢، ((سنن الترمذي)): كتاب الصوم ـ باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر، رقم: ٧٦٠، ((سنن النسائي)): كتاب قيام الليل وتطوع النهار ـ باب الحث على الوتر قبل النوم، رقم: ١٦٧٨

وَبِأَنْ لا أَنَامَ حتى أُوتِرَ). رواه مسلم[1].

- "أما صيام ثلاثة أيام من كل شهر": فَعَن عَبْد اللَّهِ بن عَمْرو ﷺ قَالَ: قَالَ لي النَّبيُّ ﷺ: ﴿صُمْ من الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، فإن الْحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ﴾. متفق عليه[2].

وقال رسول الله ﷺ: ﴿صَوْمُ ثلاثَةَ أيامٍ مِنْ كلِّ شَهْرٍ صُومُ الدَّهْرِ كُلِّهِ وإفطارِهِ﴾. رواه البزار[3].

وفي أخرى: ﴿من صَامَ من كل شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ؛ فَذَلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ؛ فَأَنْزَلَ الله ﷻ تَصْدِيقَ ذلك في

---

(١) ((صحيح مسلم)): صلاة المسافرين وقصرها . باب استحباب صلاة الضحى وأن أقلها ركعتين وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست، والحث على المحافظة عليها، رقم: ١٦٧٢.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الصوم . باب صوم الدهر، رقم: ١٩٧٩، ((صحيح مسلم)): كتاب الصيام . باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرّر به أو فوّت به حقاً أو لم يفطر العيدين والتشريق، وبيان تفضيل صوم يوم وإفطار يوم، رقم: ٢٧٢١.

(٣) ((مسند البزار)): لأبي بكر احمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار: (ت٢٩٢هـ)، (٨/٢٤١)، رقم: ٣٣٠١.

كِتَابِهِ ـ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ﴾ ﴿١٦٠﴾ [(١)] الْيَـوْمُ بِعَشْرَةِ أَيَّامٍ﴾. رواه الترمذي[(٢)].

وهي الأيام البيض[(٣)]؛ قال الإمـام محـيّ الـدين النووي في "رياض الصالحين": والأفضل صـومها في الأيام البيض، وهي: الثالثَ عشرَ، والرابعَ عشرَ، والخامسَ عشرَ، وقيل: الثاني عشرَ، والثالثَ عشرَ، والرابعَ عشرَ، والصحيح المشهور هو الأول: فعـن أبي ذر ﷺ قال: قال رسـول الله ﷺ: ﴿إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثاً، فَصُمْ ثَلاثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ﴾.رواه الترمذي، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ[(٤)].اهـ[(٥)].

---

(١) سورة الأنعام.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب الصوم . باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر، رقم:- ٧٦٢.

(٣) سميت أيام بيض؛ لأنها تبيض بطلوع القمر من أولها إلى آخرها.

(٤) ((سنن الترمذي)): كتاب الصوم . باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر، رقم:- ٧٦١.

(٥) ((رياض الصالحين)): (٢/٢٣٤).

وعن مِلْحَانَ الْقَيْسِيِّ رضي الله عنه قال: كان رسول اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُنَا أَنْ نَصُومَ الْبِيضَ ثَلاثَ عَشْرَةَ وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ وَخَمْسَ عَشْرَةَ قال: وقال: «هُنَّ كَهَيْئَةِ الدَّهْرِ». رواه أصحاب السنن[1].

ـ "أما صلاة الضحى": فقد روي عَن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلامَى مِن أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ[2]: فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَن الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الصوم . باب في صوم الثلاث من كل شهر، رقم: ٢٤٤٩، ((سنن النسائي)): كتاب الصيام . باب ذكر الاختلاف على موسى بن طلحة في الخبر في صيام ثلاثة أيام من كل شهر، رقم: ٢٤٣١، ((مسند أحمد)): قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح. ينظر: ((المسند)): رقم: ١٧٤٤٢، و ١٧٤٤٣، و ٢٠١٩٤، و ٢٠١٩٨.

(٢) السُلامي، كحباري: العظم الصغير جمعها سلاميات، والمراد أعضاء الجسم، وهي ثلاثمائة وستون عضواً، فعلى المسلم أن يتصدق كل يوم بعدد أعضائه شكراً لله على نعمة الحياة من موت النوم، ومن الصدقة التسبيحات ونحوها التي في الحديث المذكور. فتنبه.

ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنْ الضُّحَى[1]». رواه مسلم[2].

وروى الإمام أحمد عن عبد اللَّهِ بن بُرَيْـدَةَ ﷺ قال: سمعت أبي بُرَيْدَةَ يقول: سمعت رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يقــول: «في الإِنْسَانِ سِتُّونَ وثلثمائة مَفْصِلٍ فَعَلَيْـهِ أن يَتَصَدَّقَ عن كل مَفْصِلٍ منها صَدَقَةً» قالوا: فَمَنِ الذي يُطِيقُ ذلك يا رَسُولَ اللَّهِ؟ قال: «النُّخَاعَةُ في الْمَسْجِدِ تَـدْفِنُهَا أَوِ الشـيء تُنَحِّيـهِ عَنِ الطَّرِيـقِ، فـان لـم تَقْـدِرْ، فَرَكْعَتَا الضُّحَى تُجْزِئُ عَنْكَ»[3]. "فـأي كـرمٍ هــذا".

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ

(١) أي: ويكفي عن هذه الصدقات صلاة الضحى، ففي الصلاة حركة لكل عضو في طاعة الله، فقام مقام شكره. فتأمل جداً.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب استحباب صلاة الضحى، وأن أقلها ركعتين، وأكملها ثمان ركعات، وأوسطها أربع ركعات أو ست، والحث على المحافظة عليها، رقم: ١٦٦٨.

(٣) قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، وهو عند أبي داود: (٥/٣٦١)، رقم ٥٢٤٢ في الأدب . إماطة الأذى، وابن حبان ٢٠٧، رقم: ٨١١ (موارد) وابن خزيمة (٢/٢٢٩)، رقم: ١٢٢٦. ينظر: ((المسند)): (١٦/٤٩٣)، رقم: ٢٢٨٩٤.

ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾[1].

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: (كَانَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ يُصَلِّي الضُّحَى أَرْبَعاً وَيَزِيـدُ مَـا شَـاءَ اللَّـهُ). رواه مسلم[2].

وعن أم هـانئَ فاخِتـة بنـت أبـي طالـب رضي الله عنها قالت: (ذَهَبْتُ إلى رسولِ اللهِ ﷺ عامَ الفتحِ فَوَجَدْتهُ يَغْتَسِلُ، فلمّا فَرَغَ مِنْ غُسلِهِ صَـلّى ثمـانيَّ ركعـاتٍ وذلكَ ضُحى). متفق عليه[3]، "وهذا مختصر لفـظ إحدى روايات مسلم".

وعن نُعَيْمِ بن هَمَّارٍ رضي الله عنه قال: سمعـت الـنَّبيَّ ﷺ

---

(١) سورة الأحقاف.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب استحباب صلاة الضحى، وأن أقلها ركعتين، وأكملها ثمان ركعات وأوسطها أربع ركعات أو ست، والحث على المحافظة عليها، رقم: ١٦٦٢.

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب الغسل ـ باب التستر في الغسل عند الناس، رقم: ٢٨٠، وفي كتاب الصلاة ـ باب الصلاة في الثوب الواحد متلحفاً به، رقم: ٣٥٧، وفي كتاب الجزية والموادعة ـ باب أمان النساء وجوارهن، رقم: ٣١٧١، و ((صحيح مسلم)): كتاب الحيض ـ باب تستر المغتسل بثوب ونحوه، رقم: ٧٦٣، و ٧٦٤.

يقول: ﴿يقول الله ﷻ: يا ابن آدَمَ، لا تُعْجِزْنِي من أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ[1] في أَوَّلِ نَهَارِكَ أَكْفِكَ آخِرَهُ﴾. رواه أبو داود والترمذي وأحمد [2].

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: ﴿من حَافَظَ على شُفْعَةِ الضُّحَى[3]، غُفِرَ له ذُنُوبُهُ، وَإِنْ كانت مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ﴾. رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد[4].

---

(١) المراد بالركعات الأربع: صلاة الضحى، فمن صلى صلاة الضحى بقي محفوظاً طول يومه؛ كحديث: "فمن صلى الصبح فهو في ذمة الله تعالى".

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـ باب صلاة الضحى، رقم: ١٢٨٩، بسند صحيح، ((سنن الترمذي)): كتاب الصلاة ـ باب ما جاء في صلاة الضحى، رقم: ٤٧٥، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح. ينظر: ((المسند)): رقم: ٢٢٣٧٠، و ٢٧٣٥٣، و ٢٧٤٢١.

(٣) أي ركعتي الضحى.

(٤) ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في صلاة الضحى، رقم: ١٣٨٢، ((سنن الترمذي)): كتاب أبواب الصلاة ـ باب ما جاء في صلاة الضحى، رقم: ٤٧٦، قال حمزة أحمد الزين: إسناده ضعيف لأجل النهاس. وقد أخرجه من طريقه الترمذي (٣٤١/٢)، رقم: ٤٧٦ وأشار إلى غربته، وابن ماجه (٤٤٠/١)، رقم: ١٣٨٢، والحديث صحيح أخرجه البخاري في التقصير، رقم: ١٢ وفي الأذان، رقم: ٤١، ومسلم في المسافرين، رقم: ٧٨،٨٠. ينظر ((المسند)): (٢٩١/٩)، رقم:٩٦٧٧.

ورَوى الطبراني عن النَّبيِّ ﷺ أنه قـال: ﴿إنّ في الجنَّة باباً يُقالُ له: الضحى، فإذا كان يومُ القيامَةِ نادى مُنادٍ أَيْنَ الذين كانوا يُدِيْمونَ صلاةَ الضحى؟ هذا بابكُم فادْخُلوه برحمةِ الله تعالى﴾[1].

عَن مُعَاذ بن أَنَسٍ الْجُهَنِـيِّ ﷺ عَـنِ الـنَّبيِّ ﷺ قـال: ﴿من قَعَدَ في مُصَلاهُ حين يَنْصَرِفُ[2] من صَلاةِ الصُّـبْحِ حتـى يُسَـبِّحَ[3] رَكْعَتَـيْ الضُّـحَى، لا يقـول إلا خَيْـراً[4]، غُفِـرَ لـه خَطَايَاهُ[5]، وَإِنْ كانـت أَكْثَـرَ مـن زَبَـدِ الْبَحْرِ﴾. رواه أبو داود والبيهقي[6].

وعن أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ قال: قـال رسـول الله

(١) ينظر: ((الدر المنثور)): (٧/٢٦٥)، ((عمدة القاري)): (٧/٢٤٠).

(٢) أي: يفرغ.

(٣) أي: يصلي.

(٤) أي يداوم على ذكر الله في ذلك الوقت، ولا يتكلم بسوء.

(٥) أي: الصغائر. ينظر: ((بذل المجهود في حل سنن أبي داود)): للإمام خليل أحمد السَّهارنفوري: (ت١٣٤٦هـ)، مع تعليقات الإمام محمد زكريا الكاندهلوي: (ت١٤٠٢هـ): (٥/٥١٤، ٥١٥).

(٦) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة . باب صلاة الضحى، رقم: ١٢٨٧، ((سنن البيهقي الكبرى)): (٣/٤٩)، رقم: ٤٦٨٦.

ﷺ: ﴿مَنْ صَلَّى الغَدَاةَ فِي جَماعَةٍ ثُمَّ قَعَدَ يَذْكُرُ اللهَ حَتى تَطلُعُ الشَّمسُ ثُمَّ صلَّى رَكْعَتينَ كَانت لَهُ كأجرِ حجَّةٍ وعُمرةٍ﴾ قال ﷺ: ﴿تَامَّةٍ تَامَّةٍ تَامَّةٍ﴾. رواه الترمذي، وحسَّنهُ[1]؛ ولهذا الحديث شواهد ذكرها أهل الحديث منها: حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ﴿من صلى صلاة الغداة في جماعة ثم جلس يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم قام فصلى ركعتين انقلب بأجر حجة وعمرة﴾، أخرجه الطبراني، قال الهيثمي: إسناده جيد[2]، ومنها: حديث أبي أمامة وعتبة بن عبد مرفوعاً: ﴿مَنْ صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ في جَمَاعَةٍ، ثُمَّ ثَبَتَ في الْمَسْجِدِ يُسَبِّحُ اللَّهَ سُبْحَةَ الضُّحَى، كان له كَأَجْرِ حَاجٍّ وَمُعْتَمِرٍ تامًّا لَهُ حَجَّتُهُ وَعُمْرَتُهُ﴾، أخرجه

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب الجمعة ـ باب ذكر ما يستحب من الجلوس في المسجد بعد صلاة الصبح حتى تطلع الشمس، رقم: ٥٨٦، وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٢) ((مجمع الزوائد)): (١٠٤/١٠).

الطبراني[1]؛ ويسمى "إحياء ما بين الطلوعين والغروبين"؛ أما الطلوعان: فطلوع الفجر الصادق، وطلوع الشمس. والغروبان: غروب الشمس، وغروب الشفق الأحمر ـ وهما وقتان مبالغ بهما عند السلف والخلف: كما قال أكمل الرسل ﷺ: «لئن اقعد بين الطلوعين والغروبين وأذْكُر الله أحبَّ إليَّ مِنْ أنْ أقَاتِلَ حَتى أُقْتَلَ في سَبيلِ اللهِ».

وفي روايةٍ أخرى: «لئن اذكر الله تعالى مع قومٍ بعد صلاةِ الفجرِ إلى طلوعِ الشمس أحب إليَّ من الدنيا وما فيها، ولئن اذكر الله تعالى مع قومٍ بعد صلاة العصر إلى أن تغيب الشمس أحب إليَّ من الدنيا وما فيها». رواه البيهقي[2].

وصلاة الضحى: أقلُّها ركعتان إلى ثمانِ ركعاتٍ،

---

(١) ((المعجم الكبير)): (١٩٢/١٧)، رقم: ٣١٧.

(٢) ينظر: ((شعب الإيمان)): (٤٠٩/١)، رقم: ٥٥٩.

وأوسطها أربع ركعات أو ست، ووقتها إذا حَلَّت الصلاة النافلة بعد شروق الشمس وارتفعت إلى الزوال.

ـ "أما صلاةُ الوترِ": فَعَن عَلِيٍّ ﷺ، وكرَّمَ الله وجهه قَالَ: الْوِتْرُ لَيْسَ بِحَتْمٍ كَصَلاتِكُمْ الْمَكْتُوبَةِ، وَلَكِنْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ، فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ[1]﴾. رواه الأربعة[2].

(١) أي يا أمة محمد، صلوا الوتر فإن الله وتر، أي واحد في ذاته وصفاته وأفعاله يحب الوتر، وظاهره الوجوب كظاهر قوله: "الوتر حق على كل مسلم"، فيفيد أن الوتر واجب، وعليه الحنفية، وقال الجمهور إنه سنة مؤكدة، لقوله ﷺ لمعاذ لما بعثه لليمن: "أخبرهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة"، ولحديث: هل علي غيرها؟ قال: "لا إلا أن تطوع"، ولحديث أحمد والطبراني والحاكم: "ثلاث علي فرائض وهي لكم تطوع النحر والوتر وركعتا الفجر". ولحديث الأصول: كان النبي ﷺ يوتر على راحلته في السفر فإذا أراد الفريضة نزل واستقبل القبلة. ((التاج الجامع للأصول)): (٢١٢/١).

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـ باب استحباب الوتر، رقم: ١٤١٦، ((سنن الترمذي)): كتاب الصلاة ـ باب ما جاء أن الوتر ليس بحتم، رقم: ٤٥٣، وقال: حديث حسن، ((سنن النسائي)): كتاب قيام الليل وتطوع النهار ـ باب الأمر بالوتر، رقم:- ١٦٧٥، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في الوتر، رقم: ١١٦٩.

وعن خَارِجَةَ بن حُذَافَةَ ﷺ قـال: خَـرَجَ عَلَيْنَـا رسول اللَّهِ ﷺ فقال: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ قد أَمَدَّكُمْ[1] بِصَلاةٍ هِيَ خَيْـرٌ لَكُـمْ من حُمْرِ النَّعَمِ[2]؛ وَهِيَ الْوِتْرُ، فَجَعَلَهَا لَكُمْ فِيمَا بين الْعِشَاءِ إِلى طُلُوعِ الْفَجْرِ». رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم وصححه[3].

وَعَن عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما عَن النَّبِيِّ ﷺ، قَـالَ: «اجْعَلُوا آخِرَ صَلاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا». متفق عليه[4].

---

(١) زادكم على الفرائض الخمس.

(٢) حمر كقفل جمع أحمر، والنعم هنا الإبل خاصة من إضافة الصفة للموصوف أي هي خير لكم من الإبل الحمر، وكانت أعز أموال العرب فضرب بها المثل.

(٣) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـ باب استحباب الوتر، رقم: ١٤١٨، ((سنن الترمذي)): كتاب الصلاة ـ أبواب الوتر ـ باب ما جاء في فضل الوتر، رقم: ٤٥٢، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في الوتر، رقم:– ١١٦٨، وقال الحاكم في "المستدرك" (٤٤٨/١): هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. رواته مدنيون ومصريون، ولم يتركاه إلا لما قدمت ذكره من تفرد التابعي عن الصحابي.

(٤) ((صحيح البخاري)): كتاب الوتر ـ باب ليجعل آخر صلاته وترا، رقم: ٩٩٨، ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب صلاة الليل مثنى مثنى، والوتر ركعة في آخر الليل، رقم: ١٧٥٢.

وعَنْ جَابِرٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «مَنْ خَافَ أَنْ لا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيْلِ، فَإِنَّ صَلاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ وَذَلِكَ أَفْضَلُ[1]»، رواه مسلم[2].

وعن أبي هُرَيْـرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قـال: «يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ على قَافِيَةِ[3] رَأْسِ أَحَدِكُمْ إذا هو نَامَ ثَلاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ[4]، فَإِنْ اسْتَيْقَظَ، فذكر اللَّـهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صلى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإِلا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ[5]».

---

(١) لأنه يكون وتراً وتهجداً، فينبغي أن ينوي ذلك، ولأنه وقت التجلي. فتنبه.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله، رقم: ١٧٦٣.

(٣) مؤخرة الرأس، وخص مؤخرة الرأس لأنه محل تصرف الواهمة، وهي أطوع القوى للشيطان وأسرعها له إجابة، والعقد كناية عن شيء يعمله كعقد الحبل يثبط عن القيام عن طاعة الله تبارك وتعالى.

(٤) أي يضرب بيديه قائلاً: باق عليك ليل طويل فارقد.

(٥) فمن ذكر الله تعالى عقب نومه زال كسله، وإلا بقي كسلان.

رواه الخمسة إلا الترمذي[1].

قال الطيبي رحمه الله[2]: مثلت حال من لم يتكاسل ولم ينم عن وظائفه التي تسرع به إلى المقام الزلفى وتنشيطه لاكتساب السعادة العظمى، فكلما همت النفس اللوامة بالفتور تداركها التوفيق بالخلاص من نفث الشيطان وعقد النفس الأمـارة بالسـوء، فيصبح نشيط القلب مطمئن النفس طيبها، يظهر في سيماها أثر السجود: بحالة من أسره العدو، وشد على قفاه بريقة الأسر عقدة بعد عقدة اسيثاقاً وهو يتحرى الخلاص منه بلطائف حِيَله مرة بعد أخرى،

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب التهجد . باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصلّ بالليل، رقم: ١١٤٢، وفي كتاب بدء الخلق . باب صفة إبليس وجنوده، رقم: ٣٢٦٩، ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح، رقم: ١٨١٦، ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة، أبواب قيام الليل . باب قيام الليل، رقم: ١٣٠٦، ((سنن النسائي)): كتاب قيام الليل وتطوع النهار . باب الترغيب في قيام الليل، رقم: ١٦٠٨.

(٢) أنظر ((فتح الملهم)): (١٤٢/٥).

حتى يتخلص منه بالكلية، ويذهب لسبيله بلا مانع ولا منازع، بخلاف من أطاع الشيطان حتى تمكن من النفس الأمارة بضرب العقد على قافية رأسه، فهل يستويان، ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾[(١)].

عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى[(٢)] كُلَّ لَيْلَةٍ إلى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حين يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يقول من يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ له من يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ من يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ له». رواه الخمسة[(٣)].

(١) سورة الملك.

(٢) أي: يتجلى على عباده تجلياً خاصاً، في صلاة التهجد، ويجيب الداعين ويغفر للمستغفرين.

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب التهجد . باب الدعاء والصلاة في آخر الليل، رقم: ١١٤٥، وفي كتاب الدعوات . باب الدعاء نصف الليل، رقم: ٦٣٢١، وفي كتاب التوحيد . باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴿١٥﴾﴾ [سورة الفتح]، رقم: ٧٤٩٤، ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب الترغيب في الدعاء والذكر في

وعن أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قالا: قال رسـول اللَّـهِ ﷺ: ﴿من اسْتَيْقَظَ من اللَّيْلِ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّيَا رَكْعَتَيْنِ جميعاً كُتِبَا من الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ﴾. رواه أبو داود وابن ماجه[1].

وعن بِلالٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: ﴿عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ، فإنه دَأْبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ[2]، وَإِنَّ قِيَامَ اللَّيْلِ قُرْبَةٌ إلى اللَّهِ، وَمَنْهَاةٌ عن الإِثْمِ، وَتَكْفِيرٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَطْرَدَةٌ لِلدَّاءِ عن الْجَسَدِ﴾. رواه الترمذي وغيره[3].

آخر الليل والإجابة فيه، رقم: ١٧٦٩، ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـ باب أي الليل أفضل، رقم: ١٣١٥، ((سنن النسائي الكبرى))، رقم: ٧٧٦٨.

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة ـ باب الحث على قيام الليل، رقم: ١٤٥١، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء فيمن أيقظ أهله من الليل، رقم: ١٣٣٥، وهو حديث صحيح. ينظر: ((شروح ابن ماجه)): (٥٣٤/١).

(٢) دأب بسكون الهمزة، ويبدل ويحرك؛ أي: عادتهم وشأنهم. قال الطيبي: الدأبُ: العادة والشأن، وقد يُحَرَّك وأصله من دَأَبَ في العمل، إذا جد وتعب. ينظر: ((تحفة الأحوذي)): (٤٩٧/٩).

(٣) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات ـ باب في دعاء النبي ﷺ، قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه، قال عبد السلام بن محمد بن عمر علوش: أخرجه ابن خزيمة في "صحيحه"، رقم: ١١٣٥، وابن نصر (ص١٨)، وابن عدي (ق ١/٢٢٠)، والترمذي في "الجامع" رقم: ٣٥٤٣، ٣٥٤٤، والبيهقي في "السنن الكبرى" (٥٠٢/٢)،

وصلاةُ اللّيلِ هي: طريقةُ وعادةُ وأخلاقُ الصالحينَ ﷺ، وعنا بهم أجمعين. فتنبه جداً.

قال أكمل الرسل ﷺ: «إذا قام أحدكم من اللَّيْلِ، فَلْيَفْتَتِحْ صَلاتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ». رواه مسلم[1].

«خَفِيفَتَيْنِ» أي: لينشط لما بعدهما.

عن ابن عُمَرَ أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عن صَلاةِ اللَّيْلِ؟ فقال رسول اللَّهِ ﷺ: «صَلاةُ اللَّيْلِ مَثْنَى مَثْنَى[2]، فإذا خَشِيَ أحدكم الصُّبْحَ، صلى رَكْعَةً

وله شواهد عن بلال وأبي الدرداء وسلمان وجابر، فهو حديث صحيح بمجموع شواهده. ينظر: ((المستدرك)): (٦١٣/١)، رقم: ١١٩٧.

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها . باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه، رقم: ١٨٠٤.

(٢) اختلف الأئمة في صلاة الليل والنهار، فقال أبو يوسف، ومحمد، ومالك، والشافعي، وأحمد: إن صلاة الليل مثنى مثنى، وهو أن يسلم في آخر كل ركعتين، وأما صلاة النهار فأربع عندهما (أي أبو يوسف ومحمد رحمهما الله تعالى. وعند أبي حنيفة رحمه الله أربع في الليل والنهار، وعند الشافعي رحمه الله فيهما مثنى مثنى). وقال الأثرم عن أحمد: الذي أختاره في صلاة الليل مثنى مثنى، فإن صلى بالنهار أربعاً فلا بأس. ((فتح الملهم)): (٥/٥٦).

وَاحِدَةً﴾. متفق عليه[1].

وأوصى نبينا وحبيبنا محمدٌ ﷺ جَدّنا عليّاً المرتضى عليه السلام والرضوان، قائلاً: ﴿يا عليُّ: احفظ التوحيد فإنه رأس مالي، والزم العمل فإنه حرفتي، وأقم الصلاة فإنها قرة عيني، واذكر الرب فإنه بصيرة فؤادي، واستعمل العلم فإنه ميراثي﴾[2]. اللّهم وفقنا لذلك، آمينَ.

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾[3].

اللهم اجْعَلْ لي في قَلْبِي نُوراً، وفي لِسَانِي نُورًا، وفي سَمْعِي نُورًا، وفي بَصَرِي نُورًا، وَمِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الصلاة ـ باب الحِلق والجلوس في المسجد، رقم: ٤٧٢ و ٤٧٣، وفي كتاب الوتر ـ باب ما جاء في الوتر، رقم: ٩٩٠ و ٩٩٣، وباب ساعات الوتر، رقم: ٩٩٥، ((صحيح مسلم)): صلاة المسافرين وقصرها ـ باب صلاة الليل مثنى مثنى، والوتر ركعة في آخر الليل، رقم: ١٧٤٥.

(٢) ((التفسير الكبير)): (١٧٦/٢).

(٣) سورة إبراهيم.

شِمَالِي نُورًا، وَمِنْ بَيْنِ يَدَيَّ نُورًا، وَمِنْ خَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي نَفْسِي نُورًا، وَأَعْظِمْ لي نُورًا.

اللَّهُمَّ أَكْرِمْنَا بالعِلْمِ وَالعَمَلِ، وَالطَاعَةِ وَالأَدَبِ، والمعرفة وَالمَحَبَّةِ، والافتقار وَالدَعْوَةِ؛ بِرَحْمَتِكَ وَلُطْفِكَ؛يا أرحم الراحمين، يا أكرم الأكرمين، يا أجود الجوادين، يا لَطِيْفُ يا وَاسِعُ يا عَلِيْمُ، يا اللهُ. آمين.

اللّهم صلِّ وسَلِّم وبارِك على حبيب رب العالمين وخاتم النبيين والمرسلين ـ عليه وعليهم أجمعين. وعلى أهل بيت النَّبِيِّ المكرمين، وأصحاب رسول الله الغر الميامين، وتابعيهم بإحسانٍ إلى يوم الدين ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[1].

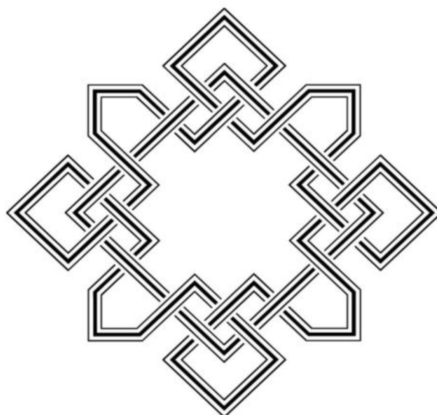
---

(١) سورة البقرة.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[1] .

(١) سورة الصافات.


رُكْنُ الزَّكَاة









"الركنُ الثالثُ": الزكـاةُ، وهـي في اللغـةِ:- التطهيرُ، والنماءُ، والإصلاحُ، والمدحُ.

وفي الشرعِ: عبارةٌ عن إيجابِ طائفةٍ مِنَ المالِ، في مالٍ مخصوصٍ، لمالكٍ مخصوص.

"وفرضيتُها" قال الله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [1]، أمر الحق جـلَّ وعـلا بإقامـة الصـلاة، بشـروطها وأركانهـا وآدابها، ظاهراً وباطناً؛ وأمرهـم تعالى بإيتاء الزكـاة مـن الأمـوال الـتي اسـتخلف الله عليهـا العبـاد، وأعطاهم إياها، بأن يؤتوها الفقراء وغيرهـم، ممـن ذكرهم الله لمصرف الزكاة، فهـذان أكـبر الطاعـات وأجلها؛ كما قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يُصَلِّي الصَّـلَوَات الخَمْـسَ، وَيَصُـومُ رَمَضَـانَ، وَيُخْـرِجُ الزَّكَـاةَ،

---

(١) سورة النور.

وَيَجْتَنِبُ الكَبَائِرَ السَّبْعَ، إِلاَّ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّة، فَقِيلَ لَهُ: ادْخُلْ بِسَلاَمٍ﴾. رواه النسائي[1]، قوله ﷺ: ﴿ادْخُلْ بِسَلاَمٍ﴾ أي: بسلامة من العذاب، وكلّ مخوفٍ[2]؛ كما قال تعالى: ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[3].

سُئل ابن مسعود رضي الله عنه (أَيُّ دَرَجَاتِ الإِسْلامِ أَفْضَلُ؟ قال: الصَّلاةُ، قال: ثُمَّ أَيٌّ؟ قال: الزَّكَاةُ، قال: ثم أي؟ قال: بر الوالدين، قال: فمع من المرء؟ قال: أحسبه قال: مع من أحب).رواه الطبراني مرفوعاً[4].

وقال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾﴾[5].

---

(١) ((سنن النسائي)): كتاب الزكاة ـ باب وجوب الزكاة، رقم: ٢٤٣٨.

(٢) ((تاج التفاسير)): للعلامة السيد محمد عثمان بن أبي بكر بن عبد الله الميرغني: (ت١٢٦٨هـ)، (١٧٥/٢).

(٣) سورة الحجر.

(٤) ((المعجم الكبير)): (٢٥/١٠)، رقم: ٩٨٢٤، ورواه غيره عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد))، (٦٨/٣).: رواه الطبراني في "الكبير" ورجاله موثقون.

(٥) سورة التوبة.

﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً﴾ وهي الزكاة المفروضة، والمعنى: خذ يا أكرم الرسل من أموالهم، فكان النبي ﷺ، يأخذ منهم أيام حياته، ثم أخذها من بعده الأئمة؛ فيجوز للإمام أو نائبه أن يأخذ الزكاة من الأغنياء ويدفعها إلى الفقراء[1].

والصَدقةُ: مطهرةٌ للنفسِ، مرضاةٌ للرب، وحصنٌ للمال، وتقويةٌ للسناد[2].

﴿تُطَهِّرُهُمۡ﴾ أي من الذنوب، ومن دنس البخل، ولوم الطبع، ودناءة الشُّحّ المذموم عند كلٍّ ذي ذوقٍ سليم. ﴿وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ أي: تُنميهم، حتى

(١) ((تفسيرالخازن)): لعَلاء الدّين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي(ت٧٨٥هـ) (١٨٣/٣).

(٢) يقال: "ناقة سناد": شديدة الخَلْق، وقال ابن برزج: السناد من صفة الإبل أن يُشْرِفَ حارِكُها؛ وقال الأَصمعي: في المُشْرِفة الصدر والمُقَدَّم، وهي المُسانِدَة؛ وقال شمر: أَي يُساند بعض خلقها بعضاً؛ قال الجوهري: السِّناد الناقة الشديدة الخلق، قال ذو الرمة: جُمالِيَّةٌ حَرْفٌ سِنادٌ يُشِلُّها وظِيفٌ أَزَجُّ الخَطوِ ظَمآنُ سَهْوَقُ جُمالِيَّة ناقة عظيمة الخَلْق مُشَبَّهَة بالجمل لعُظْم خلقها؛ ينظر ((لسان العرب)): لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، (ت٧١١هـ)، (٢٢٠/٣).

تنموا نفوسهم على حبِّ الخير، وتزرع في قلوبهم شجر العطف على الفقير والضعيف والمحتاج؛ بهذا تنمو النفس، وتُرفعُ إلى أعلى الـدرجات، وتُنمّـي أموالهم؛ كما قـال تعـالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾[1]، أي يُوق بتوفيق الله شُحّها حتى يخالفها فيما يطلب عليها من حُبِّ المال وبُغض الإنفاق؛ فإنه إذا وُقِـيَ العبد شُحَّ نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعاً منقاداً منشرحاً بها صـدره، وسمحـت نفسه بتركه ما نهى الله تعالى عنه، وإن كان محبوبـاً للنفس تدعو إليه وتطلع إليه.

وسمحـت نفسـه ببـذل الأمـوال في سـبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز[2].

---

(١) سورة الحشر.

(٢) ((تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)): (ص٨١٤).

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ أي الفائزون بخير الدارين ـ من الفلاح في الدنيا، والفوز في الآخرة.

ففي الصحيحين: جاء رَجُلٌ إلى رسول اللَّهِ ﷺ فقال: إني مَجْهُودٌ[1]، فَأَرْسَلَ إلى بَعْضِ نِسَائِهِ، فقالت: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ما عِنْدِي إلا مَاءٌ، ثُمَّ أَرْسَلَ إلى أُخْرَى، فقالت: مِثْلَ ذلك، حتى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذلك؛ لا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ ما عِنْدِي إلا مَاءٌ، فقال: «من يُضِيفُ هذا[2]، اللَّيْلَةَ، رَحِمَهُ اللهُ» فَقَامَ رَجُلٌ من الأَنْصَارِ، فقال: أنا يا رَسُولَ اللَّهِ؛ فَانْطَلَقَ بِهِ إلى رَحْلِهِ فقال لامْرَأَتِهِ: هل عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ قالت: لا، إلا قُوتُ صِبْيَانِي، قال: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ، فإذا دخل ضَيْفُنَا فَأَطْفِئْ السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ، فإذا أَهْوَى

---

(١) أي جائع جداً.

(٢) بدأ رسول الله ﷺ، بنفسه وأهله، فلما لم يجد في بيته شيئاً يواسيه به، رغّب غيره في مساعدته، وهذا حكم المواساة في الشدائد، أن يساعد الرجل المجهودين بنفسه، فإن لم يستطع حوّلهم إلى غيره.

لِيَأْكُلَ فَقُومِي إلى السِّرَاجِ حتى تُطْفِئِيهِ، قال: فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ؛ فلما أَصْبَحَ غَدَا على النَّبِيِّ ﷺ فقال: «قد عَجِبَ الله من صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ»، فـأنزل الله تعالى الآية في شأنه. متفق عليه[1].

"أي أخي": من سلَّمه الله من البخل فقد أفلح ونجح؛ "والشُّحُّ": هو البخل الشديد مـع الجشـع، وهو غريزة في النفس، ولذلك أضيف إليهـا؛ قـال "ابن عمر": ليس الشح أن يمنع الرجل ماله، إنمـا الشُّحُّ أن تطمع عينه فيما ليس لـه[2]؛ قـال أكمـل الرسل ﷺ: «وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فإن الشُّحَّ أَهْلَكَ من كان

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب المناقب. باب قول الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ٩﴾. [سورة الحشر]، رقم: ٣٧٩٨، ((صحيح مسلم)): كتاب الأطعمة. باب إكرام الضيف وفضل إيثاره، رقم: ٥٣٢٧، و ٥٣٢٨،

(٢) ((صفوة التفاسير)): للشيخ محمد الصابوني: (٣/٣٣٢).

قَـبْلَكُمْ[1] حَمَلَهُـمْ على أَنْ سَـفَكُوا دِمَـاءَهُمْ وَاسْـتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ». رواه مسلم وأحمد[2].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾[3].

"أي إخوتي": اعلموا أن الدنيا لعـب ولهـو، وزينة وتفاخر وتكاثر في الأمـوال والأولاد، وهـذا كله باطل إلا ما كان منها في عبادة الله ﷻ وطاعته،

(١) قال القاضي: يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنهم بأنهم سفكوا دمائهم، ويحتمل أنه هلاك الآخرة، وهذا الثاني أظهر ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والآخرة. انظر: ((تكملة فتح الملهم)): (٢٩٧/١١).

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب البر والصلة والآداب . باب تحريم الظلم، رقم: ٦٥١٩، ((مسند أحمد)): (٤٥٥/١١، ٤٥٦)، رقم: ١٤٣٩٨.

(٣) سورة محمد . صلى الله عليه وسلم.

وإذا كان الأمر كذلك فيجب ألا تشغلكم الدنيا عن الآخرة والفوز بلذائذها الفاخرة، فالآخرة خير وأبقى، وأن تؤمنوا وتتقوا أيها الناس يؤتكم أجوركم، ولا يسألكم أموالكم كلها؛ إنما يسألكم قليلاً من المال هو في الواقع تحسين لكم ولمالكم، وإنما أنتم في الواقع خلفاء الله في ماله، فأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه، ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ﴾ ويبالغ في طلبها كلها تبخلوا، ولا تقرضوه قرضاً حسناً تثابون عليه، ويخرج هذا أضغانكم وحبكم للمال، إذ كراهيتكم للإنفاق كراهية طبيعية.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾، ومن يبخل فإنما بخله وعاقبته على نفسه وحده، والله الغني على إنفاقكم، وإنما سبحانه قد ربط أسباب النجاح

والفلاح بالإنفاق والجهاد في سبيل الله والله الغـني وأنتم الفقراء إليه.

وإن تولوا وتعرضوا يستبدل قوماً غيركم، ثم لا يكونـوا أمثـالكم، بـل يكونـوا طـائعين مـؤمنين عاملين[1].

قال أكمل الرسل ﷺ: ﴿ ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ، فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الشُّحِّ: مَنْ أَدَّى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ، وَقَرَّى الضَّيْفَ، وَأَعْطَى فِي النَّوَائِبِ[2]﴾. رواه الطبراني[3].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: ﴿مَثَلُ الْبَخِيلِ وَالْمُتَصَدِّقِ: مَثَلُ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُبَّتَانِ مِنْ

---

(١) ((تفسير الواضح)): لمحمد محمود حجازي، (٢٦/٣٤، ٣٥).

(٢) أي: في أوقات الشدة.

(٣) ((المعجم الصغير)): (١/٩٤)، رقم: ١٢٦، قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد))، (٣/٦٨): رواه الطبراني في الصغير وفيه زكريا بن يحيى الوقار وهو ضعيف.

حَدِيدٍ[1] مِنْ ثُدَيِّهِمَا إِلَى تَرَاقِيهِمَا[2]، إِذَا هَمَّ الْمُتَصَدِّقُ بِصَدَقَةٍ اتَّسَعَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تعفِّيَ أَثَرَهُ[3]، وإِذَا هَمَّ الْبَخِيلُ بِصَدَقَةٍ تَقَلَّصَتْ عَلَيْهِ، وَانْضَمَّتْ يَدَاهُ إِلَى تَرَاقِيهِ وَانْضَمَّتْ كُلُّ حَلْقَةٍ إِلَى صَاحِبَتِهَا﴾ قال: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول: ﴿فَيَجْهَدُ أَنْ يُوَسِّعَهَا فَلا يَسْتَطِيعُ﴾. رواه الشيخان [4].

---

(١) وفي رواية: ((عليهما جنتان)): تثنية جنة بالضم وهي الدرع.

(٢) الثديّ جمع ثدي، والتراقي جمع ترقوة وهي عظم الحلق.

(٣) حتى تطمس أثر مشيه من طولها.

(٤) ((صحيح البخاري)): كتاب الزكاة ـ باب مثل المتصدق والبخيل، رقم: ١٤٤٤، ((صحيح مسلم)): كتاب الزكاة ـ باب مثل المنفق والبخيل. رقم: ٢٣٥٦ و ٢٣٥٧ و٢٣٥٨، الحديث ضرب مثلا للبخيل والمتصدق، فمثلهما مثل رجلين عليهما درعان قصيران ضيقان من الحديد، فإذا هم المتصدق بصدقة اتسع درعه وطال حتى يجر على الأرض، والمراد انشرح صدره ففرح لها بكل جوارحه فأخرجها وهو مملوء بالإخلاص، فتقبلها الرحمن بيمينه، وإذا هم البخيل بصدقة انقبضت عليه درعه وانضمت حلقاته إلى بعضها وانضمت يداه إلى عنقه فلم يقدر على إخراجها، والمراد غلبت عليه الشح فماتت جوارحه عن فعل الخير، قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾. انظر: ((التاج الجامع للأصول)): (٥/٢٢٠).

ـ وقال تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡۗ﴾،
فالصلاةُ منك يا أكمل الرسل ﷺ دعاء لهم بـالخير،
وسكن لنفوسهم من الاضـطراب عقـب الـذنب
الذي وقع بالمخالفـة، والمعنـى: ادعُ أيهـا الرسـول
الكريم للمتصدقين بالخير والبركات، واستغفر الله
لهم؛ فدعاؤك واستغفارك سـكن لهـم، ورحمـة لهـم،
واطمئنان لقلوبهم، وارتياح إلى قبول توبتهم.
﴿وَٱللَّهُ سَمِيعٌ﴾ سمع دعائك أيها النبي الكـريم
سمـع إجابـةٍ وقبـول، أو لكـل قـول ومجـاز عليـه ـ
لإخلاصهم ومناجاتهم. ﴿عَلِيمٌ﴾ بكل قصد ونيـة،
وبما فيه الخير والمصلحة.
"وفي هذه الآية دلالة على وجـوب الزكـاة في
جميع الأموال".

وقال تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧﴾[1].

- ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ﴾ أكدوا إيمانهم بالإخلاص في عموم الأعمال والأفعال والأخلاق.

﴿وَأَنفَقُواْ﴾ بلا شوب المنّ والأذى، وشين السمعة والرياء.

﴿لَهُمۡ﴾ أي: بسبب ما جمعوا بين الإيمان بالله والإيمان برسوله ﷺ، والنفقة الخالصة لوجهه تعالى.

﴿أَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ أي: لا أجر أكبر منه وأعلى - من الجنان، والنظر إلى وجه الله الكريم، ﴿وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۚ ٧٢﴾[2]. فتأمل جداً.

---

(١) سورة الحديد.

(٢) سورة التوبة.

"أما المانعون للزكاة والإنفاق في سبيله تعالى"؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٤﴾ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡۖ هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾[1].

﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ﴾ من جمع المال ومنع الحقوق الواجبة فيه، سواء كان من أهل الكتاب أم من المسلمين. والمراد بالإنفاق في سبيل الله: أداءُ الزكاة. وكلُّ شيء مجموع بعضُه إلى بعض في بطن الأرض أو على ظهرها: كنزٌ، وجمعُه كنوزٌ[2].

---

(١) سورة التوبة.

(٢) ((صفوة البيان لمعاني القرآن)): لفضيلة الشيخ حسين محمد مخلوف: (ص٢٥٣).

﴿وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: لا يـــــؤدون زكاتها، ولا يبذلون منها في وجـوه الخـير؛ فعـن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قالت: كنت أَلْبَسُ أَوْضَاحًا من ذَهَبٍ[1]، فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَنْزٌ هو؟ فقـال: «ما بَلَغَ أَنْ تُـؤَدَّى زَكَاتُـهُ فَزُكِّـيَ، فَلَـيْسَ بِكَنْـزٍ». رواه أبـــو داود والحاكم وصحَّحَه[2].

ـ وفي روايةٍ: «كُلُّ مَالٍ، وَإِنْ كَانَ تَحْتَ سَبْعَ أَرَضِينَ يُؤَدَّى زَكَاتُهُ، فَلَيْسَ بِكَنْزٍ، وَكُلُّ مَالٍ لا يُؤَدَّى زَكَاتُهُ، وَإِنْ كَانَ ظَاهِرًا فَهُوَ كَنْزٌ». رواه الطبراني[3].

﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ أي: اخبرهم يا أكمـل الرسل ﷺ؛ بالعذاب الأليم في الجحيم. وقد وضـع

---

(١) الأوضاح: جمع وضح بالتحريك، وهو: خلخال من الفضة غالباً لوضوحه وبياضه.

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب الزكاة ـ باب الكنز ما هو؟ وزكاة الحلي، رقم: ١٥٦٤، وهو حديث حسن المرفوع منه فقط، وقد صححه الحاكم في ((المستدرك)): (٥٤٧/١)، رقم:١٤٧٨، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(٣) ((المعجم الأوسط)): (١٦٣/٨).

الوعيد لهم بالعذاب موضع البشارة بالتنعم لغيرهم ـ من المؤمنين الممتثلين.

﴿ يَوۡمَ يُحۡمَىٰ عَلَيۡهَا ﴾ يُوقد عليها فيُحرَقون.

﴿فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكۡوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمۡ ﴾ أي: تُحرقُ جهةُ أمامهِم بالكي عليها.

﴿وَجُنُوبُهُمۡ وَظُهُورُهُمۡ ﴾ أي: يتقلبون عليها بجميع جسدهم، ويقال لهم: ﴿هَٰذَا مَا كَنَزۡتُمۡ لِأَنفُسِكُمۡ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴾ أي: يقال لهم تبكيتاً وتقريعاً؛ هذا ما كنزتموه لأنفسكم فذوقوا اليوم وبال وعذاب ما كنتم تكنزونه ـ بدل ما كنتم تتلذذون بها.

روى أصحاب السنن: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ وَلا فِضَّةٍ، لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، صُفِّحَتْ[1]

---

(١) أي: جُعلت وهيئت.

لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَى بِهَا جَنْبُهُ وَجَبِينُهُ وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ».

- قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالإِبِلُ؟ قَالَ: «وَلا صَاحِبُ إِبِلٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلَبُهَا[1] يَوْمَ وِرْدِهَا[2]، إِلاَّ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، بُطِحَ[3] لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ[4]، أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، لا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلاً[5] وَاحِدًا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاهَا رُدَّ

---

(١) أي: الصدقة بشيء من لبنها.

(٢) على الماء للشرب.

(٣) أُلقي وطرح على الأرض. وقال جماعة: معناه ألقي على وجهه، قال القاضي: قد جاء في رواية البخاري: ((يخبط وجهه بأخفافها)) وهذا يقتضي أنه ليس من شرط البطح كونه على الوجه، وإنما هو في اللغة بمعنى البسط والمد، فقد يكون على وجهه وقد يكون على ظهره، ومنه سميت بطحاء مكة لانبساطها. انظر ((موسوعة فتح الملهم)): (٦/٧٣).

(٤) القاع: المستوى الواسع من الأرض يعلوه ماء السماء فيمسكه، قال الهروي: وجمعه قيعة وقيعان، مثل جار وجيرة وجيران، والقرقر: المستوى أيضاً من الأرض الواسع، وهو بفتح القافين.

(٥) ولد الناقة إذا فصل عن أمه ولبنها.

عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ﴾.

ـ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ؟ قَالَ: ﴿وَلا صَاحِبُ بَقَرٍ وَلا غَنَمٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلا إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ بُطِحَ لَهَا بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، لا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئاً، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ(١) وَلا جَلْحَاءُ(٢) وَلا عَضْبَاءُ(٣) تَنْطَحُهُ بِقُرُونِهَا وَتَطَؤُهُ بِأَظْلافِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاهَا رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ الْعِبَادِ، فَيَرَى سَبِيلَهُ إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَإِمَّا إِلَى النَّارِ﴾.

ـ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْخَيْلُ؟ قَالَ: ﴿الْخَيْلُ ثَلاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ

---

(١) أي: ملتوية القرنين.

(٢) التي لا قرن لها.

(٣) المشقوقة الأذن.

أَجْرٌ؛ فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ وِزْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً[1] عَلَى أَهْلِ الإِسْلامِ فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ سِتْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي ظُهُورِهَا وَلا رِقَابِهَا[2]، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَهُ أَجْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لأَهْلِ الإِسْلامِ، فِي مَرْجٍ وَرَوْضَةٍ فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ الْمَرْجِ أَوْ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ إِلا كُتِبَ لَهُ، عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَاتٌ، وَكُتِبَ لَهُ عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا، حَسَنَاتٌ، وَلا تَقْطَعُ طِوَلَهَا فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ[3] إِلا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ، عَدَدَ آثَارِهَا

---

(١) أي: معاداة.

(٢) استدل به أبو حنيفة على وجوب الزكاة في الخيل، ومذهبه أنه إن كانت الخيل كلها ذكوراً فلا زكاة فيها، وإن كانت إناثا، أو ذكوراً وإناثاً وجبت الزكاة، وهو بالخيار إن شاء أخرج عن كل فرس ديناراً، وإن شاء قومها وأخرج ربع عشر القيمة، وقال مالك والشافعي وجماهير العلماء: لا زكاة في الخيل بحال للحديث السابق: "ليس على المسلم في فرسه صدقة" وتأولوا هذا الحديث على أن المراد أنه يجاهد بها، وقد يجب الجهاد بها إذا تعين، وقيل: يحتمل أن المراد بالحق في رقابها: الإحسان إليها، والقيام بعلفها، وسائر مؤنها، والمراد بظهورها: إطراق فحلها إذا طلبت عاريته، وهذا على الندب، وقيل: المراد حق الله مما يكسبه من مال العدو على ظهورها، وهو خمس الغنيمة. انظر ((موسوعة فتح الملهم)): (٦/٧٤، ٧٥).

(٣) معنى استنت، أي: جرت، والشرف بفتح الشين المعجمة والراء، وهو العالي من الأرض، وقيل المراد هنا طلقاً أو طلقتين.

وَأَرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ وَلا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَى نَهْرٍ فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا[1]، إِلاَّ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ عَدَدَ مَا شَرِبَتْ حَسَنَاتٍ».

ـ قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَالْحُمُرُ؟ قَالَ: «مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِي الْحُمُرِ شَيْءٌ إِلا هَذِهِ الآيَةَ الْفَاذَّةُ الْجَامِعَةُ[2]»:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ (٨)﴾[3]. رواه الخمسة إلا الترمذي[4].

وَعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «من آتَاهُ الله مَالاً فلم

(١) هذا من باب التنبيه، لأنه إذا يحصل له هذه الحسنات من غير أن يقصد سقيها، فإذا قصده فأولى بإضعاف الحسنات.

(٢) معنى الفاذة: القليلة النظير، والجامعة أي: العامة المتناولة لكل خير ومعروف، وفيه إشارة إلى التمسك بالعموم ومعنى الحديث: لم ينزل عليَّ فيها نص بعينها لكن نزلت هذه الآية العامة.

(٣) سورة الزلزلة.

(٤) ((صحيح البخاري)): كتاب الزكاة ـ باب إثم مانع الزكاة، رقم: ١٤٠٢، ((صحيح مسلم)): كتاب الزكاة ـ باب إثم مانع الزكاة، رقم: ٢٢٨٧، ((سنن أبي داود)): كتاب الزكاة ـ باب في حقوق المال، رقم: ١٦٥٨، ((سنن النسائي)): كتاب الزكاة ـ باب مانع زكاة الإبل، رقم: ٢٤٤٨.

يُؤَدِّ زَكَاتَهُ مُثِّلَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُجَاعًا[1] أَقْرَعَ لَه زَبِيبَتَانِ[2] يُطَوَّقُهُ يوم الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِلِهْزِمَيْهِ[3]، ثُمَّ يقول: أنا مَالُكَ أنا كَنْزُكَ ثُمَّ تَلا[4]: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١٨٠﴾[5]. رواه البخاري والنسائي ومالك وأحمد[6].

- ﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أي: سيُجعل

---

(١) وهو الحية الذكر، أو الذي يقوم على ذنبه فيواثب الرجل، وربما بلغ الفارس، ووصفه بالأقرع، أي ليس برأسه شعر لطول عمره وكثرة سمه.

(٢) تثنية زبيبة، أي: نابان يخرجان من فيه، أو نكتتان سوداوان فوق عينه، وهذا وصف أخبث الحيات. فتنبه.

(٣) بكسر اللام والزاي، تثنية لهزم، وهو عظم اللحى تحت الأذن وفي لفظ: بلهزمتيه؛ والمراد التقاء رأسه وذنبه بشدقيه.

(٤) أي: النبي ﷺ، ومعنى ما تقدم: أن من كان له مالٌ لم يخرج زكاته عذب به يوم القيامة، إن كان نعماً، عذبته بالنطح والعض والبطش ونحوها، وإن كان نقداً، عمل له صفائح في النار وكوى به، أو يتمثل له بثعبان عظيم يطوقه ويعذبه مدة يوم القيامة.

(٥) سورة آل عمران.

(٦) ((صحيح البخاري)): كتاب الزكاة ـ باب إثم مانع الزكاة، رقم: ١٤٠٣، ((سنن النسائي)): كتاب الزكاة ـ باب مانع زكاة ماله، رقم: ٢٤٨١، ((موطأ مالك)): كتاب الزكاة ـ باب ما جاء في الكنز، رقم: ٥٩٨، ((مسند أحمد)): (٨/ ٣٨٠، ٣٨١)، رقم: ٨٦٤٦.

ما بَخِلوا به من المال الواجب عليهم أداؤه؛ يطوقون حية، أو طوقاً من نار في أعناقهم يوم القيامة، أو سيُلزمون وبالَ ما بَخِلوا به إلزامَ الطّوق؛ كما قال ﷺ: «مَا من رجلٍ لا يُؤَدِّي زَكَاة مَاله إِلا جعل الله لَهُ شجاعاً فِي عُنُقه يَوْم الْقِيَامَة»[(١)].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (أن هذه الآية نزلت في أحبار اليهود، كتموا صفة محمّدٍ ﷺ ونبوتِه، وأراد بالبخل كتمان العلم)[(٢)]. فتأمل.

قال النَّبيُّ الكريم ﷺ: «الْبَخِيلُ الَّذِي مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»[(٣)].

---

(١) أخرجه البُخَارِيّ من حَدِيث أبي هُرَيْرَة، وَالتِّرْمِذِيّ ، وَالنَّسَائِيّ من حَدِيث ابْن مَسْعُود نَحوه. انظر: ((الفتح السماوي بتخريج أحاديث القاضي البيضاوي)): للمناوي، (٤٤٢/١).

(٢) ((تفسير البغوي)): (٣٧٨/١).

(٣) ((مسند احمد)): (٢٠١/١)، رقم: ١٧٣٦، ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات . باب قول رسول الله ﷺ: ((رغم انف رجل))، رقم: ٣٥٤٦، وقال: حسن صحيح، والبخاري في ((تاريخه الكبير)): (١٤٨/٥)، قال الحاكم في ((المستدرك)) (٧٣٤/١)، رقم: ٢٠٥٩، هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وله شاهد عن أبي هريرة. وقال العجلوني في ((كشف الخفاء))، (٣٣١/١): رواه أحمد، والنسائي في "الكبرى"، والبيهقي في=

"أي أخي": اعلم أن الصدقة خير أبواب البر ومانعة من البلايا، والعاهات، والعذاب؛ كما قال رسول الله ﷺ: ﴿الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ[1]، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ

="الشعب" والدعوات، والطبراني في "الكبير"، وآخرون عن الحسين بن علي مرفوعاً، زاد البيهقي وأحمد في روايةٍ: "كل البخيل"، وصححه ابن حبّان وقال: إنه أشبه شيء روي عن الحسين، ورواه الحاكم، والدارقطني ورجحه عنه، وأخرجه الحاكم أيضاً عن علي ابن الحسين عن أبي هريرة، ورواه الترمذي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه رفعه وقال: حسن صحيح، وروي عن جماعة آخرين بيّنهم في ((القول البديع))، وقال الحافظ في "الفتح"، (١١/١٦٨): لا يقصر عن درجة الحسن. وقال الألباني: (صحيح)، أنظر حديث، رقم: ٢٨٧٨ في ((صحيح الجامع)). فتأمل.

(١) قال الإمام الغزالي في"إحياء العلوم"،(١/١٢٥، ١٢٦):قال النبيُّ ﷺ: ((الطهور نصف الإيمان)) قال الله تعالى: ﴿ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ ۝٦ ﴾ [سورة المائدة]، فتفطن ذوو البصائر بهذه الظواهر أن مراد الشارع ليس مقصوراً على عمارة الظاهر بالتنظيف بإفاضة الماء فقط، بل الطهارة لها أربع مراتب: "المرتبة الأولى": تطهير الظاهر عن الأحداث والأخباث. "المرتبة الثانية": تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام. "المرتبة الثالثة": تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة. "المرتبة الرابعة": تطهير السر عما سوى الله تعالى؛ وهي طهارة الأنبياء صلوات الله عليهم، والصديقين. فليتأمل.

. والطهارة في كل مرتبة نصف العمل الذي فيها، فإن الغاية القصوى في عمل السر أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته، ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة في السر ما لم يرتحل ما سوى الله منه،وهذا تطهير السر، ولذلك قال الله تعالى:﴿ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٩١ ﴾.[سورة الأنعام:] لأنهما لا يجتمعان في قلب، وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه.

"وأما عمل القلب": فالغاية القصوى عمارته بالأخلاق المحمودة، والعقائد المشروعة، ولن يتصف بها ما لم ينظف عن نقائصها من العقائد الفاسدة، والرذائل الممقوتة، =

تَمْلأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآَنِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ(١)، وَالصَّلاةُ نُورٌ(٢)، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ(٣)، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ(٤) أَوْ عَلَيْكَ(٥)، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو(٦) فَبَائِعٌ نَفْسَهُ، فَمُعْتِقُهَا أَوْ

=فتطهيره أحد الشطرين، وهو الشطر الأول الذي هو شرط في الثاني فكان الطهور شطر الإيمان بهذا المعنى، وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي (والأحداث والأخباث) أحد الشطرين وهو الشطر الأول، وعمارتها بالطاعات (والأنوار التعبدية التي تتجلى يوم القيامة في صورة الغرة والتحجيل) الشطر الثاني.

(١) زيادة على ملء الميزان.

(٢) أي لصاحبها في القبر وما بعده؛ قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم ﴿١٢﴾﴾. [سورة الحديد].

(٣) حجة لفاعلها تجادل عنه في القبر وما بعده.

(٤) أي إن عملت به.

(٥) إن لم تعمل به.

(٦) أي: يصبح أو يسير. قيل: الغدو السير في أول النهار، ضد الرواح، وغدا يغدو غدواً: مأخوذ من الغدوة: ما بين الصباح وطلوع الشمس، والمعنى: كل أحد يسعى ويجتهد في الدنيا، ويرى أثر عمله في العقبى. قال الطيبي: (وهو مجمل، تفصيله: قوله ﷺ: ((فبائع نفسه)) أي: حظها بإعطائها، وأخذ عوضها وهو عمله وكسبه، فإن عمل خيراً فقد باعها، وأخذ الخير عن ثمنها).

مُوبِقُهَا[1]﴾. رواه مسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه[2].

ومن ذلك؛ قوله ﷺ: ﴿إِنَّ صَدَقَةَ المُسْلِمِ تَزِيدُ فِي العُمُرِ، وَتَمْنَعُ ميتَةَ السُّوءِ[3] وَيذهبُ الله بِهَا الكِبْرَ والفَخْرَ﴾. رواه الطبراني[4]. "والمراد بزيادة العمر": العمر": البركة فيه، بأن يوفق للأعمال الصالحات، فيعمل بسنوات قليلة من الخير ما لا يعمله غيره في سنوات كثيرة، والصدقة تزيد في المال وتباركه وتدفع عنه المفسدات؛ كما قال أكمل الرسل ﷺ:

---

(١) معناه: كل إنسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها لله بطاعته، فيعتقها من العذاب، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى باتباعهما، فيوبقها، أي يهلكها. ((فتح الملهم)): (٢/٤١٩).

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب الطهارة ـ باب فضل الوضوء، رقم: ٥٣٣، ((سنن النسائي)): كتاب الزكاة ـ باب وجوب الزكاة، رقم: ٢٤٣٩، ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات، رقم الباب: (٨٦)، رقم الحديث: ٣٥١٧، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الطهارة وسننها ـ باب الوضوء شطر الإيمان، رقم: ٢٨٠.

(٣) ميتة بالكسر، والسوء بالفتح أي: تحفظ صاحبها من الموتة الشنيعة ـ كموت الحرق والغرق وتمزيق الجسم بالسباع، أو بأيدي بعض الأشرار، نعوذ بالله من ذلك.

(٤) ((المعجم الكبير)): (٢٢/١٧)، رقم: ٣١.

﴿وما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ من مَالٍ، وما زَادَ الله عَبْدًا بِعَفْوٍ إلا عِزّاً، وما تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إلا رَفَعَهُ اللهُ﴾. رواه مسلم[1].

قال العلامة الشعراوي رحمه الله في "تفسيره": العمر له حد زمني محدد وهو الخط المستقيم له، فهناك واحد يزيد من عرض عمره، فبدلاً من أن ينفع الناس في مجال صغير فهو يعمل وينفع في مجال أوسع، إذن فهو يعطي لعمره مساحة.

وهناك إنسان آخر يريد أن يكون أقوى في العمر، فماذا يعمل؟ إنه يعطي لعمره عمقاً، فبدلاً من أن يعمل لمجرد حياته وينتهي عمره مهما كانت رقعته واسعة، فهو يزيد من عمله الصالح ويترك أثراً من علم أو خير يستمر من بعد حياته؛ كما قال رسول الله ﷺ: ﴿إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلا مِنْ

---

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب البر والصلة والآداب . باب استحباب العفو والتواضع، رقم:- ٦٥٣٥.

ثَلاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ، وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ﴾. رواه الترمذي[1].

ولذلك يقول الحق: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[2].

هي كلمة طيبة قيلت، لكنّها مثل الشجرة الطيبة؛ لأنها ترسخ في أذن من يسمعها فتصير حركة خاضعة للكلمة، وكلما فعل السامع لهذه الكلمة فعلاً ناتجاً من تأثير هذه الكلمة فإن بعض الثواب يعود إلى من قال هذه الكلمة حتى ولو كان قد مات.

---

(١)((سنن الترمذي)): كتاب الأحكام. باب الوقف، رقم: ١٣٧٦، وقال: حديث حسن صحيح.

(٢) سورة إبراهيم.

فكأن قائل هذه الكلمة ما زال يعـيش، وكـأن عمره قد طال بكلمته الطيبة، إذن فأعمال الخير التي تحدث من الإنسان ليس معناها أنها تطيل العمـر؛ لأن العمر محدود بأجل، ولكنْ هناك إنسان يعطـي عمره عرضاً، وآخر يعطيه عمقاً ويظل العطاء منـه موصولاً إلى أن تقوم الساعة، فكأنه أعطى لنفسـه عمراً خالداً. ويقولون:والذكر للإنسان عمر ثان[1].

قلتُ: زيادة العمر، بما يبارك الحق ـ جلَّ وعـلا، في حياته لخدمة هذه الأمة المرحومة ظاهراً وباطناً ـ من علـمٍ، وتربيـةٍ، وحـالٍ بـالله ﷻ؛ وبعـد فراقـه ولُحوقه بالرفيق الأعلى؛ تستمر الحياة بما ترك مـن الخيرات ـ كالصدقات الجارية، والعلم الذي تركـه

(١) ((تفسير الشعراوي)): (١/٥٢١).

ونشره، وبالأولاد الصالحين، والتلاميذ الأخيار، والأحباب الأولياء "وكل ذلك من عمله". فتأمل.

فتستمر إذاً الحياة بطولها إلى ما شاء الله رب العالمين ـ جلَّ جلالُه وعمَّ نوالُه.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖ ٢١﴾[1]، وقال أكمل الرسل ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ ﷻ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ فيقول: يا رَبِّ، أَنَّى لي هذه؟ فيقول بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لك». رواه أحمد وابن ماجه[2].

قال العلاّمة ابن القيم: وقد ذكرنا مائتي دليل على فضل العلم وأهله في "كتاب مفرد" فيا لها من مرتبة ما أعلاها، ومنقبة ما أجلها وأسناها، أن

---

(١) سورة الطور.

(٢) قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، رواه ابن ماجه: (٢/١٢٠٦)، في كتاب الأدب . باب بر الوالدين، رقم: ٣٦٦٠، ينظر: ((المسند)): (٩/ ٥١٦)، رقم: ١٠٥٥٩.

يكون المرء في حياته مشغولاً ببعض أشغاله، أو في قبره قد صار أشلاء متمزقة وأوصالاً متفرقة، وصحف حسناته متزايدة، يملي فيها الحسنات كل وقت، وأعمال الخير مهداة إليه من حيث لا يحتسب، تلك والله المكارم والغنائم وفي ذلك فليتنافس المتنافسون[1].

وقال العلامة ابن تيمية: من اعتقد أن الإنسان لا ينتفع إلا بعمله فقد خرق الإجماع، وذلك باطل من وجوه كثيرة: (أحدها): أن الإنسان ينتفع بدعاء غيره، وهو انتفاع بعمل الغير. (ثانيها): أن النبي ﷺ يشفع لأهل الموقف في الحساب، ثم لأهل الجنة في دخولها، ثم لأهل الكبائر في الخروج من النار، وهذا انتفاع بعمل الغير. (ثالثها): أن كل نبي وصالح له

(١) ينظر: ((طريق الهجرتين)): (ص٥٢٠).

شفاعة، وذلك انتفاع بعمل الغير. (رابعها): أن الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض، وذلك انتفاع بعمل الغير. (خامسها): أن الله تعالى يخرج من النار من لم يفعل خيراً قط بمحض رحمته، وهذا انتفاع بغير عملهم. (سادسها): أن أولاد المؤمنين يدخلون الجنة بعمل آبائهم، وذلك انتفاع بمحض عمل الغير. (سابعها): قال الله تعالى في قصة الغلامين اليتيمين: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ۝٨٢﴾[1]، فانتفعا بصلاح أبيهما، وليس هو من سعيهما. (ثامنها): أن الميت ينتفع بالصدقة عنه، وبالعتق بنص السنة والإجماع، وهو من عمل الغير. (تاسعها): أن الحج المفروض يسقط عن الميت بحج وليه بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير.

---

(١) سورة الكهف.

(عاشرها): أن الحج المنذور أو الصوم المنذور يسقط عن الميت بعمل غيره بنص السنة، وهو انتفاع بعمل الغير. (حادي عشرها): أن المدين الذي امتنع ﷺ من الصلاة عليه حتى قضى دينه أبو قتادة، وقضى دين الآخر علي بن أبي طالب، انتفع بصلاة النبي ﷺ وبردت جلدته بقضاء دينه، وهو من عمل الغير. (ثاني عشرها): أن النبي ﷺ قال لمن صلى وحده: «أَلَا رَجُلٌ يَتَصَدَّقُ عَلَى هَذَا فَيُصَلِّيَ مَعَهُ»[1]، فقد حصل له فضل الجماعة بفعل الغير. (ثالث عشرها): أن الإنسان تبرأ ذمته من ديون الخلق إذا قضاها قاضٍ عنه، وذلك انتفاع بعمل الغير. (رابع عشرها): أن من عليه تبعات ومظالم إذا حلل منها

---

(١) ((مسند أحمد)): (٢٠٣/١٠)، رقم: ١١٥٥٦، ((سنن أبي داود)): كتاب الصلاة . باب في الجمع في المسجد مرتين، رقم: ٥٧٤، قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد))، (٤٥/٢): رواه أحمد، وروى أبو داود، والترمذي بعضه، ورجاله رجال الصحيح. وكما صححه الحاكم، ووافقه الذهبي. ينظر: ((عون المعبود)): (ص٢٩١).

سقطت عنه، وهذا انتفاع بعمل الغير. (خامس عشرها): أن الجار الصالح، به ينتفع في المحيا والممات؛ كما جاء في الأثر، وهذا انتفاع بعمل الغير. (سادس عشرها): أن جليس أهل الذكر يرحم بهم، وهو في الحقيقة لم يكن منهم، ولم يجلس لذلك معهم، بل جاء لحاجة عرضت له، والأعمال بالنيات، فقد انتفع بعمل غيره. (سابع عشرها): في الصلاة على الميت والدعاء له في الصلاة انتفاع للميت بصلاة الحي عليه، وهو عمل غيره. (ثامن عشرها): أن الجمعة تحصل باجتماع العدد، وكذلك الجماعة بكثرة العدد، وهو انتفاع للبعض بالبعض. (تاسع عشرها): أن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۝٣٣﴾[1]، وقال الله تعالى:

(١) سورة الأنفال.

﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ وَنِسَآءٞ مُّؤۡمِنَٰتٞ ٢٥﴾[1] ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ ٢٥١﴾[2]، فقد دفع الله تعالى العذاب عن بعض الناس بسبب بعض، وذلك انتفاع بعمل الغير. (عشرونها): أن صدقة الفطر تجب عن الصغير وغيره ممن يمونه الرجل فينتفع بذلك من يخرج عنه ولا سعي له. (حادي عشرينها): أن الزكاة تجب في مال الصبي والمجنون ويثاب على ذلك ولا سعي له. ومن تأمل العلم وجد من انتفاع الإنسان بما لم يعمله ما لا يكاد يحصى، فكيف يجوز أن تُؤَول الآية[3] على خلاف صريح الكتاب والسنة وإجماع الأمة، والمراد بالإنسان العموم. انتهى[4].

---

(١) سورة الفتح.

(٢) سورة البقرة.

(٣) هي قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩﴾ [سورة النجم].

(٤) ينظر: ((أسباب رفع العقوبة عن العبد)): لابن تيمية (ص٥٦).

ومنها: "إنها حجاب من النار ولو بشق تمرة"؛ كما قال النَّبيُّ الكريم ﷺ: ﴿ما مِنْكُمْ من أَحَدٌ إلا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ[1]، ليس بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ منه، فلا يَرَى إلا ما قَدَّمَ من عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ منه، فلا يَرَى إلا ما قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بين يَدَيْهِ، فلا يَرَى إلا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ﴾. متفق عليه[2].

(١) وفي روايةٍ: "ليس بينه وبينه حجاب" هذا على سبيل التمثيل، وإلا فالباري سبحانه وتعالى لا يحيط به شيء، ولا يحجبه حجاب، وإنما يستر تعالى عن أبصارنا بما وضع فيها من الحجب للعجز عن الإدراك في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة كشفها عن أبصارنا وقوّاها حتى نراه معاينة .كما نرى القمر ليلة البدر. "ولا ترجمان يترجم له" وهو المعبر عن لسان بلسان. "ثم ليقولن له: ألم أوتك مالاً" زاد أبو الوقت وولدا "فليقولن بلى ثم ليقولن ألم أرسل إليك رسولاً، فليقولن بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة" أي بنصفها "فإن لم يجد" شيئاً يتصدق به على المحتاج "فبكلمة طيبة" يردّه بها ويطيب قلبه ليكون ذلك سبباً لنجاته من النار. انظر: ((إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري)): (١٨/١٧/٣).

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب التوحيد . باب كلام الرب عزَّ وجل يوم القيامة مع الأنبياء، وغيرهم، رقم: ٧٥٠٩، ((صحيح مسلم)): كتاب الزكاة . باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة، وأنها حجاب من النار، رقم: ٢٣٤٥.

. ففيه حثٌ على الصدقة ولو بما قلَّ، وهو دليل على أن اليسير من الصدقة يَستُر المتصدق من النار [(١)] أعاذنا الله والمسلمين منها. آمين.

ومنها: "أن الصدقة تُكفِّر الذُنوب مهما عَظُمت"، عن جابر ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ، يقول لكعب بن عُجرة ﷺ: ﴿يَا كَعْبُ بْن عُجْرَةَ، الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، وَالصَّلاَةُ قُرْبَانٌ . أو قال بُرْهَانٌ يا كَعْبُ بن عُجْرَةَ، إنه لاَ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ من سُحْتٍ النَّارُ أَوْلَى بِهِ، يا كَعْبُ بن عُجْرَةَ، الناس غَادِيَانِ فَمُبْتَاعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا وَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا﴾. رواه الإمام أحمد[(٢)].

---

(١) ينظر: ((خصائص الأمة المحمدية)): للسيد محمد بن علوي المالكي الحسني رحمه الله، (ص ١٤٩، ١٥٠).

(٢) وقبله قال رسول الله ﷺ له: "أَعَاذَكَ الله من إِمَارَةِ السُّفَهَاءِ" قال: وما إِمَارَةُ السُّفَهَاءِ؟ قال: "أُمَرَاءُ يَكُونُونَ بعدي لاَ يَقْتَدُونَ بهديي وَلاَ يَسْتَنُّونَ بسنتي فَمَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ على ظُلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ لَيْسُوا مني وَلَسْتُ منهم وَلاَ يَرِدُوا عَلَيَّ حوضي، وَمَنْ لم يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ ولم يُعِنْهُمْ على ظُلْمِهِمْ فَأُولَئِكَ مني وأنا منهم وَسَيَرِدُوا عَلَيَّ حوضي يا كَعْبُ بن=

وقــال ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ فَعَلَهُنَّ فَقَدْ طَعِمَ طَعْمَ الإِيمَانِ: مَنْ عَبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَأَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَعْطَى زَكَاةَ مَالِهِ طَيِّبَةً بِهَا نَفْسُهُ، رَافِدَةً عَلَيْهِ[1] كُلَّ عَامٍ، وَلا يُعْطِي الْهَرِمَةَ وَلا الدَّرِنَةَ[2] وَلا الْمَرِيضَةَ وَلا الشَّرَطَ اللَّئِيمَةَ؛ وَلَكِنْ مِنْ وَسَطِ أَمْوَالِكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَسْأَلْكُمْ خَيْرَهُ وَلَمْ يَأْمُرْكُمْ بِشَرِّهِ». رواه أبو داود والبيهقي والبخاري في "تاريخه"[3].

وقال أكمل الرسل ﷺ: «إن الصّدقةَ لتُطْفِئُ عَنْ أهلِها حَرَّ القبورِ، وإنما يسْتظِلُّ المؤْمنُ يومَ القيامةِ في

=عُجْرَةَ الصَّوْمُ جُنَّةٌ... الخ"، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، وقال الهيثمي (٢٣١/١٠): رجال أحمد والبزار رجال الصحيح.. والحديث رواه الترمذي: (٥١٣/٢)، رقم: ٦١٤، في الصلاة ـ فضل الصلاة، وقال: حسن غريب، والطبراني (١٠٦/١٩) وابن حبان ٣٧٨، رقم: ١٥٦٩.

(١) هو فاعلة من الرفد، وهو الإعانة، رفدتَه إذا أعنته، أي تعينه نفسه على أدائها.

(٢) الدرنة بفتح فكسر من الدرن، وهو الوسخ، والمراد الجرباء، والشَّرَطَ بالتحريك: صغار المال ورذالته، واللئيمة: البخيلة باللبن، أو الرذيلة والدنيئة.

(٣) ((سنن أبي داود)): كتاب الزكاة ـ باب في زكاة السائمة، رقم: ١٥٨٢، ((سنن البيهقي الكبرى)): (٩٥/٤، ١٠٩)، رقم: ٧٠٦٧، ((التاريخ الكبير)): (٣١/٥)، وهو حديث صحيح كما في ((عون المعبود)): (ص٧٠٩).

ظِلِّ صدقتِهِ﴾. رواه الطبراني [1]، وقال ﷺ: ﴿كُلُّ امْرِئٍ في ظِلِّ صَدَقَتِهِ حتى يُفْصَلَ بين الناس أو قال يُحْكَمَ بين النّاس﴾. رواه أحمد وابن حبان وابن خزيمة والحاكم [2].

"ومن الصدقة": إطعام الطعام لوجه الله تعالى؛ فيكون المُطعِم من أهل العناية في القرب والولاية: لقوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ ﴾ [3]، كما قال جَلَّ شَأْنُهُ:

---

(١) ((المعجم الكبير)): (٢٨٦/١٧)، رقم: ٧٨٨.

(٢) ((صحيح ابن حبان)): (١٠٤/٨)، رقم: ٣٣١٠، ((صحيح ابن خزيمة)): (٩٤/٤)، رقم: ٢٤٣١، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، ورجاله ثقات تقدموا، ورواه ابن المبارك في "الزهد" ٢٢٧، رقم: ٦٤٥، وابن حبان.. وابن خزيمة.. وصححه الحاكم (٤١٦/١)، ووافقه الذهبي. وأبو نعيم في "الحلية" (١٨١/٨)، ينظر: ((المسند)): (٣٤٣/١٣)، رقم: ١٧٢٦٦.

(٣) سورة البقرة.

﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ٦٣﴾[1].

فإن "إطعام الطعام من الدرجات"؛ لما روى الإمام أحمد في "مسنده": عن معاذ بن جبل ﷺ قال: احْتَبَسَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ عَنْ صَلاةِ الصُّبْحِ، حَتَّى كِدْنَا نَتَرَاءَى قَرْنَ الشَّمْسِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَرِيعًا فَثُوِّبَ[2] بِالصَّلاةِ وَصَلَّى وَتَجَوَّزَ فِي صَلاتِهِ فَلَمَّا سَلَّمَ، قَالَ: ﴿كَمَا أَنْتُمْ عَلَى مَصَافِّكُمْ﴾، ثُمَّ أَقْبَلَ إِلَيْنَا، فَقَالَ: ﴿ إِنِّي سَأُحَدِّثُكُمْ مَا حَبَسَنِي عَنْكُمْ الْغَدَاةَ: إِنِّي قُمْتُ مِنْ اللَّيْلِ، فَصَلَّيْتُ مَا قُدِّرَ لِي، فَنَعَسْتُ فِي صَلاتِي حَتَّى اسْتَيْقَظْتُ، فَإِذَا أَنَا

---

(١) سورة يونس.

(٢) "ثوب": من التثويب: أي أقيم بها.

بِرَبِّي ﷻ[1] فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ [2]، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَدْرِي فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: لا أَدْرِي يا رَبِّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: لا أَدْرِي رَبِّ، فَرَأَيْتُهُ وَضَعَ كَفَّهُ [3] بَيْنَ كَتِفَيَّ [4] حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ صَدْرِي[5]، فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلأُ الأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكَفَّارَاتِ، قَالَ: وَمَا الْكَفَّارَاتُ؟ قُلْتُ: نَقْلُ الأَقْدَامِ إِلَى الْجُمُعَاتِ، وَجُلُوسٌ فِي

---

(١) المعنى: أي رأيته ـ جلَّ وعلا، "في النوم".

(٢) "فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ": في معنيين؛ المعنى الأول: رأيته ـ جلَّ وعلا، في أحسن صفاته من الإقبال عليَّ، والرضا عني، والمعنى الثاني: رأيته وأنا على أحسن صورة حالي مع الله ﷻ. فتأمل.

(٣) "وَضَعَ كَفَّهُ": أي المبالغة في الاهتمام بحاله والاعتناء بشأنه الشريف ﷺ، ويد النعمة التي ملأته نوراً يتلألأ.

(٤) "بَيْنَ كَتِفَيَّ":المعنى: أنه تعالى أوصل إلى قلبه الشريف من أنواع اللطف والرحمة الخاصة والعامة ـ جلالية كانت أم جمالية.

(٥) "وَجَدْتُ بَرْدَ أَنَامِلِهِ بَيْنَ صَدْرِي": أي وجدت برد النعمة وروحها وراحتها، من كمال معارف المنعم، لذا قال: "فَتَجَلَّى لِي كُلُّ شَيْءٍ وَعَرَفْتُ"، وفي رواية: "فعلمت ما بين المشرق والمغرب"، وروايات أخرى. انظر: ((أساس التقديس)): للإمام الفخر الرازي، و ((دفع شبه من شبه وتمرد)): للإمام الحصُني، و ((ودفع شبهة التشبيه)): للإمام أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت٥٩٧)، و((الترغيب والترهيب)): للإمام المنذري.

الْمَسَاجِدِ بَعْدَ الصَّلاةِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عِنْدَ الْكَرِيهَاتِ، قَالَ: وَمَا الدَّرَجَاتُ؟ قُلْتُ: إِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَلِينُ الْكَلامِ، وَالصَّلاةُ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، قَالَ: سَلْ، قُلْتُ: اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي، وَإِذَا أَرَدْتَ فِتْنَةَ فِي قَوْمٍ فَتَوَفَّنِي غَيْرَ مَفْتُونٍ، وأَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُنِي إِلَى حُبِّكَ»، وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّهَا حَقٌّ، فَادْرُسُوهَا، وَتَعَلَّمُوهَا». رواه أحمد والترمذي[1].

قال تعالى: ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤﴾[2]، ﴿لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ أي: عالية بحسب علو أعمالهم، ﴿عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: لديه ـ جلَّ وعلا،

(١) ((مسند أحمد)): (٢٠١/١٦)، رقم: ٢٢٠٠٨، ((سنن الترمذي)): كتاب تفسير القرآن. باب في تفسير ص، رقم: ٣٢٣٥، وقال الترمذي: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ سَأَلْتُ مُحَمَّدَ بن إسماعيل [أي: الإمام البخاري] عن هذا الحديث فقال: هذا حَدِيثٌ صَحِيحٌ. ثم ذكر أنه أصح من حديث الوليد بن مسلم.

(٢) سورة الأنفال.

ويتفاوتون بحسب هممهم، وعنايات الحق بهم في المنازل، فمنهم من يُرقّى إلى أعلاها فيستكمل العدد وهي: "مائتا ألف منزل وثمانية وأربعون ألف منزل" ومنهم من لا يستكمل بل يأخذ بحسب حاله، والأصل العناية الإلهية، والقسمة الحقيقية[1] ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ لذنوبهم ﴿وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ وهو ما أعد الله لهم في دار كرامته، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ـ من الجنان والنظر الأعظم لجلال جمال الحق الأقدس عز وجل.

سأل رجلٌ رسول الله ﷺ أيُّ الإسلامِ خيرٌ؟ قال: «تُطْعِم الطعامَ، وتَقْرَأُ السَّلامَ على مَنْ عَرَفْتَ ومَنْ لَم تَعْرِف». متفق عليه[2].

---

(١) ينظر: ((تاج التفاسير)): (١/١٧٤).

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الإيمان ـ باب إطعام الطعام من الإسلام، رقم: ١٢، وباب إفشاء السلام من الإيمان، رقم: ٢٨، وفي كتاب الاستئذان ـ باب السلام للمعرفة وغير المعرفة، رقم: ٦٢٣٦، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان ـ باب بيان تفاضل الإسلام، وأي=

وقال أكمل الرسل ﷺ: «اعبُدوا الرّحمن، وأطعِموا الطعامَ، وافشوا السَّلامَ، تَدْخُلوا الجنَّةَ بِسلامٍ». رواه الترمذي وابن ماجه وأحمد[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله ﷺ قال: «وإنَّ اللهَ تعالى لَيُدْخِلُ بِلُقْمةِ الخبزِ، وقَبْصَةِ التَّمْرِ ومِثلِهِ ممّا يَنْفعُ المسكينَ ثلاثةً الجنَّةَ: الآمِرَ بهِ، والزَّوجةَ المُصْلِحَةَ لَهُ، والخادمَ الذي يُناوِلُ المسكينَ»، وقال ﷺ: «الْحَمْدُ للهِ الّذي لَمْ يَنْسَ خَدَمَنا». رواه الطبراني والحاكم[2].

=أموره أفضل، رقم: ١٥٩. قال الخطابي رحمه الله: جعل ﷺ أفضل الأعمال: إطعام الطعام الذي هو قوام الأبدان، ثم جعل خير الأقوال في البر والإكرام: إفشاء السلام الذي يعم ولا يخص من عرف ومن لم يعرف، حتى يكون خالصاً لله تعالى، بريئاً من حض النفس والتصنع، لأنه شعار الإسلام، فحق كل مسلم فيه شائع، وقد ورد في حديث: "إن السلام في آخر الزمان للمعرفة يكون". ينظر: ((فتح الملهم)): (١/٥٧٨).

(١) ((سنن الترمذي)): كتاب الأطعمة ـ باب ما جاء في فضل إطعام الطعام، وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح، رقم: ١٨٥٥، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها باب ما جاء في قيام الليل، رقم: ١٣٣٤، وفي كتاب الأطعمة ـ باب إطعام الطعام، رقم: ٣٢٥١، ((مسند أحمد)): رقم: ٦٥٨٧، و ٦٨٤٨.

(٢) ((المعجم الأوسط)): (٥/٢٧٨)، رقم: ٥٣٠٩، ((المستدرك)): (٤/١٤٩)، رقم:٧٢٦٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

وعن عبد الله بن عمرو ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: ﴿أنَّ في الجنة غُرَفاً يُرى ظَاهرُها من باطِنِها، وبَاطنُها من ظاهرِها﴾ قال أبو مَالكٍ الأشعريُّ ﷺ: لِمَنْ هي يا رسولَ اللهِ؟ قال: ﴿لِمَنْ أطابَ الكلامَ، وأَطْعَمَ الطعامَ، وباتَ قائِماً والناسُ نِيَامٌ﴾. رواه الطبراني والحاكم[1]، وعن أَنَسِ بن مَالِكٍ ﷺ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: ﴿يَصُفُّ الناس يوم الْقِيَامَةِ صُفُوفًا (وقال ابنُ نُمَيْرٍ: أَهْلُ الْجَنَّةِ). فَيَمُرُّ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ على الرَّجُلِ فيقول: يا فُلانُ! أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ اسْتَسْقَيْتَ فَسَقَيْتُكَ شَرْبَةً؟ قال، فَيَشْفَعُ له. وَيَمُرُّ الرَّجُلُ فيقول: أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ نَاوَلْتُكَ طَهُورًا؟ فَيَشْفَعُ له﴾، قال ابنُ نُمَيْرٍ: ﴿وَيَقُولُ: يا فُلانُ! أَمَا تَذْكُرُ يَوْمَ

---

(١) ((المعجم الكبير)): (٣/٣٠١)، ((المستدرك)): (١/٤٦٦)، رقم: ١٢٤٠، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. قال عبد السلام بن محمد بن عمر علوش: وهو حديث حسن بشواهده. ينظر: ((المستدرك)): (١/٦٣١).

بَعَثْتَنِي فِي حَاجَةِ كَذَا وَكَذَا، فَذَهَبْتُ لك؟ فَيَشْفَعُ له﴾. رواه ابن ماجه[1]، "أيها الأخ الكريم": بشراك في عملك للفقراء والمحتاجين: كما قال رَسُول اللَّهِ ﷺ: ﴿الْعَامِلُ فِي الصَّدَقَةِ بِالْحَقِّ لِوَجْهِ اللَّهِ ﷻ كَالْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﷻ، حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى أَهْلِهِ[2]﴾ رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد[3].

---

(١) قال البوصيري: هذا إسنادٌ ضعيف لضعف يزيد بن أبان الرقاشي. رواه أبو بكر بن أبي شيبة في "مسنده" عن أبي معاوية، عن الأعمش، به. ورواه الطبراني في "الأوسط"، والبيهقي في "شعب الإيمان" كلاهما من طريق أبي ظلال، عن أنس، ورواه الأصبهاني من هذا الوجه. ينظر ((شروح سنن ابن ماجه)): (١٣٤٤/٢).

(٢) قوله ﷺ: "العامل على الصدقة بالحق" متعلق بـ"العامل" أي عملاً بالصدق، والصواب، أو بالإخلاص، والاحتساب."كالغازي في سبيل الله" أي: في تحصيل بيت المال، واستحقاق الثواب في تمشية أمر الدارين؛ قاله القاري في "المرقاة": (٢٨١/٤)، "حتى يرجع" أي: العامل. قال ابن العربي في ((شرح الترمذي)): وذلك أن الله ذو الفضل العظيم، قال ﷺ: "من جهز غازياً فقد غزا، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا"، والعامل على الصدقة خليفة الغازي؛ لأنه يجمع مال سبيل الله، فهو غازٍ بعمله، وهو غازٍ بنيته، وقال ـ عليه السلام: "إن بالمدينة قوماً ما سلكتم وادياً، ولا قطعتم شِعباً، إلا وهم معكم حبسهم العذر". فكيف بمن حبسه العمل للغازي، وخلافته، وجمع ماله الذي ينفقه في سبيل الله. وكما لا بد من الغزو، فلا بد من جمع المال الذي يغزو به؛ فهما شريكان في النية، شريكان في العمل؛ فوجب أن يشتركا في الأجر. انتهى. انظر: ((تحفة الأحوذي)): (٣٤٩/٣).

(٣) ((سنن أبي داود)): كتاب الخراج والإمارة والفيء ـ باب في السعاية على الصدقة، رقم:- ٢٩٣٦، ((سنن الترمذي)): كتاب الزكاة ـ ما جاء في العامل على الصدقة بالحق، رقم:=

"أي أخي": فعلينا بحسن الظـن للعـاملين في الصدقات ـ لأن حسن الظن من العبادة؛ كما قـال رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿حُسْنُ الظَّنِّ مِنْ حُسْنِ الْعِبَادَةِ﴾. رواه أبو داود وأحمد[1].

قال تعـالى: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ ﴿١٢﴾﴾[2]، أي: لا تطعنوا على أحد بسوء الظن من غير حقيقة؛ كما قال أكمل الرسل ﷺ: ﴿إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فإن الظَّنَّ أَكْذَبُ الحديث﴾. متفق عليه[3].

= ٦٤٥، وقال: حسن صحيح. ((سنن ابن ماجه)): كتاب الزكاة . ما جاء في عمال الصدقة، رقم: ١٨٠٩. وصححه الحاكم (٤٠٦/١)، ووافقه الذهبي ينظر: ((مسند أحمد))، رقم:- ١٥٧٧٠.

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الأدب . باب في حسن الظن، رقم:٤٩٩٣، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي، ينظر: ((مسند أحمد)، (١٦٠/٩، ١٦١)، رقم: ٩٢٥١.

(٢) سورة الحجرات.

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب النكاح . باب لا يخطب على خطبة أخيه حتى ينكح أو يدع، رقم: ٤٨٤٩، وكتاب الأدب، رقم: ٥٧١٧، ٥٧١٩، ((صحيح مسلم)): كتاب البر والصلة والآداب . بَاب تَحْرِيمِ الظَّنِّ وَالتَّجَسُّسِ وَالتَّنَافُسِ وَالتَّنَاجُشِ وَنَحْوِهَا، رقم: ١٥٦٣.

قال الإمام التُّستري: الظن السيئ من الجهل من نفس الطبع، وأجهل الناس من قطع على قلبه من غير علم؛ فقد قال الله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ[1] فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾[2]، وإن العبد ليحرم الرزق الهنيء وصلاته بالليل بسوء الظن؛ كما قال رسول الله ﷺ: «احْتَرِسُوا مِنَ النَّاسِ بِسُوءِ الظَّنِّ»[3]، والمعنى: هذا بسوء الظن بنفسك لا بالناس، أي اتهم نفسك بأنك لا تنصفهم من نفسك في معاملاتهم[4].

قال الحافظ في "الفتح": أما وصف الظنّ بكونه أكذب الحديث، مع أن تعمد الكذب الذي

---

(١) "أَرْدَىٰكُمْ" أي أهلككم وفي النار رماكم.

(٢) سورة فصلت.

(٣) ((المعجم الأوسط)): (١/١٨٩)، رقم: ٥٩٨، ((فتح الباري)): (١٠/٥٣١).

(٤) ينظر: ((تفسير التستري)): للإمام أبي محمد سهل بن عبد الله التُّستري: (ت٢٨٣هـ)، (ص١٤٩/١٥٠).

لا يستند إلى ظن أصلاً أشد من الأمر الذي يستند إلى الظنّ، فللإشارة إلى أن الظن المنهي عنه هو الذي لا يستند إلى شيء يجوز الاعتماد عليه، فيكون الجازم به كاذباً، وإنما صار أشد من الكاذب لأن الكذب أصله مستقبح مستغنى عن ذمه، بخلاف هذا، فإن صاحبه بزعمه مستند إلى شيء، فوصف بكونه أشد الكذب مبالغة في ذمه والتنفير منه، وإشارة إلى أن الاغترار به أكثر من الكذب المحض، لخفائه غالباً ووضوح الكذب المحض(١).

قال العلاّمة السَّهَارَنفُورِي في "بذل المجهود": أما حسن الظن بالله بأن يعمل أعمالاً صالحة فيحسن الظن بالله سبحانه بأن يتقبله، ويعفو عنه ما قصر فيه، فهو من العبادة، وأما حسن الظن

---

(١) ((فتح الباري)): (١٠/٤٨٢).

بالناس، فإن كان في موضع حفظ المال فليس من العبادة، بل هو خلاف الحذر والاحتياط، وأما إن كان في المحل الخالي عن الاحتياط، فيمكن أن يدخل في العبادة، لأن سوء الظن إذا لم يكن فيه فائدة فهو أثم[1].

وورد: ﴿خَصْلَتَانِ ليسَ فَوقهُما شيءٌ مِنْ الخَيْرِ: حُسن الظنِ باللهِ، وحُسنُ الظنِ بِعبادِ اللهِ، وخَصْلتانِ ليسَ فَوقهُما شيءٌ مِن الشرِّ: سُوءُ الظنِ باللهِ، وسُوءُ الظنِ بعبادِ اللهِ﴾[2].

---

(١) ((بذل المجهود في حل سنن أبي داود)): (٣٩٣/١٣).

(٢) ((البحر المديد في تفسير القرآن المجيد)): لأحمد بن محمد بن عجيبة الحسني:(ت١٢٢٤هـ)، (١٣٣/٣).

قال الإمام التُّستري[1]:-

كفاياتُ الكِفاح بِحُسْنِ ظنّي كنسج العنكبوتِ بباب غارِ
وحسنُ الظَّنِّ جاوزَ كُلَّ حجبٍ وحُسْنُ الظَّنِّ جاوز نُورَ نارِ
علاماتُ الْمُقَرَّبِ واضحاتٌ بعيدٌ أمْ قريبٌ ليلُ سارِ
فمنْ كانَ الإله لهُ عِياناً فلا نومَ القرارِ إلى النهارِ
تقاضاه الإله لَهم ثلاثاً فهل من سائلٍ من لطف بارِ
متى نَجس الولوغ ببحر ود فدع شقي النباح بباب داري
ألا يا نفس والشيطان أخسوا كبطلان الوساوس والغمارِ

ـ أما السائلون للناس أن يعطوهم، ولهم ما يكفيهم؛ "فلهم الخزي والعذاب يوم القيامة"؛ كما قال أكمل الرسل ﷺ: «ليس الْمِسْكِينُ الذي يَطُوفُ على الناس تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَكِنْ الْمِسْكِينُ الذي لا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، ولا يُفْطَنُ لَهُ،

(١) ((تفسير التُّستري)): (ص٣٨).

فَيُتَصَـدَّقُ عليـه، ولا يَقُـومُ فَيسْـأَلُ النَّـاسَ[1]﴾. رواه الخمسة إلا الترمذي[2].

وقال أكمل الرسل ﷺ: ﴿إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لا تَصْلُحُ إلا لِثَلاثَةٍ: لِـذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ[3]، أو لِـذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ[4]، أو لِذِي دَمٍ مُوجِعٍ[5]﴾. رواه أصحاب السنن[6]، وقـال

---

(١) فمن يسأل الناس ليس مسكيناً، فربما كان غنيّاً كما هو مشاهد في كثير، وربما جمع كفايته وأكثر، ولكن المسكين الذي لا يجد كفايته ولا يعرفه الناس ولا يسألهم تعففاً، بل يحسبه الجاهلون غنيّاً من عفته، فهذا هو الذي يُعطى من الصدقات.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الزكاة . باب قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴿٢٧٣﴾﴾ [سورة البقرة]، رقم: ١٤٧٦، ((صحيح مسلم)): كتاب الزكاة . باب المسكين الذي لا يجد غنى، ولا يفطن له فيتصدق عليه، رقم: ٢٣٩٠، ((سنن أبي داود)): كتاب الزكاة . باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى، رقم: ١٦٣١، ((سنن النسائي)): كتاب الزكاة . تفسير المسكين، رقم: ٢٥٧٣.

(٣) الفقر المدقع: أي شديد من أدقع إذا ألصق بالدقعاء: وهو التراب.

(٤) أي غرامة ودين، مفظع أي: ثقيل وفضيح.

(٥) الدم الموجع: كدية توجهت عليه ولا يجدها؛ فكل من اتصف بوصف من هذه الأوصاف السالفة حلت له المسألة وأخذ الزكاة والصدقة.

(٦) ((سنن أبي داود)): كتاب الزكاة . باب ما تجوز فيه المسألة، رقم: ١٦٤١، ((سنن الترمذي)): كتاب الزكاة . باب ما جاء من له تحل له الصدقة، روى بعضه وحسنه، رقم: ٦٥٣، ((سنن ابن ماجه)): كتاب التجارات . باب بيع المزايدة، رقم: ٢١٩٨، ((مسند أحمد)): (٤٠٨/١٠)، رقم: ١٢٢١٨، قال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن.. وحسنه الهيثمي في "المجمع": (٨٤/٤).

النَّبيُّ الكريم ﷺ: ﴿من سَأَلَ وَعِنْدَهُ ما يُغْنِيهِ فَإِنَّمَا يَسْتَكْثِرُ من النَّارِ﴾. رواه أبو داود[1]، وفي روايةٍ: ﴿من جَمْرِ جَهَنَّمَ﴾، فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللَّهِ وما يُغْنِيهِ؟ قال: ﴿قَدْرُ ما يُغَدِّيهِ وَيُعَشِّيهِ﴾. رواه أبو داود وابن حبان[2]، وفي روايةٍ أخرى لأبي داود: ﴿أَنْ يَكُونَ له شِبْعُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ[3]﴾[4]. 

---

(١) ((سنن أبي داود)): كتاب الزكاة. باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى، رقم: ١٦٢٩.

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب الزكاة. باب من يعطى من الصدقة وحد الغنى، رقم: ١٦٢٩، ((صحيح ابن حبان)): (١٨٧/٨)، رقم: ٥٤٥.

(٣) وما يغدي ويعشي وهو: شبع يوم وليلة، أو ما يشبعه يوما وليلة، حرمت عليه المسألة وأخذ الصدقة، وسمي غنيّاً، وللأئمة كلام في حد الغني؛ فذهب الحنفية؛ إلى أن الغني من يملك النصاب، فيحرم عليه السؤال وأخذ الزكاة، بل يجب عليه إخراجها لحديث معاذ ﷺ: (صدقة تأخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم). فوصفه بالغني. وقال الثوري وابن المبارك وأحمد واسحاق وجماعة: الغني من كان عنده خمسون درهماً أو قيمتها، لحديث ابن مسعودﷺ: وما يغنيه يا رسول الله؟ قال: "خمسون درهماً أو قيمتها من الذهب". وقال أبو عبيد: الغني من يملك أربعين درهماً، لحديث أبي سعيد ﷺ. وقال الخطابي: الغني: من كان عنده ما يغديه ويعشيه، فتحرم عليه المسألة في يومه وليلته، لحديث سهل ﷺ؛ لقوله ﷺ له: "شبع يوم وليلة"، وعند المالكية: الغني من يملك كفاية عام فأكثر. وقال الشافعي وجماعة: الغني من يملك كفاية بقية العمر الغالب وهو اثنتان وستون سنة، أي عنده ما يستغل منه ذلك، فإن الإنسان قد يكون عنده خمسون درهماً أو أكثر، وهو في حاجة إليها لنفسه أو عياله؛ فحملوا هذه الأحاديث على الترهيب من السؤال مع وجود شيء، وهذا لا يفيد الغنى كما هو واضح، ينظر: ((التاج الجامع للأصول)): (٣٢/٢).

(٤) ((سنن أبي داود)): كتاب الزكاة. باب ما يعطى من الصدقة وحد الغنى، رقم: ١٦٢٩، وهو حديث صحيح، كما في ((عون المعبود)): (ص٧٤٠).

والمطعمون الطعام لوجه الله ﷻ تحت ظل العرش يوم القيامة: كما قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فيهِ أظلَّهُ الله ﷻ تَحتَ عَرشِهِ يومَ لا ظِلَّ إلاّ ظلُّهُ: الوُضوءُ في المَكَارِهِ، والمْشيُ إلى المساجدِ في الظُّلَمِ، وإطْعامُ الجائعِ». رواه أبو الشيخ والأصبهاني[1].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي إِذَا رَأَيْتُكَ طَابَتْ نَفْسِي، وَقَرَّتْ عَيْنِي، أَنْبِئْنِي عَنْ كُلِّ شَيْءٍ؟، قَالَ: «كُلُّ شَيْءٍ خُلِقَ مِنَ الْمَاءِ»، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِشَيْءٍ إِذَا عَمِلْتُ بِهِ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ، قَالَ: «أَطْعِمِ الطَّعَامَ، وَأَفْشِ السَّلامَ، وَصِلِ الأَرْحَامَ،

(١) ((صحيح ابن حبان)): (١٠٢/٢)، قال الهندي في ((كنز العمال))، (٣٤٢/١٥): رواه أبو الشيخ في "الثواب"، الأصبهاني في "الترغيب" عن جابر ﷺ.

وَصِـلِّ بِاللَّيْـلِ وَالنَّـاسُ نِيَـامٌ، تَـدْخُلِ الْجَنَّـةَ بِسَـلامٍ﴾، "أي: بغير حساب". رواه أحمد وابن حِبّان[1].

وعَن أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ:- ﴿تعَبَّدَ عَابِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَعَبَدَ اللَّهَ فِي صَوْمَعَتِهِ سِتِّينَ عَاماً، فَأَمْطَرَتِ الأَرْضُ فَاخْضَرَّتْ، فَأَشْرَفَ الرَّاهِبُ مِنْ صَوْمَعَتِهِ، فقَالَ: لَوْ نَزَلْتُ فَذَكَرْتُ اللَّهَ فازْدَدْتُ خَيْرًا، فَنَزَلَ وَمَعَهُ رَغِيفٌ أَوْ رَغِيفَانِ، فَبَيْنَمَا هُوَ فِي الأَرْضِ لَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ فَلَمْ يَزَلْ يُكَلِّمُهَا وَتُكَلِّمُهُ حَتَّى غَشِيَهَا، ثُمَّ أُغْمِيَ عَلَيْهِ، فَنَزَلَ الْغَدِيرَ يَسْتَحِمُّ، فَجَاءَهُ سَائِلٌ فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ الرَّغِيفَيْنِ أَوِ الرَّغِيفَ، ثُمَّ مَاتَ فَوُزِنَتْ عِبَادَةُ سِتِّينَ سَنَةً بِتِلْكَ الزَّنْيَةِ فَرَجَحَتِ الزَّنْيَةُ بِحَسَنَاتِهِ، ثُمَّ وُضِعَ الرَّغِيفُ أَوِ الرَّغِيفَانِ مَعَ حَسَنَاتِهِ فَرَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ فَغُفِرَ لَهُ﴾. رواه ابن حِبّان[2].

---

(١) قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح، ينظر: ((مسند أحمد))، (٨/ ٥٣)، رقم: ٧٩١٩، ((صحيح ابن حبان)): (٦/٢٩٩)، رقم: ٢٥٥٩.

(٢) ((صحيح ابن حبان)): (٢/١٠٢)، رقم: ٣٧٨. قال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

"أي عزيزي": سُئل مفتي الحنابلة في بغداد؛ الإمام عبد القادر الكَيلاني ـ قدس الله روحه: بِمَ وصلت إلى هذا المقام؟، فقال: بالكرم، والتواضع، وسلامة الصدر[1]، وقال: إنَّ أقرب المقربات عندي: إطعام الطعام؛ كما قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ۝٨ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ۝٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾[2].

- ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ﴾ فمن كمال إخلاصهم، وشوقهم للقاء ربهم ﷻ يطعمون الرزق الصوري

---

(١) ينظر: ((البرهان المؤيد)): (ص٢١٢)، و ((شرح قصيدة لذة العيش)): لأبي مدين شعيب بن الحسن (أو الحسين) التلمساني (ت٥٩٤هـ)، (ص٤٢).

(٢) سورة الإنسان.

والمعنوي لعباد الله، المسوق لهم من عنده سبحانه، تقويةً وتقويماً، ترحيباً وتكريماً. فتنبه جداً[1].

﴿عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ أي: في محبة الله، وطلباً لمرضاته.

﴿مِسۡكِينٗا﴾ أي: فقيراً، أسكنه الفقر، وأزعجه إلى المعاونة والسؤال.

﴿وَيَتِيمٗا﴾ أدركه الذل، وأحوجه إلى الافتقار. واليتيم: فاقد الأب، فإذا فُقد الأب تعرضت العائلة للخصاصة.

(١) ومن هذا؛ كان شيخي وأستاذي العلاّمة مصطفى كمال الدين الهرشمي . قدس الله روحه، يقول: اللّهم إن أردت أن تعذب أحبابي فعذبني مكانهم، أهدي كل حسناتي لرسول الله ﷺ، وآله وأصحابه وأحبابي، وأقفُ أمام ربي وأنا صفر الأيادي، لأن الكريم الذي يعمل مأدبة طعام بِكُبْرِ مدينة كبرى، عيبٌ عليَّ أن ائتِ بقطعة من الخُبز آكل بها؛ فأريد أن أذهب إلى ربي ولا حسنةَ عندي، إلا من مأدبة فضله وكرمه . جلَّ جلالُهُ وعمَّ نوالُهُ.

﴿وَأَسِيرًا﴾ مملوكاً أو محبوساً حبسهُ الطريق؛ ففي الحديث قال رسول الله ﷺ: «غريمك أسيرك، فأحسن إلى أسيرك»[1].

﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ﴾ بلسان حالهم ما نطعمكم أيها المحتاجون إلا ﴿لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ الكريم، وطلباً لمرضاته؛ وعن السيدة عائشة رضي الله عنها: أنها كانت تبعث بالصدقةِ إلى أهل بيت، ثم تسأل المبعوث ما قالوا؟ فإن ذكر دعاء، دعت لهم بمثله، ليبقى ثواب الصدقة لها، خالصاً عند الله عز وجل. فتأمل.

﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً﴾ ليصير عوضاً، لإطعامنا لوجه الله الكريم ـ جلَّ في علاه.

﴿وَلَا شُكُورًا﴾ أي: مالنا من الشكر والجزاء أمر؛ وكيف يتأتى منَّا طلب الشكر والجزاء، إذ قدرتنا

---

(١) ((تفسير روح المعاني)): (٢٩/١٥٦).

على إطعامكم إنما هي بإقدار الله إيانا، وإعطاؤنا إنما هي من عطاياه؟! وبالجملة:-

﴿إِنَّا نَخَافُ﴾ بطلب الأجر والجزاء. ﴿مِن رَّبِّنَا﴾ أي: من غضب ربنا بنا. ﴿يَوْمًا عَبُوسًا﴾ أي: يوماً تعبس فيه مطلق الوجوه من شدة هوله، بل صارت. ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ في غاية الشدة والعبوسة، سيما على أهل الرياء والسمعة، الطامعين بصدقاتهم وإطعامهم الذكر الجميل، والثناء الجزيل، وهذه الآية تعمّ جميع الأبرار، مع أنهم إنما يعطون "من مال الله لعيال الله ﷻ". فتنبه؛ كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ

﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٦٤﴾[1].

وبعدما أخلصوا لله، وخافوا من عذابه ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ فكفاهم الحكيم الحفيظ. ﴿شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ﴾ أي: فرفع عنهم شره وبلاءه، وأبدله لهم خيراً. ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا﴾ أي: وأولاهم حسناً وطراوة وصفاءً في الوجوه، وبهجة وسروراً وأنساً في القلوب؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ٢٦٥﴾[2].

---

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة البقرة.

واعلم أيها القارئ الكريم: "أنَّ الله تعالى ما أمر في القرآن المجيد بالصلاة إلا وقرن الزكاة معها"؛ لأن الصلاة مظهر الطاعة، وأساس بناء الفرد؛ والزكاة مظهر من مظاهر الرحمة، وأساس بناء المجتمع؛ قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَمَا تُقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٖ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٞ ١١٠﴾[1].

وقال تعالى في وصف عباده المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٣ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٞ وَرِزْقٞ كَرِيمٞ ٤﴾[2].

وقال ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٖۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ

---

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة الأنفال.

وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾[1]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقال أكمل الرسل ﷺ: ﴿من كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَلْيُؤَدِّ زَكَاةَ مَالِهِ، وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَسْكُتْ، وَمَنْ كان يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ﴾. رواه الطبراني[2].

"أي أخي": اعلم "أن حكم تارك الزكاة"، "كحكم تارك الصلاة": فَعَنْ أبي هريرة قال: لَمَّا تُوُفِّى رَسُولُ اللهِ ﷺ وَاسْتُخْلِفَ أبو بَكْرٍ بعده وَكَفَرَ من كَفَرَ من الْعَرَبِ، قال عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ لأبي بكر: كَيْفَ تُقَاتِلُ الناس وقد قال رسول اللَّهِ ﷺ:- ﴿أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناس حتى يَقُولُوا لا إِلَهَ إلا الله فَمَنْ

(١) سورة التوبة.

(٢) ((المعجم الكبير)): (٤٢٣/١٢)، رقم: ١٣٥٦١.

قـال لا إِلَـهَ إلا الله عَصَـمَ مِنِّـي مَالَـهُ وَنَفْسَـهُ إلا بِحَقِّـهِ وَحِسَابُهُ على اللَّهِ﴾.

فقال أبـو بَكْـرٍ: والله لأُقَـاتِلَنَّ مـن فَـرَّقَ بـين الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ، فإن الزَّكَـاةَ حَـقُّ الْمَـالِ، والله لـو مَنَعُونِي عَنَاقًا[1] كَانُوا يُؤَدُّونَهَا إلى رسـول اللَّـهِ ﷺ لَقَاتَلْتُهُمْ على مَنْعِه، قال عُمَرُ: فَوَاللَّهِ ما هو إلا أَنْ شَـرَحَ الله صَـدْرَ أبـي بَكْـرٍ لِلْقِتَـالِ فَعَرَفْـتُ أَنَّـهُ الْحَقُّ[2]. رواه الخمسة[3].

---

(١) عَنَاقًا: الأنثى من المعز، وفي رواية: عقالاً، مبالغة في قتالهم على ترك شيء ولو قليلاً.

(٢) فعرفت أنه الحق: أي مما أقامه لي من أن الزكاة أخت الصلاة.

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب الزكاة . باب وجوب الزكاة، رقم: ١٣٩٩، و ١٤٠٠، وباب أخذ العناق في الصدقة، رقم: ١٣٥٦، و ١٣٥٧، ((صحيح مسلم)): كتاب الإيمان . باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، ويؤمنوا بجميع ما جاء به النبي ﷺ، وأن من فعل ذلك عصم نفسه وماله إلا بحقها، ووكلت سريرته إلى الله تعالى، وقتال من منع الزكاة أو غيرها من حقوق الإسلام، واهتمام الإمام بشعائر الإسلام، رقم: ١٢٤، ((سنن أبي داود)): في فاتحة كتاب الزكاة، رقم: ١٥٥٦، ((سنن الترمذي)): كتاب الإيمان . باب ما جاء:"أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله"، رقم: ٢٦٠٧، ((سنن النسائي)): كتاب الزكاة . باب مانع الزكاة، رقم: ٢٤٤٥.

لـذلك كـان الإنفـاق في سـبيل الله مـن زكـاة وصدقة مظهراً من مظاهر الرحمة بالإنسان، وركنـاً مهماً جداً من أركان الإسلام، كالصـلاة الـتي هـي عماد الدين؛ فالزكاة أساس بنـاء المجتمـع، كمـا أن الصلاة أساس بناء الفرد الذي من خلال أفرادهـا تبنى الأمة؛ إذاً فبين التربية الذاتية، وتربية الأمـة؛ يكون الاستقرار في الفكـر، وجمـال الحيـاتين؛ قـال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾[1].

فلما انتهى أساس تربية الفرد المسلم بصلاته، وعمَّ على أسـرته وأمتـه منـع الزكـاة؛ كـان هـراء الكلام، ومفاسد الأفعال؛ فعندئذ فـلا اسـتقرار في الفكر، ولا حياة للأمة. فتأمل جداً.

---

(١) سورة المدثر.

قال الإمام الغزالي ﷺ في "أسرار الزكـاة":-
اعلم أن على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف:-
الوظيفة الأولى: فهم وجوب الزكاة ومعناها[1]، ووجه الامتحان فيها وأنها لِم جُعلـتْ مـن مبـاني الإسلام مع أنها تصرفٌ مالي وليست مـن عبـادة الأبدان[2] وفيه ثلاث معان:
الأول: أن الـتلفظ بكلمـتي الشـهادة التـزام للتوحيد وشهادة بإفراد المعبود وشرط تمام الوفاء به أن لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فإن المحبة لا تقبل الشركة[3]، والتوحيد باللسـان قليـل

(١) الذي هو التطهير والتقديس والتنمية.
(٢) كقرنائها من الصلاة والحج والصوم.
(٣) أي الاشتراك والمراد بها الاختيارية، وأما الاضطرارية فالإنسان مجبول إلى ما يستلذه طبعاً ولا تكون المحبة كاملة حتى يكون مع المحبوب اضطرارا واختيارا فحينئذ لا يخطر بباله شيء سواه وإن خطر ما عداه فيعده من جملة مظاهره وتعيناته.

الجدوى[1] وإنما يُمتحن به درجة المحب بمفارقة المحبوب، والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت، مع أن فيه لقاء المحبوب، فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم[2] ومعشوقهم[3]. ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ ﴿١١١﴾﴾[4]، وذلك بالجهاد وهو

(١) التوحيد باللسان من غير عقد القلب على التفريد قليل الجدوى في حكم الأُخرى وإن صين به عرضه ودمه في حكم الدنيا.

(٢) أي: منظورهم.

(٣) بالطبع والصبر على فقد المحبوب من أعظم الصبر ولا يصبر عليه إلا مؤمن أو عارف، فإن الزاهد لا زكاة عليه لأنه ما ترك شيئاً تجب فيه الزكاة، والعارف ليس كذلك لأنه يعلم إن فيه من حيث ما هو مجموع العالم من يطلب المال فيوفيه حقه فتجب عليه الزكاة من حيث ذلك الوجه،وهو زاهد من وجه آخر،فالعارفون هم الكمل من الرجال فلهم الزهد والادخار والتوكل واثبات الأسباب،ولهم المحبة في جميع العالم كله ولا يقدح حبه للمال والدنيا في حبه لله والآخرة،فإنه ما يحبه منه لأمر ما إلا ما يناسب ذلك الأمر من العوالم.فتأمل.

(٤) سورة التوبة. قال العلاّمة الزبيدي: ومن هنا وجبت الزكاة في النفوس، كما وجبت في الأموال ووقع فيها البيع والشراء كما وقع في الأموال، فإن قلت: هذا الذي ذكرته في زكاة النفس=

مسامحة بالمهجة شوقاً إلى لقاء الله ﷻ والمسامحة بالمال أهون. ولما فهم هذا المعنى في بذل الأموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام:

قسم صدّقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدّخروا ديناْراً ولا درهماً فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة في مائتي درهم؟ فقال: خمسة دراهم وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع.

=يعارضه قوله تعالى: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ﴾ [سورة النجم]؛ فالجواب: انه ليس معنى الآية كما يقولون، وإنما المراد به أن الله لا يقبل زكاة من أضاف نفسه إليه أي إذا رأيتم أن أنفسكم لكم لا لي والزكاة إنما هي حقي وأنتم أمناء عليه، فإذا ادعيتم فيها فتزعمون أنكم أعطيتموني ما هو لكم ما ليس لي والأمر على خلاف ذلك فمن كان بهذه المثابة من العطاء فلا يزكي نفسه وينكشف الغطاء في الدار الآخرة فتعلمون في ذلك الوقت هل كانت نفوسكم التي أوجبت الزكاة فيها لي أو لكم حيث لا تنفعكم معرفتكم بذلك فلا معارضة فالزكاة في النفوس آكد منها في الأموال لذلك قدمها فقال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ ﴾ ثم قال ﴿ وَأَمۡوَٰلَهُم ﴾ فالعبد ينفق في سبيل نفسه وماله. ((إتحاف السادة المتقين)): (٤/١٠٢، ١٠٣).

ولهذا تصدق أبو بكر ﵁ بجميع مالـه، وعمـر ﵁ بشطر ماله فقال ﷺ: ﴿ما أبقيت لأهلك؟﴾ فقـال:- مثله، وقال لأبي بكر ﵁ ﴿ما أبقيت لأهلك؟﴾ قال:- (الله ورسوله) فالصدّيق وفّى بتمام الصـدق فلـم يمسك سوى المحبوب عنده "وهو الله ورسوله".

القسم الثاني: درجتهم دون درجة هـذا وهـم الممسـكون أمـوالهم المراقبـون لمواقيـت الحاجـات ومواسـم الخـيرات، فيكـون قصـدهم في الادخـار الإنفـاق علـى قـدر الحاجـة دون التـنعم وصـرف الفاضل عـن الحاجـة إلى وجـوه الـبر مهمـا ظهـر وجوهها، وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكـاة. وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن في المال حقوقاً سوى الزكاة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد. قال الشعبي بعد أن قيل لـه هـل في المـال حـق سـوى

الزكاة؟ قال: نعم أما سمعت قوله ﷻ: ﴿ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ ﴿١٧٧﴾ ﴾[1]، واستدلوا بقوله ﷻ: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ وبقوله تعالى: ﴿ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم ﴿١٠﴾ ﴾[2]، وزعموا أنّ ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم، ومعناه أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجاً أن يزيل حاجته فضلاً عن مال الزكاة والذي يصح في الفقه من هذا الباب أنه مهما أرهقته حاجته كانت إزالتها فرض كفاية إذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال: ليس على الموسر إلا تسليم ما يزيل الحاجة قرضاً ولا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة المنافقون.

عن نفسه، ويحتمل أن يقال يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الاقتراض أي لا يجوز لـه تكليـف الفقـير قبول القرض وهذا مختلف فيه.

القسم الثالـث: الـذين يقتصـرون علـى أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنـه وهـي أقـل الرتـب، وقـد اقتصـر جميـع العـوام[1] عليـه لبخلهم بالمال وميلهم إليه وضعف حبهم للآخرة؛ قال الله تعالى: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ ﴿٣٧﴾﴾[2]، ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ أي يستقص عليكم فهذا أحد معاني أمر الله سبحانه عبادة ببذل الأموال.

المعنى الثاني: التطهير من صفة البخـل؛ فإنـه من المهلكات: قـال ﷺ: «ثلاث مهلكات شح مطاع،

---

(١) أي: عامة الناس.

(٢) سورة محمد ـ صلى الله عليه وسلم.

وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»[1]، وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ١٦﴾[2]، وإنما تزول صفة البخل بأن تتعوّد بذل المال[3] فحب الشيء لا ينقطع إلا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتياداً. فالزكاة بهذا المعنى طُهرة أي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وإنما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه بإخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى[4].

المعنى الثالث: شكر النعمة فإن لله ﷻ على عبده نعمة في نفسه[5] وفي ماله، فالعبادات البدنية شكر لنعمة البدن، والمالية شكر لنعمة المال. وما

---

(١) ((حلية الأولياء)): (٣٤٣/٢)، ((المعجم الأوسط)): (٣٢٨/٥)، رقم: ٥٤٥٢.

(٢) سورة التغابن.

(٣) أي يجعل صرفه في مواضعه عادة له تخلقا.

(٤) فإن بذله حصلت له الطهارة، وتضاعف الأجر، وإن فرح به واستبشر بمثل هذا فوق تضاعف الأجر بما لا يقاس ولا يحد.

(٥) حيث أوجدها من العدم، وشرفها بالتوحيد، ووفقه لتطهيرها من الصفات الذميمة.

أخسَّ من ينظر إلى الفقير وقد ضُيِّقَ عليه الرزق وأحْوِجَ إليه ثم لا تسمح نفسه[١] بأن يؤدي شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال وإحواج غيره إليه. [بربع العشر[٢] أو العشر من ماله[٣]].

الوظيفة الثانية: في وقت الأداء؛ ومن آداب ذوي الدِّين التعجيل عن وقت الوجوب إظهاراً للرغبة في الامتثال بإيصال السرور إلى قلوب الفقراء، ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوقه عن الخيرات، وعلماً بأن في التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب. ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي أن يغتنم فإن ذلك لمة الملك (وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع

(١) المجبولة على الشح.

(٢) الذي أوجب الله عليه ذلك القدر.

(٣) فالله يحب التعاون على فعل الخير وندب إليه، والمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً.

الرحمن) فما أسرع تقلبه، والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر. وله لمة عقيب لمة الملك[1] فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكاتها إن كان يؤديها جميعاً شهراً معلوماً وليجتهد أن يكون من أفضل الأوقات ليكون ذلك سبباً لنماء قربته وتضاعف زكاته. وذلك كشهر المحرّم فإنه أوَل السنة وهو من الأشهر الحرم أو رمضان فقد كان ﷺ أجود الخلق

---

(١) روى الترمذي والنسائي عن عبد اللَّهِ بن مَسْعُودٍ قال: قال رسول اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً بِابْنِ آدَمَ، وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذلك فَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ من اللَّهِ فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الْأُخْرَى فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [سورة البقرة]. قوله: (إن للشيطان) أي إبليس أو بعض جنده (لَمَّةً) بفتح اللام وشدة الميم من الإلمام ومعناه النزول والقرب والإصابة، والمراد بها ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك (بابن آدم)، أي بهذا الجنس، فالمراد به الإنسان (وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً) فلمة الشيطان "تسمى وسوسة". "ولمة الملك إلهاماً" (فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ) كالكفر والفسق والظلم (وتكذيب بالحق)أي في حق الله أو حق الخلق، أو بالأمر الثابت، كالتوحيد والنبوة، والبعث والقيامة والنار والجنة. (وأما لمة الملك فإيعاد بالخير) كالصلاة، والصوم (وتصديق بالحق) ككتب الله ورسوله، والإيعاد في اللمتين من باب الإفعال، والوعيد في الاشتقاق كالوعد إلا أن الإيعاد اختص بالشر عرفاً. ينظر: ((تحفة الأحوذي)): (٨/٢٦٥):

وكان في رمضان كالريح المرسلة[1] لا يمسك فيه شيئاً ولرمضان فضيلة ليلة القدر وأنه أنزل فيه القرآن، وذو الحجة أيضاً من الشهور الكثيرة الفضل فإنه شهر حرام وفيه الحج الأكبر وفيه الأيام المعلومات وهي العشر الأول والأيام المعدودات وهي أيام التشريق. وأفضل أيام شهر رمضان العشر الأواخر. وأفضل أيام ذي الحجة العشر الأول.

(١) لقول ابن عباس في الحديث الذي رواه البخاري في كتاب بدء الوحي . باب كيف كان بدء الوحي، رقم: ٦، ومسلم في كتاب الفضائل . بَاب كان النبي ﷺ أَجْوَدَ الناس بِالْخَيْرِ من الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ، رقم: ٥٩٦٤: قال كان رسول اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ الناس بِالْخَيْرِ، وكان أَجْوَدَ ما يَكُونُ في شَهْرِ رَمَضَانَ، إنَّ جِبْرِيلَ عليه السَّلام كان يَلْقَاهُ، في كل سَنَةٍ في رَمَضَانَ حتى يَنْسَلِخَ، فَيَعْرِضُ عليه رسول اللَّهِ ﷺ الْقُرْآنَ، فإذا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كان رسول اللَّهِ ﷺ أَجْوَدَ بِالْخَيْرِ من الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ. قال الإمام النووي: في الحديث فوائد: منها الحث على الجود في كل وقت. ومنها الزيادة في رمضان، وعند الاجتماع بأهل الصلاح. وفيه زيارة الصلحاء وأهل الخير، وتكرار ذلك إذا كان المزور لا يكرهه، واستحباب الإكثار من القراءة في رمضان، وكونها أفضل من سائر الأذكار، إذ لو كان الذكر أفضل أو مساويا لفعلاه. فإن قيل المقصود تجويد الحفظ. قلنا الحفظ كان حاصلا والزيادة فيه تحصل ببعض المجالس، وأنه يجوز أن يقال رمضان من غير إضافة وغير ذلك مما يظهر بالتأمل.ينظر: ((فتح الباري)): (١/٣١).

الوظيفة الثالثة: الإسرار؛ فإنّ ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال ﷺ: «أفضل الصدقة جهد المقل[1] إلى فقير في سر»[2]، وقال بعض العلماء: ثلاث من كنوز البر منها: إخفاء الصدقة، وفي الحديث المشهور: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُم اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ» أحدهم «وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا صَنَعَتْ يَمِينُهُ[3]»، وقال

---

(١) أن يكون بذله من فقر وقلة لأنه يكون بجهد ومشقة لقلة ماله وهو شديد صعب على من حاله الاقلال، ومن ثم قال بشر ـ رضي الله عنه: أشد الأعمال ثلاثة: الجود في القلة، والورع في الخلوة، وكلمة حق عند من يخاف ويرجى.

(٢) قال العراقي: رواه أحمد وابن حبان والحاكم من حديث أبي ذر ولأبي داود والحاكم "وصححه" من حديث أبي هريرة: أي الصدقة أفضل قال: ((جهد المقل)). اهـ، قال الزبيدي: وعند الطبراني من حديث أبي أمامة: ((أفضل الصدقة سر إلى فقير وجهد من مقل))، وعند ابن أبي حاتم وابن المنذر من حديثه قال قلت: يا رسول الله، أي الصدقة أفضل قال: ((جهد المقل أو سر إلى فقير)) ثم تلا: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ﴿٢٧١﴾ ﴾ [سورة البقرة]. وأما حديث أبي هريرة فقد أخرجه أبو داود في كتاب الزكاة وسكت عليه، وأقره المنذري، وأخرجه الحاكم فيها وصححه على شرط مسلم وأقره الذهبي ولفظه: ((أفضل الصدقات جهد المقل وأبدأ بمن تعول)). ((إتحاف السادة المتقين)): (١١١/٤).

(٣) ((صحيح البخاري)): كتاب الزكاة ـ باب الصدقة باليمين، رقم: ١٤٢٣، ((صحيح مسلم)): كتاب الزكاة ـ باب فضل إخفاء الصدقة، رقم: ٢٣٧٧.

تعالى: ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴿٢٧١﴾ ﴾[1]، وفائدة الإخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة، وقد بالغ في فضل الإخفاء جماعةٌ حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطي، فكان بعضهم يلقيه في يد أعمى، وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم. وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم المتوسطَ شأنَهُ ويوصيه بأن لا يفشيه: كل ذلك احترازاً من الرياء والسمعة.

---

(١) سورة البقرة.

الوظيفة الرابعة: أن يُظهر[1] حيث يعلم أن في إظهاره ترغيباً للناس في الاقتداء ويحرس سره[2] من داعية الرياء؛ فقد قال الله ﷻ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ﴿٢٧١﴾﴾[3]، وذلك حيث يقتضي الحال الإبداء إما للاقتداء وإما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي أن يترك التصدق خيفة من الرياء في الإظهار بل ينبغي أن يتصدَق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الإمكان، وهذا لأن في الإظهار محذوراً ثالثاً سوى المنّ والرياء وهو هتك ستر الفقير: فإنه ربما يتأذى بأن يرى في صورة المحتاج فمن أظهر السؤال فهو الذي هتك ستر نفسه. فلا يحذر هذا المعنى في إظهاره، وقد قال الله تعالى:- ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا

---

(١) عطاءه.

(٢) أن يحفظ باطنه.

(٣) سورة البقرة.

رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[1]، ندب إلى العلانية أيضاً لما فيها من فائدة الترغيب، فليكن العبدُ دقيقَ التأمل في وزن هذه الفائدة بالمحذور الذي فيه فإن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص فقد يكون الإعلان في بعض الأحوال لبعض الأشخاص أفضل. ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال.

الوظيفة الخامسة: أن لا يفسد صدقته بالمن والأذى قال الله تعالى: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ ﴿٢٦٤﴾﴾[2]، واختلفوا في حقيقة المن والأذى

(١) سورة الرعد: ٢٢، وسورة فاطر: ٢٩.

(٢) سورة البقرة. =

. قال الزبيدي: شبه سبحانه الذي يبطل صدقته بالمن والأذى بالذي ينفق ماله رئاء الناس لأجل مدحتهم وشهرته بالصفات الجميلة مظهرا أنه يريد وجه الله ولا ريب أن الذي يرائي في صدقته اسوأ حالاً من المتصدق بالمن لأنه معلوم أن المشبه به أقوى حالاً من المشبه ومن ثم قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ﴾ ثم ضرب مثل ذلك المرائي بالإنفاق بقوله: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ﴾ أي حجرا أملس ﴿فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ﴾ مطر كبير القطر=

فقيل المن أن يذكرها والأذى أن يظهرها، وقال سفيان: مَنْ مَنَّ فسدت صدقته فقيل له: كيف المنُّ؟ فقال: أن يذكره ويتحدّث به. وقيل: المَنُّ أن يستخدمه بالعطاء، والأذى أن يُعَيَّرهُ بالفقر. وقيل: المنُّ أن يتكبر عليه لأجل عطائه، والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسألة.

كانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفاً إلى فقير قالتا للرسول: احفظْ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله، وتقولان: هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا. فكانوا لا يتوقعون الدعاء لأنه

=﴿ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗا ﴾ أملس نقياً من التراب كذلك أعمال المرائين تضمحل عند الله فلا يجد المرائي بالانفاق يوم القيامة ثواب شيء من نفقته كما لا يحصل النبات من الأرض الصلدة والضمير في ﴿ لَّا يَقۡدِرُونَ ﴾ للذي ينفق باعتبار المعنى لأن المراد الجنس أو الجمع أي لا ينتفعون بما فعلوا ولا يجدون ثوابه وفي قوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ تعريض بأن الرياء والمن والأذى على الإنفاق من صفة الكفار، فلا بد للمؤمن أن يجتنبها. ((إتحاف السادة المتقين)): (٤ /١١٨، ١١٩). فتأمل.

شبه المكافأة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله. وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما. وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم[1]، ولا دواء من حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها؛ هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم. ولا يعالج القلب إلا بمعجون العلم والعمل، وهذه الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة.

الوظيفة السادسة: أن يستصغر العطية فإنه إن استعظمها أعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للأعمال؛ قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ

(١) وهو يدل على معرفة العبد بربه، وحسن أدبه في عبادته، ومن أحب الثناء والذكر على معروفه كان ذلك حظه منه، وبطل أجره.

﴿أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا ٢٥﴾[1]

ويقال إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله ﷻ والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله ﷻ. وقيل لا يتم المعروف إلا بثلاثة أمور: تصغيره وتعجيله وستره. وليس الاستعظام هو المنّ والأذى فإنه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام[2] ولا يمكن فيه المن والأذى بل العجب والاستعظام يجري في جميع العبادات[3] ودواؤه علم وعمل. أما العلم: فهو أن يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير وأنه قد قنع لنفسه بأخس درجات البذل فهو جدير بأن يستحيي منه فكيف يستعظمه؟ وإن ارتقى إلى الدرجة العليا

(١) سورة التوبة.

(٢) ولا يتصوّر فيه المن والأذى.

(٣) وهو وادٍ مهلك.

فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل أنـه مـن أيـن لـه المالُ[١] وإلى ماذا يصرفه؟ فالمال لله ﷻ وله المنة عليه إذ أعطاه ووفقه لبذله فلم يستعظم في حق الله تعالى ما هو عين حق الله سبحانه؟ وإن كان مقامه يقتضي أن ينظر إلى الآخرة وأنه يبذله للثواب فلم يستعظم بذلَ ما ينتظر عليه أضعافه؟ وأما العمـل: فهـو أن يعطيه عطاء الخَجلِ من بخل بإمساك بقية ماله عـن الله ﷻ فتكون هيئته الانكسار والحياء، كهيئـة مـن يطالب بردٍّ وديعةٍ فيمسك بعضها ويرد البعض[٢]، لأن المال كله لله ﷻ وبذل جميعه هو الأحـب عنـد الله سبحانه[٣]، وإنما لم يأمر به[٤] عبدَهُ لأنه يشق عليه

(١) ويذكر مبدأ نشأته من نطفة من ماء مهين، وقد خرج من بطن أمه ولا شيء معه.

(٢) قال الشاعر: وما المال والأهلون إلا ودائع * ولابد يوماً أن ترد الودائع.

(٣) ليتفرغ قلبه عن الميل إلى سوى الله.

(٤) أي: ببذله كله.

بســـبب بخلـــه؛ كمـــا قـــال الله ﷻ: ﴿فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا ۝٣٧﴾[1].

الوظيفة السابعة: أن ينتقي من ماله أجوده وأحبه إليه وأجلّه وأطيبه فإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً. وإذا كان المخْرَجُ من شبهة فربما لا يكون ملكاً له مطلقا فلا يقع الموقع. وفي حديث أبان عن أنس بن مالك: «طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية»[2] وإذا لم يكن المخرج من جَيِّدِ المال فهو من سوء الأدب إذ قد يمسك الجيد

---

(١) سورة محمد ـ صلى الله عليه وسلم.

(٢) قال العلامةّ الزبيدي: هكذا في "القوت" قال العراقي: رواه ابن عدي والبزاز بسند ضعيف.اهـ قلت: وضعفه من قبل راويه عن أنس، وأخرج البغوي والماوردي وابن قانع والطبراني والبيهقي وتمام وابن عساكر عن ركب المصري ـ رضي الله عنه، رفعه: "طوبى لمن تواضع من غير منقصة، وذل في نفسه من غير مسكنة، وأنفق من مال جمعه من غير معصية، وخالط أهل العفة والحكمة، ورحم أهل الذلة والمسكنة، طوبى لمن ذل نفسه، وطاب كسبه، وحسنت سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق المال من فضله، وأمسك الفضل من قوله". ((إتحاف السادة المتقين)): (١٢٦/٤).

لنفسه أو لعبده أو لأهله فيكون قد آثر على الله ﷻ غَيْرَهُ، ولو فعل هذا بضيفه وقدم إليه أردأ طعام في بيته لأوغر بذلك صدره[1]، هذا إن كان نظره إلى الله ﷻ، وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه في الآخرة فليس بعاقل من يُؤثر غيره على نفسه، وليس له من ماله إلا ما تصدق به فأبقى أو أكل فأفنى، والذي يأكله قضاء وطر في الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار إلى الآخرة وقد قال الله تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُواْ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ وَلَسْتُم بِـَٔاخِذِيهِ إِلَّآ أَن تُغْمِضُواْ فِيهِ ﴿٢٦٧﴾ ﴾[2] أي لا تأخذوه إلا مع كراهية وحياء وهو معنى الإغماض فلا تؤثروا به ربكم. وفي الخبر: ﴿سَبَقَ دِرْهَمٌ مائَةَ

---

(١) أي ملاه حرارة وحقداً وعداوة.

(٢) سورة البقرة.

أَلفِ دِرْهَمٍ﴾[1]، وذلك بأن يخرجه الإنسان وهو من أجلّ ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل، وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على أنه ليس يؤثر الله ﷻ بشيء مما يحبه.

الوظيفة الثامنة: أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفي بأن يكون من عموم الأصناف الثمانية، فإن في عمومهم خصوص صفات فليراع خصوص تلك الصفات وهي ستة:

الأولى: أن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجرّدين لتجارة الآخرة قال ﷺ: ﴿ لا تأكلْ إلا طعام

(١) قال العلاّمة الزبيدي: قال العراقي: رواه النسائي وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة. اهـ، قلت: وأخرج ابن المنذر عن أبي هريرة قال: ((لدرهم طيب أحب إلي من مائة ألف، وقرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾)) الآية. وبه يظهر مناسبة إيراد هذا الخبر بعد هذه الآية، ثم ان هذه الجملة هكذا أوردها "صاحب القوت" واقتصر عليها وقلده المصنف. ((إتحاف السادة المتقين)): (١٢٧/٤).

تقيٍ ولا يأكل طعامكَ إلا تقي﴾[1] وهذا لأن التقي يستعين به على التقوى فتكون شريكاً في طاعته بإعانتك إياه.

الصفة الثانية: أن يكون من أهل العلم خاصة[2]، فإن ذلك إعانة له على العلم، والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية.

وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل له: لو عممت، فقال: إني لا أعرف بعد مقام

(١) قال العراقي: رواه أبو داود والترمذي من حديث أبي سعيد بلفظ: ((لا تصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي)) اهـ. قلت: وكذلك رواه ابن المبارك وأحمد والدارمي وأبو يعلى وابن حبان والحاكم والبيهقي والضياء، وقال الترمذي: حسن وفي "الرياض": إسناده لا بأس به، وقال الحاكم: صحيح، وأقره الذهبي الا ان لفظهم: ((لا تصاحب))؛ فالجملة الأخيرة من الحديث هي الموافقة لحديث أبي سعيد وإنما هي عن مواكلة غير تقي؛ لأن المطاعمة توجب الألفة وتؤدي إلى المخالطة بل هي أوثق عرا المداخلة ومخالطة غير التقي تخل بالدين، وتوقع في الشبهة والمحظورات؛ فكأنه نهى عن مخالطة الفجار إذ لا تخلو عن فساد أما بمتابعة فعل أو مسامحة في اغضاء عن منكر فإن سلم من ذلك فلا يخطئه فتنته الغيرية. انظر "الإتحاف": (٤/١٢٨).

(٢) وهم الذين يشتغلون بتعلمه وتعليمه لله تعالى، ليس لهم هم سوى ذلك، فهم في مقام الإرشاد.

النبوة أفضل من مقام العلماء[1] فإذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل.

الصفة الثالثة: أن يكون صادقاً في تقواه وعلمه بالتوحيد. وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله ﷻ وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه وهو أن يرى أن النعمة كلها منه[2].

الصفة الرابعة: أن يكون مستتراً مخفياً حاجته لا يكثر البث والشكوى أو يكون من أهل المروءة[3]

---

(١) أي: فالصدقة إليهم أفضل وإنما كان؛ لأن مرتبته في الحقيقة مرتبة الإرشاد والتسليك وإهداء الضال وهي مرتبة النبوّة.

(٢) فمثل هذه الصدقة بهذا الشهود تثمر له طاعة وهداية ونوراً وعلماً؛ لأنها تقع في يد الرحمن قبل وقوعها في يد الآخذ؛ فيربيها للمتصدق، وهذا كله هو تربية الرحمن لها.

(٣) المروءة، هي: قوّة نفسانية تحمل مراعاتها الإنسان على الوقوف عند محاسن الأخلاق، وجميل العادات. قال الإمام الجرجاني ﷺ، في "التعريفات": هي قوّة للنفس مبدأ لصدور الأفعال الجميلة المستتبعة للمدح شرعاً وعقلاً وعرفاً: (ص٢١٠).

ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل قال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ ﴿٢٧٣﴾﴾ [1] أي لا يلحون في السؤال لأنهم أغنياء بيقينهم أعزة بربهم. وهذا ينبغي أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين في كل محلة ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف إليهم أضعاف ما يصرف إلى المجاهرين بالسؤال.

الصفة الخامسة: أن يكون معيلاً أو محبوساً بمرض أو بسبب من الأسباب فيوجد فيه معنى قوله ﷻ: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ

(١) سورة البقرة.

ٱللَّهِ ﴿٢٧٣﴾﴾[1] أي حُبسوا في طريق الآخرة بعيلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي ٱلْأَرْضِ ﴿٢٧٣﴾﴾[2] لأنهم مقصوصو الجناح مقيدو الأطراف. فبهذه الأسباب كان عمر ﷺ يعطي أهل البيت القطيع من الغنم ـ العشرة فما فوقها ـ وكان ﷺ يعطي العطاء على مقدار العيلة وسأل عمر ﷺ عن جهد البلاء فقال: (كثرة العيال وقلة المال).

الصفة السادسة: أن يكون من الأقارب وذوي الأرحام فتكون صدقة وصلة رحم وفي صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى، قال عليّ ﷺ: لأنْ أصِلَ أخاً من إخواني بدرهم أحبُّ إليَّ من أن أتصدق

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة البقرة.

بعشرين درهماً. ولأنْ أصله بعشرين درهماً أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم، ولأن أصله بمائة درهم أحب إلي من أن أعتق رقبة[1]. والأصدقاء وإخوان الخير أيضاً يُقَدّمون على المعارف كما يتقدّم الأقارب على الأجانب؛ فليراعِ هذه الدقائق فهذه هي الصفات المطلوبة، وفي كل صفة درجات فينبغي أن يطلب أعلاها، فإن وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهي الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى[2]. اللهم؛ وفقنا لذلك، يا معين يا كريم.

اللّهم؛ وفقنا لإتباعِ الشرّعِ، وإكْرام الضيفِ، وسَلامةِ الصدرِ، والتجرّد عَن الخلقِ، والشفقةِ

(١) ولأن الله تعالى ضم الأصدقاء إلى الأقارب؛ فكان فضل الصدقة على الصديق دون البعيد كفضل الصدقة على القرابة دون الأباعد؛ لأنه ليس بعد صلة الرحم في معناها أفضل من صلة الإخوان، وكان بعض السلف يقول: أفضل الأعمال صلات الإخوان.

(٢) ((المستخلص في تزكية الأنفس)): لسعيد حوى رحمه الله (ص٥٨، ٦٥).

والغيرةِ على الأمةِ. اللّهم؛ إنا نسألُكَ قلوباً أوَّاهةً مُخبتةً منيبةً في سبيلك. اللّهم؛ إنا نسألُك عَـزائمَ مَغفرتِكَ ومُنجياتِ أمركَ، والسلامة من كـل إثـمٍ، والغنيمة من كُلِّ بِرٍّ، والفوزَ بالجنَّـةِ، والنَّجـاةَ مـن النَّار، برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللّهم؛ وفقنا لطاعتك ومحبتك، ونرجوك رضاك، وحسن لقاك ـ يا لطيف يا واسع يـا علـيم يـا الله. آمينَ آمين.

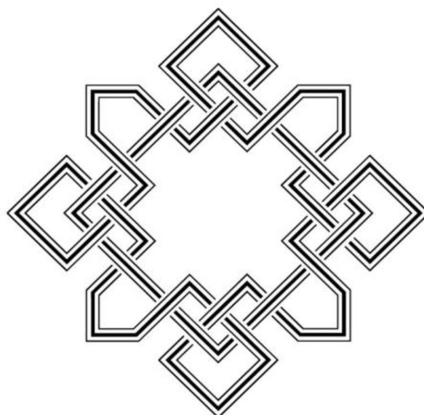
وصلى الله وسلّم على نبيه المختار، وعلى آلـه الأبرار، وصحابته الأخيار، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم القرار. والحمد لله ربِّ العباد.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[1].

(١) سورة البقرة.



رُكْنُ الصِّيَام









"الركن الرابع": الصيامُ: وحُكمُه حكمٌ عظيم من الأحكام التي شرعها الله تعالى للأمة، وهو من العبادات الرامية إلى تزكية النفس ورياضتها، ومعارج القلب وتنويره، وفي ذلك صلاح حال الأفراد فرداً فرداً؛ إذ منها يتكون المجتمع الصالح.

"وهو في اللغة": مطلق الإمساك، أو الإمساكُ عن الشيء والتركُ له، ومن هنا قيل: للصمت: صّومٌ، لأَنه إمساكٌ عن الكلام؛ كما في قوله تعالى حكاية عن قول أم عيسى ـ عليهما السلام: ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾﴾[1]، وليس إطلاقاً للصوم ترك الكلام، ولكن المراد أن

(١) سورة مريم.

الصوم كان يتبعه ترك الكلام على وجه الكمال والفضل[1].

ويطلق أيضاً على الاعتدال، يقال: صام النهار إذا اعتدل، وقام قائم الظهيرة؛ قال امرؤ القيس:-

فدع ذا وسلِّ الهم عنك بجسرة

ذمول إذا صام النهار وهَجّرا[2].

وكذلك يطلق "الصّوم" على: ترك الأكل، يقال: صام الفرس إذا قام على غير اعتلاف.

قال النابغة:-

خَيْلٌ صِيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ

تحتَ العَجَاجِ وأُخْرى تَعْلكُ اللُّجُما[3].

---

(١) ((تفسير التحرير والتنوير)): (١٥٣/٢، ١٥٤).

(٢) الجسرة: الناقة القوية على السير، والذمول: السريعة. وصام النهار: قامت الظهيرة، وهجّرا: حميت الهاجرة واشتد حرها؛ انظر: "ديوان امرؤ القيس شرح السندوبي".

(٣) فقوله: (خيل) الخيل الأفراس، ولا واحد لها من لفظها، وقيل: واحدها خائل، والجمع خيل؛ كما يقال: سافر وسفر. وقوله: (صيام) نعت لها، وهو جمع صائم، ومعناه: ممسكات عن الاعتلاف (وخيل غير صائمة) أي: وأفراس أخر غير ممسكات عنه بل هي معتلفة (تحت=

"وأما في الشرع": فهو الإمساك عن الأكلِ والشربِ والجماع وجميعِ المفطراتِ من الفجرِ إلى غروبِ الشمسِ، مع الاقترانِ بالنيةِ ـ ابتغاءَ مرضاتِ اللهِ تعالى.

وقد سُمّي رمضان: لأن الذنوب تُرمض فيه، أي: تُحرق؛ لأن الرمضاء شدة الحر؛ قال عبدُ الله بن عُمر: (إنما سُمّيَ رمضان؛ لأن الذنوب تُرْمَضُ فيه، فإنما سُمّيَ شوّال؛ لأنه يشوّل كما تشوّل الناقة ذنبها[1].

=العجاج) أي: الغبار، وهو في الحرب وأفراس أخر (تعلك) أي: تلوك (اللجما) جمع لجام والألف التي في آخره زيادة إشباعاً للفتحة وتسوية للقافية، وقد علك يعلك من حد دخل أي: لاك يلوك، والعلك بالكسر ما يلاك والعلك بالفتح المصدر، وهو اللوك، وفي الشرع: عبارة عن الامساك عن الأكل والشرب والمباشرة مع النية في جميع النهار. ينظر: ((طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية)): لنجم الدين ابن حفص النسفي (ت٥٣٧هـ)، (ص٢١).

(١) أخرجه ابن عساكر في "تاريخه" ينظر: ((الدر المنثور)): (١/٤٤٤). قال العلامة إسماعيل حقي البروسوي (ت ١١٣٧ هـ)، في "تفسيره" (٥/٣٩): قال في "شرح التقويم": هو من الشول وهو الخفة من الحرارة في العمل والخدمة، وإنما سمى بذلك لخروج الإنسان فيه عن مخالفة النفس الأمارة، وقمع شهواتها اللذين كانا في الإنسان في رمضان بإطلاق طوع المستلذات والمشتهيات، فعند خروجه عن ذلك كان يجد خفة في نفسه ويستريح.

واعلم: أن الصّوم مـن أعظـم أركـان الـدين، وأوثق قوانين الشرع المتين، به قهر النفس الأمارة بالسوء، وهو مركب من أعمال القلب، ومن المنـع من المآكل والمشارب والمناكح عامة يومه، وهو أجمل الخصـال، بـل هـو أفضـل العبـادات، ومـن أشـق التكاليف على النفس، فاقتضت الحكمـة الإلهيـة؛ أن يبـدأ في التكـاليف الواجبـة بـالأخف، وهـو: "شـهادة أن لا إلـه إلا الله، وأن محمـداً رسـول الله ﷺ"، وهي: عبـادة لفظيـة مختصـة بالجـارح ـ وهـو اللسان، مع إقـرار القلـب بالتصـديق، ثـم يـثني: "بالصـلاة" الـتي هـي: عبـادة جسـدية بالأركـان والأعضاء، مع الصفاء والحضور بالقلب، ويثلـث: "بالزكاة"، وهي: عبادة لتطهير المال، واتباع الأمـر،

والتقرب بالصدقات، ثم رابعةُ: الأشق وهو: "الصوم"، وهو: عبادة جسدية ومالية معاً.

أما الجسدية: فالإمساك عن الشراب والطعام، والامتناع عن الشهوات الظاهرة والباطنة، وضعف النفس والبدن ـ كالصبر على أقدار الله المؤلمة.

وأما المالية، فهي: فطرة الصوم، والصدقات المرغب بها في شهر رمضان، والتي تتضاعف حسناتها ومعارجها عند الله تعالى؛ كما قال ﷺ: ﴿لا تَتَّخِذُوا بُيُوتَكُمْ قُبُورًا صَلُّوا فِيهَا[1]، وَمَنْ فَطَّرَ صَائِمًا كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الصَّائِمِ لا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ، وَمَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ خَلَفَهُ فِي أَهْلِهِ

(١) أي لا تجعلوها كالقبور في خلوها عن الذكر والعبادة، بل صلوا فيها. قال ابن الكمال: كنى بهذا النهي عن الأمر بأن يجعلوا لبيوتهم حظاً من الصلاة، ولا يخفى ما في هذه الكناية من الدقة والغرابة، فإن مبناها على كون الصلاة منهية عند المقابر على ما نص عليه في خبر: "لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا إليها". انظر ((فيض القدير)): (٦/٥٠٥).

كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الْغَازِي فِي أَنَّهُ لا يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِ الْغَازِي شَيْءٌ﴾. رواه أحمد وابن أبي شيبة[1].

وخامسه: "الحج"، وهو: أكثر الأركان مشقةً، وهو عبادة جسدية ومالية وروحية.

أما الجسدية؛ فلقوله تعالى: ﴿لَّمْ تَكُونُوا۟ بَـٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾[2]، ولما يقع من مشاق السفر، وأعمال النسك وغيرها.

والمالية: من نفقة الركوب، والسكن، والطعام والشراب، والصدقات؛ كما قال ﷺ: ﴿النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِسَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ﴾. أخرجه ابن أبي شيبة وأحمد في مسنديهما، والطبراني[3].

---

(١) قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، رجاله ثقات مشاهير: ينظر ((المسند)): (٢٤٨/١٣)، رقم: ١٦٩٨١، و((مصنف ابن أبي شيبة)): (١٢٢/٣)، رقم: ١٩٥٥٥.

(٢) سورة النحل.

(٣) ((مصنف ابن شيبة)): (١٢٢/٣)، رقم: ١٢٦٦٠، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح:- ينظر ((المسند)): (٤٩٤/١٦)، رقم: ٢٢٨٩٦، ((المعجم الأوسط)): (٢٥٦/٥)، رقم:- ٥٢٧٤.

أما الروحية: فجعل الله الحجَّ رهبانية هذه الأمة؛ قـال تعـالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ ﴿٢٧﴾﴾[1]. وسُئل ﷺ عـن الرهبانيـة فقال: «أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف من الأرض»[2]، وهو الحج.

قال الإمام الغزالي: فـأنعم الله ﷻ علـى هـذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم[3]، فشرف البيـت

---

(١) سورة الحديد. قال العلامة مرتضى الزبيدي: ومدحهم الله تعالى على الرهبانية ابتداءً فقال: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ ثم ذمهم على ترك شرطها بقوله: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾؛ لأن كفرهم بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم؛ أحبطها. ((إتحاف السادة المتقين)): (٤/٤٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود من حديث أبي أمامة "أن رجلاً قال: يا رسول الله، ائذن لي في السياحة، فقال: إن سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله" رواه الطبراني بلفظ "إن لكل أمة سياحة وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتي الرباط في نحر العدو" وللبيهقي في الشعب من حديث أنس "رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله" وكلاهما ضعيف. ورواه الترمذي وحسنه، والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجة من حديث أبي هريرة "أن رجلاً قال: يا رسول الله، إني أريد أن أسافر فأوصني قال: "عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف". ينظر: ((تخريج أحاديث الإحياء)): (٢/٣٤٠).

(٣) أي بمنزلتها لما في كل منهما قطع المألوفات والمستلذات من سائر الأنواع. فتأمل.

العتيق بالإضافة إلى نفسه تعالى[1]، ونصبه مقصداً لعباده، وجعل ما حواليه حرماً لبيته[2] تفخيماً لأمره، وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه، وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره، ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق[3]، شعثاً غبراً متواضعين لرب البيت، ومستكينين له خضوعاً لجلاله واستكانة لعزته، مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد، ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم، وأتم في إذعانهم وانقيادهم، ولذلك وظف عليهم فيها أعمالاً[4] لا تأنس بها النفوس[5]، ولا تهتدي

---

(١) إذ سماه بيت الله.

(٢) بالحدود المعلومة.

(٣) أي بعيد.

(٤) غريبة المعنى.

(٥) البشرية ولا تألفها.

إلى معانيهـا العقـول[1]: كرمـي الجمـار بالأحجـار، والتردد بين الصفا والمـروة علـى سـبيل التكـرار. "وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية"، فإن الزكاة إرفاق[2]، ووجهه مفهوم، وللعقـل إليـه ميل.

والصوم: كسر للشهوة التي هي آلة عـدو الله، وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل.

والركوع والسجود في الصلاة: تواضع لله ﷻ بأفعالٍ هي هيئة التواضع[3]، وللنفوس أنس بتعظيم الله ﷻ[4].

(١) القاصرة عن إدراك المعاني الغريبة.

(٢) أي بذل ما فيه الرفق لفقراء المسلمين.

(٣) من انحناء الظهر ووضع الجبهة على الأرض.

(٤) ((إحياء علوم الدين)): (١/٢٦٧).

ـ"أما ما ورد في فرضية صوم رمضان": قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾[1].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾ فهو نداءٌ وتنبيهٌ لأحبابه ـ جلَّ وعلا.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾: شَهَدَ لهم الحق بالإيمان، ودخول الجنّة بغير حساب.

﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾ دلالته على الوجوب، أي: فرض عليكم صيام رمضان.

واعلم أن النبيَّ ﷺ صام تسع رمضانات[2]، وأنه صام أول رمضان في العام الثاني الهجري.

﴿ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ ﴾ أي: أنه فرض عليكم كما فرض على الذين من قبلكم من

(١) سورة البقرة.

(٢) ينظر: ((عمدة القاري)): (١٠/٢٤٥)، و ((تحفة الأحوذي)): (٣/٣٠١).

الأنبياء وأممهم؛ قال سيدنا علي رضي الله عنه: أوّلهم آدم، يعني: أنّ الصوم عبادة قديمة أصلية ما أخلى الله أمّة من افتراضها عليهم، لم يفرضها عليكم وحدكم[1]، لكن التشبيه في أصل فرض ماهية الصوم لا في الكيفيات، والتشبيه يكتفَي فيه ببعض وجوه المشابهة وهو: وجه الشبه المراد في القصد، وليس المقصود من هذا التشبيه الحوالةَ في صفة الصوم على ما كان عليه عند الأمم السابقة[2].

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾: أخبرَ الحقُ سبحانه أنَّ الحكمةَ من الصيام هي: التقوى ـ ككسر الشهوة، وما يبعد عن الله تعالى، وهي: "أصل التكليف" فتنبه.

---

(١) ((الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل)): لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي: (ت٥٣٨هـ)، (١٦٢/١).

(٢) ((التحرير والتنوير)): (١٥٤/٢).

ففي الصوم وقاية من المآثم، ووقاية من الوقوع في عذاب الآخرة، ووقاية من العلل والأدْواء الناشئة عن الإفراط في تناول اللذات.

وقال تعالى: ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ ﴿١٨٥﴾ ﴾[1].

ـ﴿ شَهۡرُ رَمَضَانَ ﴾ هو الواجب صومه على هذه الأمة المرحومة.

﴿ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ ﴾ من اللوح المحفوظ في ليلة القدر إلى بيت العزة في السماء الدنيا، ثم أُنزل منجماً إلى النَّبيِّ الكريم ﷺ في مدة البعثة ـ بحسب الوقائع والمصالح، بل الكتب الأربعة كلها تنزلت

(١) سورة البقرة.

فيه على ما نُقل في الحديث[1]؛ وكيف لا يكون أفضل الشهور، والحال أن القرآن المنزل فيه: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ وهو القرآن الكريم المشتمل على الهداية لمصالحهم الدينية والدنيوية.

﴿وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ﴾ أي: شواهد وَدَلالات واضحات من الحلال والحرام، والحدود والأحكام.

﴿وَٱلْفُرْقَانِ﴾ أي: المفرّق بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأهل السعادة وأهل الشقاوة.

(١) عن واثلة بن الأسقع ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان". قال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن، لأجل عمران القطان، والباقون ثقات تقدموا، والحديث رواه الطبراني في "الكبير" (٧٥/٢٢)، رقم ١٨٥، وأشار الهيثمي (١٩٧/١) إلى الخلاف في عمران ثم قال: وقال أحمد: أرجو أن يكون صالحاً. ينظر ((المسند)): (٢٢٣/١٣)، رقم:١٦٩٢١.

﴿فَمَن شَهِدَ﴾ أي: حضـــر أو أدرك أو عَلِـــمَ. ﴿مِنكُمُ﴾ عباد الله المؤمنين. ﴿ٱلشَّهۡرَ﴾ المذكور مقيماً مطيقاً بلا عذر.

﴿فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ واجب عليه، ولا يفرّط في يوم منه بغير عذر.

ـ روى النَّسائيُّ وأحمد عن أبي هريرة ﷺ، عن النَّبيِّ ﷺ، قـال: «أَتَاكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، فَرَضَ الله ﷻ، عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فيه أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فيه أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فيه مَرَدَةُ الشَّيَاطِينِ، لِلَّهِ فيه لَيْلَةٌ خَيْرٌ من أَلْفِ شَهْرٍ، من حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ»[1].

وقـال أكمـل الرسـل ﷺ: «إِنَّ اللهَ فَرَضَ صِيَامَ رَمَضَانَ عَلَيْكُمْ، وَسَنَنْتُ لَكُمْ قِيَامَهُ، فَمَنْ صَامَهُ وَقَامَهُ

---

(١) ((سنن النسائي الكبرى)): (٢/٦٦)، رقم: ٢٤١٦، ((سنن النسائي)): كتاب الصيام ـ ذكر الاختلاف على معمر فيه، رقم: ٢١٠٦، قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح. ينظر: ((المسند)): (٧/٦، ٧) رقم: ٧١٤٨.

إيمَانا وَاحْتِسابا خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ﴾. رواه النسائي وابن ماجه وأحمد[1].

ـ ﴿إنَّ اللهَ فَرَضَ صِيَامَ رَمَضَانَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: على هذه الأمة المرحومة؛ بقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾. كما كتب على الأنبياء والأمم من لدن آدم إلى عهدكم.

﴿وَسَنَنْتُ لَكُمْ قِيَامَهُ﴾، أي جعلت لكم الصلاة فيه ليلاً سنة، وفسره كثيرٌ بالتراويح؛ وهي: فضيلة عظيمة، لكن ذلك الفضل، وكمال الثواب يحصل

(١) ((سنن النسائي)): كتاب الصيام ـ باب ذكر اختلاف يحيى بن أبي كثير والنضر بن شيبان فيه، رقم: ٢٢١٠، ((سنن ابن ماجه)): كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في قيام شهر رمضان، رقم: ١٣٢٨، ((مسند أحمد)): حديث عبد الرحمن بن عوف الزهري، رقم: ١٦٦٠، قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح. ينظر: ((المسند)): (٢/٣٠٦).

بكمال التراويح؛ لما قاله أهل القرون الثلاثة ﷺ، وقيل غير ذلك[1].

﴿فَمَنْ صَامَهُ وَقَامَهُ إيمَاناً وَاحْتِساباً﴾ ﴿إيمَاناً﴾ أي تصديقاً بأنه حق وطاعة. ﴿وَاحْتِساباً﴾ لوجهه تعالى لا رياء، وطلب الأجر من الله تعالى.

﴿خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ﴾ والمراد الذنوب الصغائر، ما اجتنبت الكبائر، وقيل: يشمل الصغائر والكبائر، وخصه العلماء بالصغائر، لما لاح لهم من الأدلة[2].

قال ابن عطاء الله: وقد رأينا فنظرنا كل مأمور به أو مندوب من الشارع يستلزم الجمع على الله، وكل منهي عنه أو مكروه يتضمن التفرقة عنه، فإذا

---

(١) انظر: رسالتنا الموسومة المسماة ((من أحوال رمضان وليلته المباركة))، موضحين ومحققين ذلك، بتوفيق الله تعالى.

(٢) انظر: ((شروح سنن ابن ماجه)): (١/ ٥٣٠).

مطلوبه من عباده وجود الجمع عليه لكن الطاعات هي أسباب الجمع ووسائله فلذلك أمر بها، والمعصية أسباب التفرقة ووسائلها فلذا نهى عنها[1].

أما جزاؤه: فقد قَالَ رَسُولُ اللَّـهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ». رَوَاهُ الخَمْسَةُ إلا أَبَا دَاوُدَ[2]. وفي روايةٍ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ الْحَسَنَةُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَة ضِعْفٍ قَالَ اللهُ عَجَلَّ: إِلا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ». رواه مسلم وأحمد والبيهقي[3].

---

(١) انظر: ((فيض القدير)): (٢/٢٧٥).

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الصوم . باب هل يقول إني صائم إذا شتم، رقم: ١٨٠٥، ((صحيح مسلم)): كتاب الصيام . باب ما جاء في فضل الصوم، رقم: ١١٥١، ((سنن الترمذي)): كتاب الصوم . باب ما جاء في فضل الصوم، رقم: ٧٦٤، ((سنن النسائي)): كتاب الصيام . ذكر الاختلاف على أبي صالح في هذا الحديث، رقم: ٢٢١٦.

(٣) ((صحيح مسلم)): كتاب الصيام . باب ما جاء في فضل الصوم، رقم: ١١٥١، ((مسند أحمد)): رقم:٩٧١٢، ((سنن البيهقي الكبرى)): (٤/٣٠٤)، رقم: ٨٢٩١.

"أي أخي": اختلف العلماء في معناه مع كون جميع الطاعات لله تعالى، فقيل سبب إضافته إلى الله تعالى، أنه لم يعبد أحد غير الله تعالى به، فلم يُعظِم الكفار في عصر من الأعصار معبوداً لهم بالصيام، وإن كانوا يعظمونه بصورة الصلاة، والسجود، والصدقة، والذكر وغير ذلك، وقيل: لأن الصوم بعيد من الرياء لخفائه، بخلاف الصلاة والحج والغزو والصدقة وغيرها: من العبادات الظاهرة، وقيل: لأنه ليس للصائم ونفسه في حظ، قاله الخطابي قال: وقيل لأن الاستغناء عن الطعام من صفات الله تعالى، فتقرب الصائم بما يتعلق بهذه الصفة وإن كانت صفات الله تعالى لا يشبهها شيء، وقيل: معناه أنا المنفرد بعلم مقدار ثوابه، أو تضعيف حسناته، وغيره من العبادات أظهر سبحانه

بعض مخلوقاته على مقدار ثوابها، وقيل: هي إضافة تشريف؛ كقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ ﴿١٣﴾﴾[1] مع أن العالم كله لله تعالى، وفي هذا الحديث بيان عظم فضل الصوم والحث عليه. فتأمل.

وقوله تعالى: «وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» بيان لعظم فضله وكثرة ثوابه، لأن الكريم إذا أخبر بأنه يتولى بنفسه الجزاء، اقتضى عظم قدر الجزاء وسعة العطاء[2].

قال القاري في "عين العلم، وزين الحلم":- وإنما قال: «وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»، مع أن جزاء كل العبادات منه تعالى ـ إشارة إلى عظم ذلك الأجر؛ لأن الكريم إذا تولى بنفسه اقتضى ذلك سعة الجزاء، وكأنه لم يذكر ما يجزى به لكثرته؛ ويومي إليه قوله تعالى:

---

(١) سورة الشمس.

(٢) ((فتح الملهم)): (٦/٢٣٧).

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ١٠﴾[1]، وقد ورد: «وَالصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ»، أخرجه الترمذي، وحَسَّنَه[2] «والصبْرُ نِصْفُ الإيمان» أخرجه أبو نعيم في "الحلية" من حديث ابن مسعود بسند حسن[3] «وَأَنَا أَجْزِي بِهِ» أي: (جزاؤه لقائي) يعني: (رؤيتي) في العقبى (أو معرفتي) أي: في الدنيا، ولا منع من الجمع (وإنما خصَّ الصومُ بالإضافة) أي: اللامية مع أن كل عبادة مختصة له سبحانه، (لأنه) من بين العبادات، (خلق صمدي)، فإن الاستغناء من الأكل الشرب والجماع من الصفات الصمدية والنعوت الأحدية، وكأن الصائم متخلقاً بذلك الخلق من

---

(١) سورة الزمر.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب الدعوات، رقم: ٣٥١٩.

(٣) أخرجه أبو نعيم في "الحلية" والبيهقي في "الزهد" من حديثه مرفوعاً ولا يثبت رفعه. ينظر: ((فتح الباري)): (٤٨/١).

أخلاق الله، وروي: (تخلقوا بأخلاق الله)[1]، وقد قالوا: كل اسـم مـن أسمائـه سـبحانه للتخلـق إلا اسـم الجلالة، فإنه للتعلق، فالإضافة تشريفية ـ كناقة الله، وبيت الله، وإنما قال: ﴿أَنَا أَجْزِي بِهِ﴾ مع أنَّ جزاء كل العبادات منه سبحانه إشارة إلى عظم ذلك الأجر به لأن الكريم إذا وعد أن يتولى شيئاً بنفسه اقتضـى ذلك عظمته، وكأنه لم يذكر ما يجزى به لكثرتـه أو نفاسته، كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٌ مَّآ

(١) إن كثرة المال سبب لحصول الطغيان والقسوة في القلب، وسببه ما ذكرنا من أن كثرة المال سبب لحصول القدرة، والقدرة محبوبة لذاتها، والعاشق إذا وصل لمعشوقه استغرق فيه، فالإنسان يصير غرقاً في طلب المال، فإن عرض له مانع يمنعه عن طلبه استعان بماله وقدرته على دفع ذلك المانع، وهذا هو المراد بالطغيان، وإليه الإشارة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ٧ ﴾ [سورة العلق] فإيجاب الزكاة يقلل الطغيان ويرد القلب إلى طلب رضوان الرحمن. أن النفس الناطقة لها قوتان، نظرية وعملية، فالقوة النظرية كمالها في التعظيم لأمر الله، والقوة العملية كمالها في الشفقة على خلق الله، فأوجب الله الزكاة ليحصل لجوهر الروح هذا الكمال وهو اتصافه بكونه محسناً إلى الخلق ساعياً في إيصال الخيرات إليهم دافعاً للآفات عنهم، ولهذا السر قال عليه الصلاة والسلام: "تخلقوا بأخلاق الله" ينظر: ((التفسير الكبير)): (٨١/١٦).

﴿أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾[1] من إخفاء الأعمال، وحديث: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»، رواه البخاري ومسلم[2]، (أو عمل سرّي): فإنه قصد قلبي مع ترك المفطر الصوري، والملائكة الكتبة لا يطلعون على ما لا عمل فيه، فهو سرٌّ بين العبد وربّه بحيث لا يطلّع عليه غيره، (أو قهر النفس والشيطان الذي هو)، أي: قهرهما، (أصل المعاملة): فإن مدار المعاملة على مخالفتهما، وموافقة الله ورسوله في حكمهما، وأيضاً كما أن النفس والشيطان مقهوران مغلوبان في قبضة الله سبحانه يكونان مقهورين مغلوبين أيضاً في قبضة الصائم

---

(١) سورة السجدة.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب بدء الخلق . باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، رقم: ٣٢٤٤، ((صحيح مسلم)): كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، رقم: ٢٨٢٤.

فصار الصائم حينئذ متخلقاً بخلق الحق في الجملة، ولو كان وصفه سبحانه بنعت الدوام. اهـ[1]. فتنبه.

قال ابن رجب في "اللطائف": استثناء الصوم من الأعمال المضاعفة؛ فتكون الأعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لا ينحصر تضعيفه في هذا العدد، بل يضاعفه الله ﷻ أضعافاً كثيرة بغير حصر عدد، فإن الصيام من الصبر؛ وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾[2]، ولهذا ورد عن النبيِّ ﷺ: أنه سمى شهر رمضان شهر الصبر؛ وفي حديث آخر عنه ﷺ قال: «الصوم نصف الصبر» خرجه الترمذي. والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة،

---

(١) ((شرح عين العلم وزين الحلم)): للقاري (١/١٦٩).

(٢) سورة الزمر.

وتجتمع الثلاثة في الصوم؛ فإن فيه صبراً على طاعة الله، وصبراً عما حرم الله على الصائم من الشهوات، وصبراً على ما يحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش وضعف النفس والبدن، وهذا الألم الناشئ من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه؛ كما قال الله تعالى في المجاهدين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾﴾[(١)].

"أي أخي": اعلم أن الصوم منازلُ ومراتبُ.

الأولى: وهي "أدنى رتبة": وهو الجواز، وهو أعم من أن يكون مقبولاً أم لا، ناقصاً أو كاملاً، وهو مقام العوام وهو: "الكف عن الشهوتين"

---

(١) سورة التوبة.

ينظر: ((لطائف المعارف، فيما لمواسم العام من الوظائف)): (ص١٥٨).

أي: الامتناع عن شهوتي البطن والفرج في وقته مقروناً بالنية المعتبرة المذكورة في محله.

والثانية: وهي "كف الجوارح" أي: منع الأعضاء من العين، والإذن، واللسان، وسائر الأعضاء والأركان "عن الإثم" أي: مطلق العصيان "وهو مناط القبول" لقوله ﷻ: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾[1]، وهو: "صوم الخصوص".

والثالثة: وهي "كف القلب عما سواه تعالى"، أي: عمّا عدا ذكر الربّ وما يتعلق به (وهو) أي: هذا النوع من الصوم "للأنبياء والأولياء"، وهم: "خصوص الخصوص"؛ وتوضيحه: أن يصوم قلبه ولبه عن الهمم الدنية، والأفكار الدنيوية، ويكفه عن ما سوى الله بالكلية، ويحصل الفطر في هذا

(١) سورة المائدة.

الصــوم بــالفكر في غــير صــفات الله وآياتــه ومصنوعاته، واليوم الآخر ومقاماته، وبالفكر في أمر الـدنيا وشـهواته ولهواتـه، إلا دنيـا تـراد للـدين وضرورياته، فإن ذلك زاد الآخرة ومقدماته، فينبغي أن يكون بحال يصدق أن يقـال في حقـه: ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ٩١﴾[1]، (وحقـه) أي: الصــوم على الصـائم "أن يخـاف الـرد ويرجـو القبـول"، فيكون قلبه بعد الإفطار متعلقاً مضطرباً بين الخوف والرجاء، إذ لـيس يـدري أيُقبـل صـومه فهـو مـن المقربين،أو يرد عليـه، فهـو مـن المقـوتين؟وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها.

---

(١) سورة الأنعام.

قال الإمام الغزالي في "أسرار الصّوم": اعلم أن الصوم ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص.

"أما صوم العموم[1]": فهو كَفُّ البطن والفرج عن قضاء الشهوة.

"وأما صوم الخصوص[2]": فهو كَفُّ السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام[3].

---

(١) وهم عامة الناس.

(٢) وهم خاصة الناس.

(٣) قال العلاّمة الزبيدي: فكف السمع عن الإصغاء إلى ما نهي عنه، وكف البصر عن النظر إلى ما نهي عنه، وكف اللسان عن الخوض فيما لا يعني، وكف اليد عن البطش فيما لا يحل، وكف الرجل عن نقلها إلى محظور، وكف الفرج عن المحرمات، فمن صام تطوعاً بهذه الجوارح الست وأفطر بجار حتى الأكل والشرب والجماع؛ فهو عند الله من الصائمين في الفضل، لأنه من الموقنين الحافظين للحدود، ومن أفطر بهذه الست أو بعضها وصام بجار حتى البطن والفرج فما ضيع أكثر مما حفظ فهذا مفطر عند العلماء صائم عند نفسه. ((إتحاف السادة المتقين)): (٤/٢٤٤).

"وأما صوم خصوص الخصوص[1]"، فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله ﷻ بالكلية[2]، ويحصل الفطر [المجازي] في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله ﷻ واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا إلا دنيا تُرادُ للدين، فإن ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقرّبين ولا يطوّل النظر في تفصيلها قولاً ولكن في تحقيقها عملاً، فإنه إقبال بكنه الهمة على الله ﷻ وانصراف عن غير الله سبحانه وتلبس بمعنى قوله ﷻ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٩١﴾[3].

---

(١) وهم خاصة الخاصة.

(٢) وذلك يحصل بمراعاة القلب وحفظه الأنفاس بأن يكف الهمم عليه؛ فيقطع الخواطر والأفكار، ويترك التمني الذي لا يجدي.

(٣) سورة الأنعام.

"وأما صوم الخصوص": وهو صوم الصالحين؛ فهو كف الجوارح عن الآثام، وتمامه بستة أمور:-

الأول: غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل ما يُذم ويُكره[1] وإلى كل ما يُشغل القلب ويلهي عن ذكر الله ﷻ قال ﷺ: ﴿النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إبْلِيسَ لَعَنَـهُ الله، فمَنْ تَرَكَهَا خوفاً من اللهِ آتاه الله ﷻ إيمَانًا يَجِدُ حَلاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ﴾[2].

الثاني: حفظ اللسان عن الهذيان[3] والكذب والغيبة والنميمة[4] والفحش والجفاء والخصومة

(١) شرعاً وعرفاً.

(٢) قال العلاّمة الزبيدي: رواه الحاكم وصحح إسناده من حديث حذيفة ﷺ، وأورده ابن الجوزي في كتابه: ((تنبيه النائم الغمر على مواسم العمر))، بلفظ: ((النظر إلى المرأة سهم مسموم من سهام أبليس فمن تركه ابتغاء مرضاة الله أعطاه الله إيماناً في قلبه يجد حلاوته)). ((إتحاف السادة المتقين)): (٤/٢٤٥).

(٣) وهو الكلام الذي لا فائدة منه.

(٤) الكذب: وهو ما لا أصل له، والغيبة: أن يذكر أخاه بما يكره، والنميمة: الكلام على وجه الإفساد بين اثنين.

والمـراء[1]، وإلزامـه السـكوت وشـغله بـذكر الله سبحانه[2] وتلاوة القرآن[3] فهذا صوم اللسان. وقد قال "سفيان": الغيبة تفسد الصوم. رواه بشر بـن الحرث عنه[4]. وروى ليـث عـن مجاهـد: خصـلتان يفسدان الصيام الغيبة والكذب. وقال ﷺ: ﴿الصِّيَامُ جُنَّةٌ، إذا كان أحدكم صَائِمًا فلا يَرْفُثْ ولا يَجْهَلْ، فَإِنْ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أو شَاتَمَهُ، فَلْيَقُلْ إني صَائِمٌ إني صَائِمٌ﴾. متفق عليه[5].

---

(١) أي المجادلة.

(٢) قلباً ولسانا.

(٣) غيباً ونظراً ومدارسة، وإذا كان بالنظر في المصحف فهو أفضل؛ لأنه عبادة أخرى لاستعماله في القراءة لسانه وعينه. فتأمل.

(٤) ولفظ القوت: وروى بشر بن الحرث عن سفيان: (من اغتاب فسد صومه)، وهكذا رواه "صاحب العوارف" أيضاً، وقيل: أن مذهب سفيان افساد الصوم بالغيبة حقيقة هكذا حكاه المنذري عنه، وعن عائشة وذهب الأوزاعي إلى هذا فأوجب عليه القضاء وسائر العلماء على خلافه.

(٥) ((صحيح البخاري)): كتاب الصوم ـ باب فضل الصوم، رقم: ١٨٩٤، ((صحيح مسلم)): كتاب الصيام ـ باب فضل الصيام، رقم: ٢٧٠٠.

الثالث: كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه لأن كل ما حرم قوله حرم الإصغاء إليه[1] ولذلك سوّى الله ﷻ بين المستمع وأكل السحت فقال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِ ۝٤٢﴾[2] وقال ﷻ: ﴿لَوۡلَا يَنۡهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ عَن قَوۡلِهِمُ ٱلۡإِثۡمَ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَصۡنَعُونَ ۝٦٣﴾[3] فالسكوت على الغيبة حرام[4]؛ وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡ ۝١٤٠﴾[5].

---

(١) لأن إصغاءه حينئذ يكون دليلاً على رضاه بالمحرم.

(٢) سورة المائدة.

(٣) سورة المائدة.

(٤) والساكت يشارك المغتاب في الحرمة.

(٥) سورة النساء. قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ إِذٗا﴾ أي: إن قعدتم معهم، ولا تتركوهم في ذلك الحين. "من الكفر والاستهزاء " والعياذ بالله. ﴿مِّثۡلُهُمۡ﴾ لأنكم رضيتم بكفرهم واستهزائهم، والراضي بالمعصية كالفاعل لها، والحاصل أن مَنْ حضر مجلساً يعصي الله به، فإن يتعين عليه الإنكار عليهم، مع القدرة، والقيام مع عدمها. ويؤخذ من الآية النَّهيُ عن مجالسة أهل الباطل عامّةً عند خوضهم في باطلهم.

الرابع: كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل عن المكاره[1]، وكف البطن عن الشبهات وقت الإفطار[2]. فلا معنى للصوم فهو الكف عن الطعام الحلال ثم الإفطار على الحرام، فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصراً ويهدم مصراً[3] فإن الطعام الحلال إنما يضر بكثرته لا بنوعه، فالصوم لتقليله. وتارك الاستكثار من الدواء خوفاً من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيهاً. والحرام سم مهلك للدين. والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره. وقصد الصوم تقليله. وقد قال ﷺ: «كَمْ مِنْ صَائِمٍ

---

(١) فاليد كفها عن البطش إلى محرم من مكسب أو فاحشة، والرجل حبسها عن السعي فيما لم يؤمر به ولم يندب إليه من غير أعمال البر.

(٢) فليس من الأدب أن يمسك من مباح الطعام، ويفطر بحرام الآثام.

(٣) وصوم مثل هذا مردود عليه،ومثاله أيضاً مثال من مسح كل عضو من أعضائه ثلاث مرات، فقد وافق الفضل في العدد الا انه ترك الفرض من الغسل فصلاته مردودة عليه لجهله.

لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلا الْجُوعُ﴾[1]. فقيل هو الذي يفطر على الحرام، وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام، وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام.

الخامس: أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الإفطار بحيث يمتلئ جوفه[2] فما من وعاء أبغض إلى الله ﷻ من بطن مُلئ من حلال[3]. وكيف يستفاد من الصوم قهر عدوّ الله وكسر الشهوة إذا تدارك

(١) رواه الإمام أحمد في "مسنده"، رقم: ٩٦٤٨، وتمامه: "وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر"، قال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن، وقال الهيثمي (٥٧/٣): رجاله رجال الصحيح وقد سبق وهو في الصحيح. ينظر: ((المسند)) (٢٨٢/٩).

(٢) ولفظ "القوت": ومن فضائل الصوم: أن يجتنب من حظوظ هذه الجوارح الشبهات من الأشياء وفضول الحلال، ويرفض الشهوات الداعية إلى العادات، ولا يفطر إلا على حلال متقللا منه؛ فبذلك يزكو الصيام.

(٣) روى الترمذي في كتاب الزهد. باب ما جاء في كراهية كَثرةِ الأكل، رقم: ٢٣٨٠ عن مِقْدَامِ بن مَعْدِ يكْرِبَ قال سمعت رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يقول "ما مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا من بَطْنٍ بِحَسْبِ بن آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كان لا مَحَالَةَ، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ" وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الصائم عند فطره ما فاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في ألوان الطعام؟ حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه ما لا يؤكل في عدة أشهر[1]. ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى[2]. وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات[3] وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات[4] ما عساها كانت راكدة[5] لو تركت على عادتها. فروح

---

(١) كما هو معلوم مشاهد لاسيما بعد عصر المصنف بكثير فقد تجاوزوا في ذلك عن الحدود ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

(٢) وتصفو الأخلاق، ويتنوّر الباطن.

(٣) المتنوّعة من الطعام الفاخر النفيس، والشراب المشهي البارد.

(٤) الخفية.

(٥) أي ساكنة مستقرة، وفي بعض النسخ راقدة.

الصوم وسره تضعيف القوى[1] التي هـي وسـائل الشيطان في العود إلى الشرور[2]، ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل[3] وهو أن يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار[4] حتى يحس بـالجوع والعطـش ويستشـعر ضعف القوى[5] فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدراً من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده، فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء. وليلة القدر عبارة عن الليلـة التي ينكشف فيها شيء من الملكـوت [أي في عـالم

(١) الشهوانية أي اماتتها وابطالها وكسر قوّتها.

(٢) الحاصلة من تلك الشهوات.

(٣) من المطعوم والمشروب.

(٤) تعللاً بظاهر الحديث الذي تقدم ذكره: "نوم الصائم عبادة وصمته تسبيح".

(٥) ولا يكون النوم عبادة إلا إذا دفع إليه ضرورة، أو قصد به التقوّي على قيام الليل، وأما إذا نوى به تقصير المسافة كما هو عليه عامة الناس بل وخاصتهم اليوم، فلا إلا أن يكون ممن يخالطه الناس كثيراً، فيخاف على نفسه صدور شيء من الجوارح من المخالفات، فيختار النوم؛ فيكون حينئذ عبادة. فتنبه.

الغيب] وهو المـراد بقولـه تعـالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١﴾[1] ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه[2] محجوب. ومن أخلى معدتـه فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب[3] ما لم يخل همته عن غير الله ﷻ وذلك[4] هو الأمر كله. ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام.

السادس: أن يكون قلبـه بعـد الإفطـار معلقـاً مضطرباً بين الخوف[5] والرجـاء[6] إذ لـيس يـدري أيقْبلُ صومه فهو من المقربين أو يرد عليـه[7] فهـو

---

(١) سورة القدر.

(٢) أي: عالم الملكوت.

(٣) الظلماني.

(٤) أي اخلاء الهمة عما سواه.

(٥) من عدم قبوله.

(٦) في قبوله.

(٧) لما عسى أن داخله بعض ما نهي عنه.

من الممقوتين[1]؟ وليكن كذلك في آخر كل عبـادة يفرغ منها[2].

"روي عـــن الحســـن[3] بـــن أبـــي الحســـن البصري"، أنه مرَّ بقومٍ يوم العيد، وهم يضحكون، فقال: إنَّ الله جعل شهر رمضان مضـماراً[4] لخلقـه يستبقون فيه لطاعته فسبق أقوام ففـازوا، وتخلـف أقوام فخابوا، فالعجـب كـل العجـب للضـاحك اللاعــب في اليــوم الــذي فــاز فيــه الســابقون المسارعون، وخاب فيه المبطلون المدعون؛ أما والله لو كشف الغطاء[5] لاشتغل المحسن بطاعته وإحســانه، والمسيء بإساءته وعصيانه ـ أي: لكان سرور المقبول

(١) المبغوضين.

(٢) أي: ليس هذا خاصاً في الصوم بل ليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها.

(٣) بن يسار البصري ـ رحمه الله تعالى.

(٤) وهو الميدان الذي تمتحن فيه السباق من الخيل من اللاحقين، أي جعله كالمضمار لهم.

(٥) عن الحقائق.

بشغله عن اللعب[1]، وحسرة المـردود تسـد عليـه باب الضحك[2].

"وعن الأحنف بن قيس"، أنه قيل لـه: إنـك شيخ كبير وإن الصيام يضعفك فقـال: إنـي أعـده لسير طويل، والصبر على طاعة الله سـبحانه، وفي بابه أهون من الصـبر علـى عـذاب الله وحجابـه، فعلماء الظاهر يعنون بالصحة الجـواز والحصـول، وعلماء الآخرة يعنون بها القبول؛ وبالقبول الوصول إلى المقصود والمأمول؛ ومن هنا قال "أبو الدرداء": يا حبذا نوم الأكياس[3] وفطرهم كيف يعيبون صوم الحمقى وسهرهم! ولذرة مـن عبـادة ذوي التقـوى

(١) إذ المقبول لو علم انه مقبول فسروره لذلك يمعنه عن الضحك واللعب.

(٢) أي لو علم انه قدر عمله هذا فيتحسر على ذلك، فلا يليق الانبساط.

(٣) أي العقلاء.

واليقين أرجح من أمثال الجبال من عبادة المغترين[1].

ولذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم. وقد قال ﷺ: ﴿إنَّ الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته﴾ [2]، ولما تلا قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ۝٥٨﴾ [3] وضع يده على سمعه وبصره فقال: ﴿السمع أمانة، والبصر أمانة﴾[4]، ولولا أنه من أمانات الصوم لما قال ﷺ: ﴿فَلْيَقُلْ إني صَائِمٌ﴾[5]، أي أني أودعت لساني[6] لأحفظه، فكيف أطلقه بجوابك، فإذاً قد ظهر أن

---

(١) هكذا أورده صاحب "القوت" وصاحب "العوارف" الا أن صاحب "العوارف" قال كيف يغبنون قيام الحمقى وصيامهم وقال من أمثال الجبال من أعمال المغترين، والباقي سواء، وفي نص القوت: كيف يبغون قيام الحمقى وصومهم وفي بعض نسخ الكتاب كيف يعيبون.

(٢) أخرجه الخرائطي في ((مكارم الأخلاق)) من حديث ابن مسعود في حديث الأمانة والصوم وإسناده حسن. ينظر: ((تخريج أحاديث الإحياء)): (٢/٢٣٩).

(٣) سورة النساء.

(٤) رواه أبو داود من حديث أبي هريرة دون قوله: "السمع أمانة" قاله العراقي.

(٥) سبق تخريجه في (ص٢٨٨).

(٦) أي جعل عندي وديعة وأمانة.

لكل عبادة ظاهراً وباطناً وقشراً ولباً ولقشورها درجات، ولكل درجة طبقات؛ فإليك الخيرة الآن في أن تقنع بالقشر عن اللباب أو تتحيز[1] إلى غمار[2] أرباب الألباب.اهـ[3].

وقد اختَصَّ اللهُ الصائمين بخصائص منها؛ بابٌ في الجنة يدخلون منه يوم القيامة وحدهم، يسمى "الريّان" - إظهاراً لشرفهم وفضلهم ينادي منادٍ على رؤوس الأشهاد: أين الصائمون، فيراهم القاصي والدّاني وتَمتْد إليهم الأبصار وتَشْرَئِبّ الأعناق، ويتمنى مُتَمَنٍّ أن لو كان معهم وفي ركبهم المَيْمون، ويَتحسّر مُتَحسّرٌ على ما فاته في الدنيا من فُرصة العمل والجِدّ وما ضاع عليه من أوقات ثمينة

---

(١) أي تفيء.

(٢) أي جماعة.

(٣) ينظر: ((إحياء علوم الدين)): (١/٢٣٧،٢٣٥)؛ و((إتحاف السادة المتقين)): (٤/ ٢٥٣،٢٤٤)؛ و((المستخلص في تزكية الأنفس)): لسعيد حوى، (ص٦٩، ٧١).

وساعات عديلة يُصوِّر ﷺ هذا المَشْهد فيقول: ﴿إِنَّ فِي الْجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ له الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ منه الصَّائِمُونَ يوم الْقِيَامَةِ، لا يَدْخُلُ منه أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟، فَيَقُومُونَ لا يَدْخُلُ منه أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فإذا دَخَلُوا أُغْلِقَ، فلم يَدْخُلْ منه أَحَدٌ﴾. أخرجه الشيخان وأحمد[1].

ومنها: أن جعل الله تعالى صَومهم لهم حِصْناً حَصيناً من النار، وسِتْراً يَقِي صاحبه مما يُؤذيه من الشهوات، كما قال أكمل الرسل ﷺ: ﴿الصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَحِصْنٌ حَصِينٌ مِنَ النَّارِ﴾. رواه الإمام أحمد[2].

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الصوم . باب الريان للصائمين، رقم: ١٨٩٦، ((صحيح مسلم)): كتاب الصيام . باب فضل الصيام، رقم: ٢٧٠٣، ((مسند أحمد))، رقم: ٢٢٨٦٩، ٢٢٨٧٠.

(٢) قال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن، رواه الطبراني بلفظ قريب (١٥٨/٨)، رقم ٧٦٠٨، وذكره الهيثمي (١٨٠/٣) وعزاه لأحمد بلفظه وحسنه؛ ونحوه النسائي: (١٠٦٣/٤)، رقم:٢٢١٦، وابن ماجه: (٥٢٥/٢)، رقم: ١٦٣٩. ينظر ((المسند)): (١٤٣/٩).

ثُمّ يبين لنا ـ صلوات الله عليـه، حقيقـة هـذا الصَوم الذي يحفظُ صاحبه من النار، فيقول أكمـل الرسل ﷺ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ، كَجُنَّةِ أَحَدِكُمْ مِنَ الْقِتَالِ». رواه النسائي وابن ماجه وأحمد[1].

ـ وكأنه يقول: إنَّ المراد بالصيام هنا، صيامُ من سَلِمَ صيامه من المعاصي قولاً وفعْلاً، ولذلك حَثَّ الصائم أن يلتزم مَسْـلَك الفضـيلة، ويبتعـد عـن دعاوي الرذيلة، حتى يتحقق بالصيام الذي هو جُنَّةٌ، فيقول ﷺ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ، فَمَنْ أَصْبَحَ صَائِماً

(١) ((سنن النسائي المجتبى)): (٤/١٦٧)، رقم: ٢٢٣١، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الصيام ـ باب ما جاء في فضل الصيام، رقم: ١٦٣٩، ((مسند أحمد)): رقم: ١٦٢٢٦، ٩١٩٧. قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، رجاله أئمة، وسعيد بن أبي هند الفزاري ثقة من ثقات التابعين، وكذا مطرف، وهو ابن عبد الله الشخير. ينظر: ((المسند)): (١٢/٥١٠).

فَلا يَجْهَلْ يَوْمئذٍ، وَإِنِ امْرُؤٌ جَهِلَ عَليه فَلا يَشْتُمْهُ ولا يَسُبَّهُ وَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ﴾. رواه النسائي[1].

واختص الله الصائم أيضاً: بأن جعل تَغير فَمه أطيبَ من ريح المسك، فقال ﷺ: ﴿ولَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ من رِيحِ الْمِسْكِ﴾. متفق عليه[2]. والخلوفُ": تَغير الفم من الصّوم.

ومنها أيضاً: أن جعل له في صيامه فرحتين، فإذا أفطر فَرح، وإذا لقي الله فرح؛ فَفرحُه بفِطْره تَعبيرٌ صَادقٌ عن شُكره التام لربه الذي وفّقَه لإتمام صوم ذلك اليوم، وَمكنهُ بواسطة تَمام صحته وقوته، فأدى

(١) ((سنن النسائي)): كتاب الصيام . ذكر الاختلاف على محمد بن أبي يعقوب في حديث أبي أمامة في فضل الصائم، رقم: ٢٢٣٤، قال المناوي في ((التيسير بشرح الجامع الصغير))، (١٠/٢): رواه النسائي عن عائشة بإسناد صحيح.

(٢) ((صحيح البخاري)): كتاب الصوم . باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم، رقم: ١٩٠٤، ((صحيح مسلم)): كتاب الصيام . باب فضل الصيام، رقم: ٢٦٩٨.

عبادة يومه كاملةً غير نَاقصة، فهو في فَرحه هـذا في عبادةٍ ـ لأنَّ الشكر؛ "عبادةٌ وذكرٌ".

وفرَحَهُ بِلقاء الله: اطمئنـانٌ بوَعْـدِ الله، ويقـين جَازمٌ بقبول العمل بمشاهدة عظيم الثـواب عليـه؛ كما قال أكمل الرسل ﷺ: «إنَّ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَيْنِ: إذَا أَفْطَرَ فرِحَ، وَإذَا لَقِيَ اللهَ فَرِحَ». رواه مسلم[1].

كمـا قـال الله تعـالى في المجاهـدين والشـهداء: ﴿ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ١٧٠ ﴾[2].

واختص الله الصائم: بأن جعل لـه في صـومه الصحة والشفاء مـن كـثير مـن الأمـراض؛ ففـي

(١) ((صحيح مسلم)): كتاب الصيام ـ باب فضل الصيام، رقم: ٢٧٠٢.

(٢) سورة آل عمران.

الحديث: ﴿صُومُوا تَصِحُّوا﴾. رواه ابـن السُّـنِّي وأبـو نُعَيم[1].

وأخرج البيهقي عن عليٍّ ﷺ وكَرّم الله وجهه قـال ﷺ: ﴿إِنَّ اللهَ أَوْحَى إلى نَبِيٍّ مِنْ بَنِي إِسرَائِيْلَ: أَنْ أَخْبِرْ قَوْمَكَ أَنَّهُ لَيْسَ عَبْدٌ يَصُومُ يَوْماً ابْتِغَاءَ وَجْهي، إلاَّ أصْحَحْتُ لَهُ جِسْمَهُ وَأَعْظَمْتُ لَهُ أَجْرَهُ﴾[2].

---

(١) ينظر: ((كنز العمال)): (٢١٠/٨)، قال المنذري في ((الترغيب والترهيب))، (٨٣/٢): رواه الطبراني في "الأوسط" وروَاته ثقات. وقال الحرالي: فيه إشعار بأن الصائم يناله من الخير في جسمه وصحته ورزقه حظ وافر مع عظم الأجر في الآخرة؛ ففيه صحة للبدن والعقل بالتهيئة للتدبر والفهم وانكسار النفس إلى رتبة المؤمنين، والترقي إلى رتبة المحسنين، وللمؤمن غذاء في صومه من بركة ربه بحكم يقينه فيما لا يصل إليه من لم يصل إلى محله، فعلى قدر ما يستمد بواطن الناس من ظواهرهم يستمد ظاهر المؤمن من باطنه، حتى يقوى في أعضائه بمدد نور باطنه كما ظهر ذلك في أهل الولاية والديانة، وفي الصوم غذاء للقلب كما يغذي الطعام الجسم، ولذلك أجمع مجربة أعمال الديانة من الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه على أن مفتاح الهدى والصحة "الجوع"، لأن الأعضاء إذا وهنت لله نور الله القلب وصفى النفس وقوى الجسم ليظهر من أمر الإيمان بقلب العادة جديد عادة هي لأوليائه أجل في القوى من عادته في الدنيا لعامة خلقه. ((فيض القدير)): (٢٧٩/٤).

(٢) ينظر: ((كنز العمال))، (٢٠٩/٨)، و ((الدر المنثور)): (٤٣٧/١).

وَسِرُّ ذَلك: أنَّ للصوم تأثيراً عَجِيباً في حِفْظ الأعضاء الظاهرة، وقوى الجوارح الباطنة، وحِمايَتها من التخْليط الجالِب للمواد الفاسدة، واستِفْراغ المواد الرّدِيئة، وذلك من أكبر العَوْن على التقوى كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [1].

واختص الله الصائم: بإبعاد وجهه عن النار، فلا تَرى عينهُ أيّ مَشْهدٍ من مشاهد النار. يقول ﷺ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا في سَبِيلِ اللَّهِ، بَعَّدَ الله وَجْهَهُ عن النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا[2]» أخرجه أحمد والشيخان والنسائي ـ عن أبي سعيد الخدري، وعند ابن ماجه عن أبي

(١) سورة البقرة.

(٢) الخريف: الزمان المعروف من فصول السنة ما بين الصيف والشتاء، ويراد به السنة؛ لأن الخريف لا يكون في السنة إلا مرة واحدة؛ فإذا انقضى الخريف انقضى السنة، والمراد مسيرة سبعين سنة. وأفاد الحديث: فضل الصوم ولو كان يوماً واحداً، وأنه يكون وقاية لصاحبه من النار. فتأمل.

هريرة[1]، وفي رواية النسائي عن عُقبة بن عامر: ﴿بَاعَدَ اللَّهُ مِنْهُ جَهَنَّمَ مسِيرَةَ مِائَةِ عَامٍ﴾[2].

ومما اختص الله سبحانه وتعالى به الصائم: ما وَرَد في القرآن من فَضائِلهم التي قال كثير من العُلماء في كثير منها: إنَّ المراد بها الصائمون، ومنها؛ قوله تعالى: ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ ﴿١١٢﴾﴾[3]، فُسِّر بالصائمين لأنهم سَاحوا إلى الله ﷻ، أي وصلوا

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الجهاد والسير . باب فضل الصوم في سبيل الله، رقم:٢٨٤١، ((صحيح مسلم)): كتاب الصيام . باب فضل الصيام في سبيل الله لمن يطيقه، بلا ضرر ولا تفويت حق، رقم: ٢٧٠٤، ٢٧٠٦، ((مسند أحمد))،رقم: ١١٣٤٤، ١١٤٩٨، ((سنن النسائي)): كتاب الصيام . باب ثواب من صام يوماً في سبيل الله . عزَّ وجل، وذكر الاختلاف على سهيل بن أبي صالح في الخبر في ذلك: (١٧٢/٤، ١٧٣)، رقم: ٢٢٤٦، ((سنن ابن ماجه)): كتاب الصيام . باب صيام يوم في سبيل الله، رقم:– ١٧١٨، بلفظ: "من صام يوماً في سبيل الله زحزح الله وجهه عن النار سبعين خريفاً".

(٢) ((سنن النسائي)): كتاب الصيام . باب ذكر الاختلاف على سفيان الثوري فيه: (١٧٤/٤)، رقم: ٢٢٥٤. والتوفيق بين قوله: "سبعين خريفا"، وقوله: "مائة عام" بحمل أحد العددين أو كليهما على التكثير، أو أنه تعالى زاد للصوم الأجر فأتم مائة بعدما كان سبعين. والله أعلم.

(٣) سورة التوبة.

إليه سبحانه بسبب خروجهم عن مَألوفاتهم ومُقاساتِهم عَناء الجوع والعَطش.

ومنها: قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ ۝١٠﴾[1] قيل: الصابرون هم الصائمون، لأنَّ الصبر اسمٌ من أسماء الصوم، فحينئذ يُفرَغ للصائم من خَزائن الفَضْلِ والجُود والكرم ما لا يُحصيه الحساب ولا يُقدِّره إلاَّ ربّ الأرباب. فتأمل.

ومنها: قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ۝١٧﴾[2]. قيل: عملهم الذي جوزوا عليه بما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خَطَرَ على قلب بشر، "هو الصوم".

(١) سورة الزمر.

(٢) سورة السجدة.

واختص الله تعالى الصائم بأن جعل حالَه كُله عبادةً وطاعةً، فهو إن صَمت عن فُضول الكلام في طاعةٍ، وإن نام ليتقوّى على القيام في طاعـةٍ أيضـاً.

رُويَ عنــه ﷺ: ﴿صَمْتُ الصَّائِم تَسْبِيحٌ، وَنوْمُهُ عِبَادَةٌ، ودُعاؤُهُ مُسْتَجَابٌ، وَعَمَلُهُ مُضَاعَفٌ﴾.رواه الدَّيْلَمي[1].

ففي فُطوره له فَرْحةُ الشكر وهي عبادة، وله في ذلك الوقت دعوة مُسْتجابة؛ كما ثَبَت في الحديث:

(١) ينظر:((كنز العمال)): (٢١٣/٨)،ورسالتنا المسماة ((من أحوال رمضان وليلته المباركة)).

﴿إِنَّ لِلصَّائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً ما تُرَدُّ[1]﴾ أخرجه ابـن ماجه والحاكم وأبو داود والبَيْهقي[2].

ولا يخلـو أن يـدخل في ذلـك الوقـت ضـمن الذين أسعدهم الله فكتبهم من العتقاء من النار في تلك الساعة كما ثبت في الحديث: ﴿إِنَّ لِلَّهِ عِنْدَ كل فِطْرٍ عُتَقَاءَ وَذَلِكَ في كل لَيْلَةٍ﴾. رواه ابن ماجه وأحمد

---

(١) قال السيوطي: قال الحكيم الترمذي في ((نوادر الأصول)): أمة النبي ـ صلى الله عليه وسلم، قد خصت من بين الأمم في شأن الدعاء،فقال تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ ٦٠﴾. [سورة غافر]، وإنما كان ذاك للأنبياء، فأعطيت هذه الأمة ما أعطيت الأنبياء فلما دخل التخليط في أمورهم من أجل الشهوات التي استولت على قلوبهم حجبت قلوبهم، والصوم يمنع النفس عن الشهوات فإذا ترك شهوته من قلبه صفا القلب وصارت دعوته بقلب فارغ قد زايلته ظلمة الشهوات وتولته الأنوار، فإن كان ما سأل في المقدر له عجل، وإن لم يكن كان مدخراً له في الآخرة. ينظر: ((شروح سنن ابن ماجه)): (١/٦٩٠).

(٢) ((سنن ابن ماجه)): كتاب الصيام ـ باب في الصائم لا ترد دعوته، رقم: ١٧٥٣، قال البوصيري: هذا إسناد صحيح رجاله ثقات. رواه الحاكم في "المستدرك" عن عبد العزيز بن عبد الرحمن الدباس، عن محمد بن علي بن زيد، عن الحكم بن موسى، عن الوليد، حدثنا إسحاق فذكره، ورواه البيهقي من طريق إسحاق بن عبيد الله. ينظر: ((شروح سنن ابن ماجه)): (١/٦٩٠).

والطَبَراني[1]. وسحوره بركة، كما ثَبَت ذلك في الحديث الشريف[2] وصومه بعد ذلك ثوابه الجنة.

واختصّ الله الصائم: بأن جعل لمن فَطَّره من الثواب الجزيل ما لا ينقص من ثواب الصائم نفسه. وفي سبيل إكرام من أَكْرم الصائم جعل هذا الثواب ولو كان على لُقْمَة خُبز، أو شَرْبة ماء؛ كما قال أكمل الرسل ﷺ: «مَنْ فَطَّرَ صَائِماً فِي شَهْرِ رَمَضَانَ مِنْ كَسْبٍ حَلاَلٍ صَلَّتْ عَلَيْهِ المَلاَئِكَةُ لَيَالِيَ

(١) ((سنن ابن ماجه)): كتاب الصيام . باب ما جاء في فضل شهر رمضان، رقم: ١٦٤٣ واللفظ له، وعند الطبراني في ((المعجم الكبير)): (٣٤٠/٨)، رقم: ١٦٤٣، بزيادة: "عتقاء من النار" دون قوله: "وذلك في كل ليلة"، ولفظه عند أحمد: "إن لله عزَّ وجل عند كل فطر عتقاء" قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، رواه الطبراني في "الكبير" (٣٤٠/٨)، وقال الهيثمي (١٤٣/٣)، رواه أحمد والطبراني ورجاله موثقون، وكذا في "الترغيب" (١٠٣/٢، ١٠٤). انظر: ((المسند)): (٢٣٤/١٦)، رقم:٢٢١٠٢.

(٢) عن أَنَسٍ . رضي الله عنه، قال: قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "تَسَحَّرُوا، فإن في السُّحُورِ بَرَكَةً" ينظر: ((صحيح البخاري)) كتاب الصوم . بَاب بَرَكَةِ السَّحُورِ من غَيْرِ إِيجَابٍ لأَنَّ النبي صلى الله عليه وسلم وَأَصْحَابَهُ وَاصَلُوا ولم يُذْكَرْ السَّحُورُ، رقم: ١٩٢٣، ((صحيح مسلم)): كتاب الصيام . بَاب فَضْلِ السُّحُورِ وَتَأْكِيدِ اسْتِحْبَابِهِ، وَاسْتِحْبَابِ تَأْخِيرِهِ وَتَعْجِيلِ الْفِطْرِ، رقم: ٢٥٤٤.

رَمَضَانَ كُلَّهَا وَصَافَحَهُ جِبْرِيلُ لَيْلَةَ القَدْرِ، وَمَنْ صَافَحَهُ جِبْرَيلُ عليه السلام يَرِقُّ قَلْبُهُ وَتَكْثُرُ دُمُوعُهُ﴾ قال: فقلت: يا رسول الله، من لم يكن عنده؟ قال: ﴿فَقَبْضَةٌ مِنْ طَعَامٍ﴾ قلت: أفرأيت إن لم يكن عنده لقمة خبز؟ قال: ﴿فَمَذْقَةُ لَبَنٍ﴾ قلت: أفرأيت إن لم يكن عنده؟ قال: ﴿فَشَرْبَةٌ مِنْ مَاءٍ﴾[1].

وفي روايةٍ أخرى عن سلمان الفارسي رضي الله عنه:- ﴿من فطر فيه صائما كان له مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينتقص من أجره شيء﴾ قلنا: يا رسول الله، ليس كلنا نجد ما نفطر به الصائم، فقال رسول الله ﷺ: ﴿يعطي الله هذا الثواب من فطر صائماً على مذقة لبن أو تمرة أو شربة من ماء

(١) قال المنذري: وفي أسانيدهم علي بن زيد بن جدعان ورواه بن حزيمة والبيهقي أيضاً باختصار عنه من حديث أبي هريرة وفي إسناده كثير بن زيد كذا في "المرقاة" قلت: قال الحافظ في "التقريب": علي بن زيد بن جدعان، ضعيف وقال في "تهذيب التهذيب": قال الترمذي: صدوق إلا أنه ربما رفع الشيء الذي يوقفه غيره انتهى. فعلي بن زيد هذا ضعيف عند الأكثر صدوق عند الترمذي. ينظر: ((تحفة الأحوذي)): (٣/٦١٩).

ومن أشبع صائما سقاه الله من حوضي شربة لا يظمأ حتى يدخل الجنة﴾. رواه البيهقي[1].

واختص الله الصائم: بأنه إذا أَكل عنده جماعة مُفطِرون وهو يَشهد وينظر لا يمنعه من الأكل معهم إلاَّ حُرمة الصِّيام، فإنه تُصلي عليه الملائكة؛ أخرج الترمذي والنسائي وأحمد والدارمي أنه ﷺ قال: ﴿إِنَّ الصَّائِمَ تُصَلِّي عَلَيْهِ الْمَلائِكَةُ إِذَا أُكِلَ عِنْدَهُ حتى يَفْرُغُوا﴾. وَرُبَّمَا قال: ﴿حتى يَشْبَعُوا﴾[2].

وفضائل الصوم مُطْلَقاً كثيرة فمنها: أن الله تعالى أضاف ثوابه إليه دون سائر العبادات، فقال: ﴿الصيام لي وأنا اجزي به﴾[3].

---

(١) ينظر: المصدر السابق.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب الصوم. باب ما جاء في الصائم إذا أُكل عنده، رقم: ٧٨٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ((سنن النسائي الكبرى)): كتاب الصيام. باب الصائم إذا أكل عنده، رقم: (١/٣٢٦٧)، ((مسند أحمد))، رقم: ٢٦٩٤٠، ((سنن الدارمي)): كتاب الصوم. باب الصائم إذا أكل عنده، رقم: ١٧٣٨.

(٣) سبق تخريجه ص٢٥٣ .

فاختص الصوم عن بقية الأعمال بإضافته إلى الله تعالى إضافة تَشْريف إعلاناً بـأنَّ ثوابـه وَصَـل غايةً تَقْصُر العُقول عـن إدراكهـا. وأيضـاً لأنـه لم يَتَقَرّب إلى غير الله بالصوم لِذاته. وصوم أصحاب الهياكل والاستخدامات للنجوم ليس لذات الهياكل والنجوم لأنهم لا يَعْتَقـدون أنهـا فعالـة بنفسـها فصومهم في الحقيقة لربها وأيضا لأن الصوم إشارة إلى سِرّ صَمَديّتِه تعالى دون سائر العبادات، وأيضـاً لأنَّ الاستغناء عن الطعام وسـائر الشـهوات، مـن صفاته تعالى، والصوم فيه نَـوعٌ يوافقهـا، فلـذلك أضافه تعالى إليه، ومن ثَمَّ "قال القُرطبي": مَعْناهُ أنَّ أعمال العباد مناسـبةٌ لأحـوالهم، إلاّ الصـوم فإنـه مناسبٌ لصفةٍ من صفات الحق، فكأنه تعالى يقول: إنَّ الصائم يَتقربُ إليّ بأمر هو من صفاتي.

وأيضاً فإنَّ الصوم فيه تَرْكُ جميع حُظوظ النفس وشهواتها الأصلية التي جُبلت على الميل إليها لله تعالى، ولا يُوجَد ذلك في عبادةٍ أُخْرى، ألا تَرَى أنَّ الإِحرام بالحج أو العمرة وإن حَرُم معه كثيرٌ من المبَاحات كالطيب والنساء والصيد واللباس، إلاَّ أنه لا يَحرُم معه الأكل والشرب الذي به قوامُ الحياة. وهذا وإن كان حُرم في الصلاة، إلا أنه لوقت محدود لا يتجاوز خمس دقائق[1].

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَل ﷺ قال: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ في سَفَرٍ، فَأَصْبَحْتُ يَوْمًا قَرِيبًا منه، وَنَحْنُ نَسِيرُ، فَقُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ يُدْخِلُنِي الْجَنَّةَ، وَيُبَاعِدُنِي من النَّارِ، قال: ﴿لقد سَأَلْتَنِي عن عَظِيمٍ[2]،

---

(١) انظر إلى كتاب: ((قل هذه سبيلي))، وكتاب ((خصائص الأمة المحمدية)): للسيد محمد بن علوي بن عباس المالكي المكي الحسني. رحمه الله تعالى.

(٢) أي: عن عمل عظيم فعلُهُ على النفوس.

وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ[1] على من يَسَّرَهُ الله عليه، تَعْبُدُ اللَّهَ ولا تُشْرِك بِهِ شيئاً، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ»، ثُمَّ قال: «ألا أَدُلُّكَ على أَبْوَابِ الْخَيْرِ: الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ، كما يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ، وَصَلاةُ الرَّجُلِ من جَوْفِ اللَّيْلِ» قال: ثُمَّ تَلا ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴿١٦﴾ ﴾ حتى بَلَغَ: ﴿يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ [2]﴾. ثُمَّ قال: «ألا أُخْبِرُكَ بِرَأْسِ الأَمْرِ كُلِّهِ وَعَمُودِهِ[3]، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ؟[4]»، قلت: بَلَى يا رَسُولَ اللَّهِ، قال: «رَأْسُ الأَمْرِ: الإِسْلامُ[5]، وَعَمُودُهُ: الصَّلاةُ، وَذِرْوَةُ سَنَامِهِ: الْجِهَادُ»، ثُمَّ قال: «ألا أُخْبِرُكَ

---

(١) أي: هين وسهل.

(٢) بقية الآية: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ سورة السجدة.

(٣) أي: بأصل كل أمر ، (وعموده)؛ بفتح أوله أي: ما يقوم ويعتمد عليه.

(٤) بكسر الذال، وهو الأشهر، وبضمها، وحكي فتحها: أعلى الشيء، والسنام بالفتح: ما ارتفع من ظهر الجمل قريب عنقه.

(٥) يعني: الشهادتين، وهو من باب التشبيه المقلوب؛ إذ المقصود تشبيه الإسلام برأس الأمر؛ ليشعر بأنه من سائر الأعمال بمنزلة الرأس من الجسد في احتياجه إليه، وعدم بقائه دونه.

بِمَلاكِ ذلك كُلِّهِ؟﴾، قلت: بَلَى يا نَبِيَّ اللَّهِ قال: فَأَخَذَ بِلِسَانِهِ[1]، قال: ﴿كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا﴾، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، وَإِنَّا لَمُؤَاخَذُونَ بِمَا نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقال: ﴿ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ[2] يا مُعَاذُ، وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إلا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ[3]﴾. رواه الترمذي[4].

ومن أراد المزيد، فليطلع على رسالتنا السابعة المسماة: "من أحوال رمضان، وليلته المباركة".

---

(١) أي: النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أخذ بلسان نفسه وقال له: "امسك عليك هذا".

(٢) فليس المراد به الدعاء عليه، وإنما المراد التعجب والتنبيه إلى معرفة ما يلزم في الدين.

(٣) أي: محصوداتها، شَبَّهَ ما يتكلم به الإنسان، بالزرع المحصود بالمنجل، وهو من بلاغة النبوة، فكما أن المنجل يقطع ولا يميز بين الرطب واليابس، والجيد والردي، فكذلك لسان بعض الناس يتكلم بكل نوع من الكلام، حسناً وقبيحاً، والمعنى: لا يكب الناس في النار إلا حصائد ألسنتهم من: الكفر، والقذف، والشتم، والغيبة، والنميمة، والبهتان، ونحوها، والاستثناء مفرغ، وهذا الحكم وارد على الأغلب، أي: على الأكثر؛ لأنك إذا جربت لم تجد أحداً حفظ لسانه عن السوء، ولا يصدر عنه شيء يوجب دخول النار إلا نادراً. ينظر: ((تحفة الأحوذي)): (٧ /٤٠١، ٤٠٢).

(٤) ((سنن الترمذي)): كتاب الإيمان ـ باب ما جاء في حرمة الصلاة، رقم: ٢٦١٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح. وحصائد الألسنة ما ينطق به:أي لا يكب الناس في النار على وجوهم غالباً إلا الكلام، ففيه تحذير من إطلاق اللسان فإن جرمه عظيم.

يا رب

اللَّهم؛ يا حنّان ويا منّان ويا دَيّان ويا سلطان ويا مستعان يا الله. نسألُكَ اللّهمَّ الأمانَ الأمـان، مـن زوالِ الإيمانِ، والعفو عمـا مضـى منـا وكـان، مـن الـذنوبِ والزلـلِ والخطـأِ والتقصـير والعصـيان، ونسألك اللّهمَّ أن تجعلنا ووالدينا وجميع المسلمين بمنِّكَ وفضلك ولطفكَ من أهل الصـيام والقيـام، ومن أهل الإخلاص والإنفاق، ومـن عتقـاء شـهر رمضان، ومن عتقاء ليلة القدر ـ ليلة القرآن، وتقبل دعائنا، وتولَّ أحوالنـا، وصـلِّ علـى نبينـا وحبيبنـا وشفيعنا محمد المصطفى الأمين، وعلى أهل بيـت النبي، وأصحاب رسول الله، وتابعيهم بإحسـان إلى يوم الدين ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

اللهم إني ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيراً، ولا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلا أنت فَاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً من عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أنت الْغَفُورُ الرَّحِيمُ.

﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ ﴾[1].

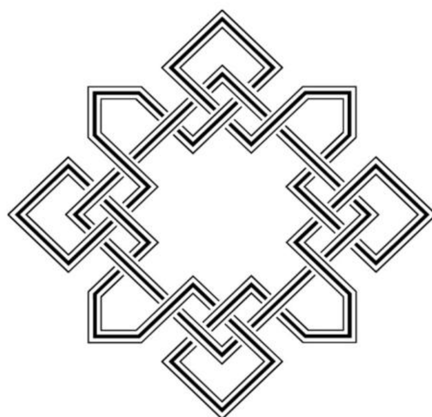
﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة.

(٢) سورة البقرة.

رُكْنُ الحَجِّ



"الركن الخامس": الحجُّ، ومعناه: القصدُ إلى الشيء المعظم، يقال: فلان حجَّ، أي: قصدَ أمراً عظيماً.

وشرعاً هو: انتقالٌ من مكانٍ إلى مكان، في زمانٍ معلومٍ، ووقتٍ محتومٍ، وأمرٍ مرسومٍ، بحالةٍ مخصوصةٍ، وأحكامٍ منصوصةٍ، لا يتعداها القائمُ في المكانِ والزمانِ اللازم.

أو هو: قصدٌ لبيت اللهِ تعالى بصفةٍ مخصوصةٍ في وقتٍ مخصوصٍ بشرائطَ مخصوصة.

والمقصود بالحجِّ في الحقيقة هو الله ـ تبارك وتعالى، لا الزمان، ولا المكان، إنما أمر الله ﷻ في أحكامه وشعائره وآياته.

"والحجُّ" هو: فرضٌ فرضه الله، وجعل نسكه قربةً وهُداة.

وحكمتُه: تقوى إلى سبيل رحمة الله وغفرانه:-

قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۝٣٧﴾[1]، أي: يناله التقوى والإخلاص - في أعمال حجِّكم.

واعلم يا أخي: أنَّ "الحجَّ" هو الركن الخامس، من أركان الإسلام، الذي فرضه الله على المسلمين؛ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٩٧﴾[2] أي: ولله على عباد الله فرضٌ لازم وهو: حجٌّ بيتِ الله الحرام؛ "بشرط الاستطاعة" وهي: الزاد والراحلة؛ لما روى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وكرم الله

(١) سورة الحج.

(٢) سورة آل عمران.

وجهه، عن النَّبيِّ ﷺ، قال: «من مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً تُبَلِّغُهُ إلى بَيْتِ اللَّهِ ولم يَحُجَّ فلا عليه أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا أو نَصْرَانِيًّا وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ يقول في كِتَابِهِ: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ ﴿٩٧﴾﴾[1]». رواه الترمذي[2].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: جاء رَجُلٌ إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ ما يُوجِبُ الْحَجَّ؟ قال: «الزَّادُ وَالرَّاحِلَةُ». رواه الترمذي وابن ماجه[3].

---

(١) سورة آل عمران.

(٢) ((سنن الترمذي)): كتاب الحج ـ باب ما جاء في التغليظ في ترك الحج، رقم: ٨١٢، وقال: هذا حَدِيثٌ غَرِيبٌ لا نَعْرِفُهُ إلا من هذا الْوَجْهِ وفي إِسْنَادِهِ مَقَالٌ، وَهِلالُ بن عبد اللَّهِ مَجْهُولٌ وَالْحَارِثُ يُضَعَّفُ في الحديث.

(٣) ((سنن الترمذي)): كتاب الحج ـ باب ما جاء في إيجاب الحج بالزاد والراحلة، رقم: ٨١٣، وقال: هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَالْعَمَلُ عليه عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ أَنَّ الرَّجُلَ إذا مَلَكَ زَادًا وَرَاحِلَةً، وَجَبَ عليه الْحَجُّ. وَإِبْرَاهِيمُ: هو بن يَزِيدَ الْخُوزِيُّ الْمَكِّيُّ، وقد تَكَلَّمَ فيه بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، من قِبَلِ حِفْظِهِ. ((سنن ابن ماجه)): كتاب المناسك ـ باب ما يوجب الحج، رقم: ٢٨٩٦، الحديث الثاني بسند حسن، والأول من عدة طرق تصل به إلى درجة الحسن.

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ، قال خَطَبَنَا رسول اللَّهِ ﷺ، فقـــال: ﴿أَيُّهَـا النـاس، قـد فَـرَضَ الله عَلَـيْكُمُ الْحَـجَّ، فَحُجُّوا﴾، فقال رَجُلٌ: أَكُـلَّ عَـامٍ؟ يـا رَسُـولَ اللَّـهِ! فَسَكَتَ. حتى قَالَهَا ثَلاثًا. فقال رسول اللَّهِ ﷺ: ﴿لو قلـت نعـم؛ لَوَجَبَـتْ[1]، وَلَمَـا اسْتَطَعْتُمْ﴾. رواه مســـلم والنسائي والترمذي[2].

وعن ابنِ عَبَّاسٍ ﷺ أَنَّ الأَقْرَعَ بن حَـابِسٍ ﷺ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ قال: يا رَسُولَ اللَّهِ، الْحَجُّ في كل سَنَةٍ

---

(١) أي فرضية الحج.

(٢) ((صحيح مسلم)): كتاب الحج . باب فرض الحج مرة في العمر، رقم: ٣٢٤٤، ((سنن النسائي)): كتاب مناسك الحج . باب وجوب الحج، رقم: ٢٦١٩، ((سنن الترمذي)): كتـاب الحـج . بـاب مـا جـاء كـم فـرض الحـج، رقـم: ٨١٤، وفـي ((مسـند أحمـد)): (١٨٧/٣)، رقـم: ٢٦٤٢، والحـاكم فـي "المسـتدرك" (٣٢١/٢)، والبيهقـي فـي "سـننه الكبرى" (٣٢٦/٤)، رقم: ٨٤٠٠، بلفظ: "لو قُلْتُهَا لَوَجَبَتْ، وَلَوْ وَجَبَتْ لم تَعْمَلُوا بها، ولم تَسْتَطِيعُوا أن تَعْمَلُوا بها، الْحَجُّ مَرَّةٌ، فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تطَوُّعٌ"، قال أحمد محمد شاكر: إسناده صحيح.

أو مَرَّةً وَاحِدَةً؟ قال: ﴿بَلْ مَرَّةً وَاحِدَةً[1] فَمَنْ زَادَ فَهُوَ تَطَوُّعٌ﴾. رواه أبو داود وابن ماجه والحاكم[2].

وعَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: ﴿مَنْ أَرَادَ الْحَجَّ فَلْيَتَعَجَّلْ[3]﴾. رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد، وزاد: ﴿فإنه قد يَمْرَضُ الْمَرِيضُ، وَتَضِلُّ الضَّالَّةُ، وَتَعْرِضُ الْحَاجَةُ﴾[4].

---

(١) استدل به الشافعية أن المرتد إذا حج في الإسلام ثم ارتد ـ والعياذ بالله ـ لا يعيده، خلافاً لمالك وأبي حنيفة إذ قالا: بطل حجه، وعليه الإعادة، كذا في ((المنهل)): (٢٥٧/١٠، ٢٥٨). ينظر: ((بذل المجهود)): (٨/٧).

(٢) ((سنن أبي داود)): كتاب المناسك ـ باب فرض الحج، رقم:١٧٢١، ((سنن ابن ماجه)): كتاب المناسك ـ باب فرض الحج، رقم ٢٨٨٦، ((المستدرك)): (٦٠٨/١)، رقم: ١٦٠٩، وَقَالَ: حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ.

(٣) الأمر للوجوب أو للندب، فعلى الأول يكون الحج واجباً على التراخي وعليه الشافعي والأوزاعي وأبو يوسف ومحمد وبعض أهل البيت، لأن النبي ﷺ حج سنة عشرة مع أنه فرض في الخمسة أو السادسة؛ انظر ((التاج الجامع للأصول، في أحاديث الرسول)): (١٠٩/٢).

(٤) ((سنن أبي داود)): كتاب المناسك، رقم: ١٧٣٢، ((سنن ابن ماجه)): كتاب المناسك ـ باب الخروج إلى الحج، رقم: ٢٨٨٣، بسند حسن ينظر: ((شروح ابن ماجه)):- (١٠٩٣/٢)، ((مسند أحمد)): (٤١٧/٢)، رقم: ١٨٣٤.

وقال أكمل الرسل ﷺ: ﴿مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَحُجَّ[1] حَجَّةَ الإِسْلاَمِ، لَمْ يَمْنَعْهُ مَرَضٌ حَابِسٌ، أَوْ حَاجَةٌ ظَاهِرَةٌ، أَوْ سُلْطَانٌ جَائِرٌ، فَلْيَمُتْ عَلَى أَيِّ حَالٍ شَاءَ، يَهُودِيّاً، أَوْ نَصْرَانِيّاً﴾. رواه ابن أبي شيبة[2].

وقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ

(١) حتى مات ولا عذر له، وهذا وعيد شديد على ترك الحج، فهو يفيد فرضيته.

(٢) ((مصنف ابن أبي شيبة)): (٣/٣٠٥)، رقم: ١٤٤٥٠، قال الإمام الشوكاني في ((نيل الأوطار))، (٨/١٣): وهذه الطرق يقوي بعضها بعضاً، وبذلك يتبين مجازفة ابن الجوزي في عده لهذا الحديث من الموضوعات، فإن مجموع تلك الطرق لا يقصر عن كون الحديث حسن لغيره، وهو محتج به عند الجمهور، ولا يقدح في ذلك قول العقيلي والدارقطني لا يصح في الباب شيء لأن نفي الصحة لا يستلزم نفي الحسن، وقد شد من عضد هذا الحديث الموقوف الأحاديث المذكورة في الباب قال الحافظ: وإذا انضم هذا الموقوف إلى مرسل ابن سابط علم أن لهذا الحديث أصلاً، ومحمله على من استحل الترك ويتبين بذلك خطأ من ادعى انه موضوع.

وَلۡيُوفُواْ نُذُورَهُمۡ وَلۡيَطَّوَّفُواْ بِٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦۗ ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ ﴾ أي: أعلمهم به، وادعوهم إليه، وبلغ دانيهم وقاصيهم، فرضه وفضيلته. ﴿بِٱلۡحَجِّ ﴾ أي: بدعوة الحج والأمر به؛ قال ابن عبد البر: قال جماعة من العلماء: معنى التلبية إجابة دعوة إبراهيم حين أذن في الناس بالحج، قال الحافظ: وهذا أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم في تفاسيرهم بأسانيد قوية؛ عن ابن عباس ومجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة وغير واحد وأقوى ما فيه: ما أخرجه أحمد بن منيع في "مسنده" وابن أبي حاتم من طريق قابوس بن أبي ظبيان عن أبيه عن ابن عباس، قال: لما فرغ إبراهيم من بناء

---

(١) سورة الحج.

البيت، قيل له: ﴿أذن في الناس بالحج﴾ قال: يا رب، وما يبلغ صوتي قال: ﴿أذن وعلي البلاغ﴾ قال: فنادى إبراهيم: يا أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فسمعه من بين السماء والأرض أفلا ترون الناس يجيبون من أقصى الأرض يلبون[1].

وفي "الخصائص الصغرى" وافترض على هذه الأمة ما افترض على الأنبياء والرسل، وهو: الوضوء، والغسل من الجنابة، والحج، والجهاد، وما وجب في حق نبي وجب في حق أمته، إلا أن يقوم الدليل الصحيح على الخصوصية[2].

﴿يَأْتُوكَ﴾ ليزورا بيتك، ويطوفوا حوله.

---

١ ((شرح الزرقاني)): لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني: (ت١١٢٢هـ)، (٣٢٥/٢)، وقال أيضاً: ومن طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وفيه: فأجابوه بالتلبية في أصلاب الرجال وأرحام النساء وأول من أجابه أهل اليمن فليس حاج يحج من يومئذ إلى أن تقوم الساعة إلا من كان أجاب إبراهيم يومئذ.

(٢) ينظر: ((السيرة الحلبية)): لعلي بن برهان الدين الحلبي: (ت١٠٤٤هـ)، (٢٦١/١)، ((تفسير روح البيان)): (٢٤/٦، ٢٥).

﴿رِجَالًا﴾ مشاةً إن كانوا من الأداني.

﴿وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ أي: ركبانـاً، والضـامر:- البعير سـواء كـان ذكـراً أو أنثـى، تقطـع المهامـة والمفاوز، وتواصل السـير، حتـى تـأتي إلى أشـرف الأماكن؛ قال أكمل الرسـل ﷺ: «مَنْ حَجَّ مِنْ مَكَّةَ مَاشِـياً حَتَّى يَرْجِعَ إِلَـى مَكَّـةَ كَتَبَ اللهُ لَـهُ بِكُـلِّ خطْـوَةٍ سَبْعَمائَةِ حَسَنَةٍ، كُلُّ حَسَنةٍ مِثْلُ حَسَنَاتِ الْحَرَمِ»، قِيلَ: وَمَا حَسَـنَاتُ الْحَـرَمِ؟ قـالَ: «بِكُـلِّ حَسَنَةٍ مِائَةُ أَلْفِ حَسَنَةٍ»[1].

﴿يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ أي: من كل بلد بعيد، وقد فعل الخليل ـ عليه السلام ـ وابنه الأعظم نبيّنا محمد ـ ﷺ، فدعيا الناس إلى حج هذا البيت العتيق،

---

(١) قال المنذري في ((الترغيب والترهيب))، (١٦٧/٢): رواه ابن خزيمة في "صحيحه" والحاكم كلاهما من رواية عيسى بن سوادة، وقال الحاكم: صحيح الإسناد، وقال ابن خزيمة: إن صح الخبر، فإن في القلب من عيسى بن سوادة. قال الحافظ: قال البخاري: هو منكر الحديث.

فأبديا وأعادا، وقد حصل ما وعد الله به، أتاه الناس رجالاً وركباناً من مشارق الأرض ومغاربها. ﴿ لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ ﴾ أي: لينالوا من بيت الله الحرام منافع دينية من العبادات الفاضلة، التي لا توجد في غيرها من العبادات، ومنافع دنيوية؛ من الكسب والأرباح المالية.

﴿وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ ﴾ أي:أن يداوموا على ذكر الله، ويذبحوا الهدي. ﴿فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ﴾ وهي:- العشرة من ذي الحجة، أو من عرفات، أو النحر إلى آخر أيام التشريق. ﴿عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ من الإبل والبقر والغنم التي تُنحر هدياً وضحايا: يوم العيد وما بعده ﴿فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ أي: من لحومها إذا كانت تطوعاً. ﴿وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴾ أي: أطعموا

منها البائس الذي أصابه بؤس شديد، والفقير الذي أضعفه الإعسار.

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ﴾ أي: يقضوا نسكهم، ويزيلوا الوسخ والأذى، الذي لحقهم في حال الإحرام؛ أي:"بعد الذبح"،وذلك بالحلق والتقصير، وإزالة الشعث، وقص الشارب والأظافر.

﴿وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ ﴾ التي أوجبوها على أنفسهم، من الحج، والعمرة والهدايا.

﴿وَلْيَطَّوَّفُوا﴾ أي: طواف الإفاضة، وهو طواف الزيارة ـ الذي هو من "أركان الحجِّ"، وبه تمام التحلُّل من الإحرام. ﴿بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ أي: القديم سمي به لأنه أول بيت وضع للناس، وهو أفضل المساجد؛ قال رسول الله ﷺ: «إنَّما سَمَّى الله الْبَيْتَ

العَتِيقَ: لأَنَّهُ أَعْتَقَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ، فَلَمْ يَظْهَرْ عَلَيْهِ جَبَّارٌ قَطُّ﴾. رواه البخاري والترمذي والحاكم[1].

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ﴾،

أي: الذي ذكرنا لكم من تلكم الأحكام، وما فيها من تعظيم حرمات الله وإجلالها، وتكريمها، لأن تعظيم حرمات الله من الأمور المحبوبة لله، المقربة إليه، التي من عظَّمها وأجلَّها، أثابه الله ثواباً جزيلاً، وكانت خيراً له في دينه ودنياه وأُخراه عند ربه ﷻ.

وحرمات الله: كلُّ ما له حُرْمَة، وأُمر باحترامه، بعبادةٍ أو غيرها، كالمناسك كلها، وكالحرم والإحرام، وكالهدايا،وكالعبادات التي أمر الله العباد بالقيام بها.

---

(١) رواه البخاري في ((التاريخ الكبير)): (٢٠١/١)، وقال: قاله لنا عبد الله بن صالح عن الليث عن عبد الرحمن بن خالد عن الزهري، ((سنن الترمذي)): كتاب تفسير القرآن . باب ومن سورة الحج، رقم:٣١٧٠، وقال: حسن غريب، ((المستدرك)): (٤٢١/٢)، رقم: ٣٥١٦، وقال: هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. قال الذهبي في "التلخيص: على شرط مسلم.

فتعظيمُها: أجلالُها بالقلب، ومحبتُها تكميل العبودية فيها، غير متهاون، ولا متكاسل، ولا متثاقل؛ وهي سرٌّ لقبول العبادة؛ قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ ﴾[1]، فذكر التقوى مع ذكر القلب عن الله تعالى علامةُ القبول؛ وتخصيصها بالإضافة، لأنها مركز التقوى التي إذا ثبتت فيها وتمكنت ظهر أثرها في سائر الأعضاء. قال الإمام الجنيد: من تعظيم شعائر الله: التوكل والتفويض والتسليم، فإنها من شعائر الحق ـ جلَّ جلاله ـ في أسرار أوليائه فإذا عظمه وعظم حرمته ـ زين الله ظاهره بفنون الآداب[2].

"أي أخي": اعلم أن هذا هو الحج: المؤتمر الأكبر الذي يضم شتات المسلمين من كل فج

(١) سورة الحج.

(٢) ((روح البيان)): (٣٢/٦).

عميق يجتمعون في صعيد واحد وفي أيام معلومات، يستهدون من الله تعالى، ويطهـرون نفوسـهم مـن أدران المادة والدنيا ومتاعهـا، ويسـتلهمون معـاني القوة والاتحاد، والألف والتعاون والإخاء في سبيل الله تعالى.

يشهدون منافع لهم دون غيرهم، منـافع عامـة، منافع كثيرة في الدنيا والآخرة.

وإن من يوفق لأداء فرضية الحج يرى نفسه أن الحج فيه منافع، وأي منافع؟ فالدولة تنفق الأموال، وتطلق الألسنة، وتحشد الجموع لحضور مـؤتمر لهـا، ولكن أيحضر الناس بقلوبهم؟ معتقدين في ذلـك رضاء لربهم؟ كلا!!.

ولكن في هذا المؤتمر العـام يحضـر المسـلمون ملبين دعوة الله، مجتمعين بقلوبهم، باذلين أمـوالهم

على فقرائهم متعاونين متساندين متعارفين متحابين، يشعرون بالألفة والمحبة والإخاء لكل مسلم في مشارق الأرض ومغاربها[1].

واعلم أيها القارئ الكريم: أن في الحجِّ عبادة وفضائل لم تكن في غيره، جسدية، ومالية، وروحية.

"أما الجسدية"؛ فكما قال أكمل الرسل ﷺ: ﴿جِهَادُ الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ وَالضَّعِيفِ وَالْمَرْأَةِ الْحَجُّ وَالْعُمْرَةُ﴾. رواه النسائي والبيهقي وأحمد[2]، وقال ﷺ: ﴿وَفْدُ اللَّهِ ثَلاثَةٌ الْغَازِي وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ﴾. رواه النسائي وابن حبان والحاكم[3].

---

(١) انظر: ((تفسير الواضح)): (٥٤/١٧).

(٢) قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، وصححه الهيثمي: (٢٠٦/٣)، وقال: رجاله رجال الصحيح، ورواه النسائي في الحج . فضل الحج: (١١٤/٥) بلفظ قريب، والبيهقي: (٢٣/٩) في الحج . من قال بوجوب العمرة، قوله: إن كان قاله ليس تشكيكاً وإنما هي تبرئة للنفس. ينظر: ((المسند)): (٢١٢/٩)، رقم: ٩٤١٣.

(٣) ((سنن النسائي)): (١١٣/٥)، رقم: ٢٦٢٥، ((صحيح ابن حبان)): (٤٤٧/٩)، رقم:- ٣٦٩٢) ، ((المستدرك)): (٦٠٨/١)، رقم: ١٦١١، وقال: صحيح على شرط مسلم.

"وأما المالية": فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَن أَبِيهِ ﵄ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿النَّفَقَةُ فِي الْحَجِّ كَالنَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِسَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ﴾. رواه أحمد والبيهقي والرُّوياني[1].

"وأما الروحية": كما ورد في الخبر: (فجعل الله الحجَّ رهبانية هذه الأمة)، وسئل أهل الملل؛ رسول الله عن الرهبانية والسياحة؛ فقال ﷺ: ﴿أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف﴾[2]،يعني: الحـجُّ. رواه أبو داود والطبراني والبيهقي.

وعَنِ السَّائِحِينَ، فَقَالَ ﷺ: ﴿هُمُ الصَّائِمُونَ﴾[3].

---

(١) ((مسند أحمد)): (١٦/٤٩٤)، رقم: ٢٢٨٩٦، قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، ((سنن البيهقي الكبرى)): (٤/٣٣٢)، رقم: ٨٤٣٢، ((مسند الرُّوياني)): لأبي بكر محمد بن هارون الروياني الرازي الآملي الطبري: (ت٣٠٧هـ)، (١/٣٧)، رقم: ٦٥.

(٢) رواه أبو داود من حديث أبي أمامة، وأخرجه الطبراني في ((المعجم الكبير))، والبيهقي في "الشعب" من حديث أنس ـ رضي الله عنه.

(٣) ((المستدرك)): (٢/٣٦٥)، رقم: ٣٢٨٨ وقال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه على أنه مما أرسله أكثر أصحاب بن عيينة ولم يذكروا أبا هريرة في إسناده، ((سنن البيهقي الكبرى)): (٤/٣٠٥)، رقم: ٨٢٩٧.

ـ والحجُ كلُه عبادةٌ كالصلاةِ والصومِ:-

"أما الصلاة": فقد قال رسول الله ﷺ: ﴿الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ صَلاةٌ فَأَقِلُّوا[1] مِن الْكَلامِ﴾. رواه النسـائي[2]، وفي روايــةٍ: ﴿الطَّوَافُ بِالْبَيْتِ صَلاةٌ، إِلا أَنَّ اللَّهَ أَحَلَّ فِيهِ الْمَنْطِقَ، فَمَنْ نَطَقَ فِيهِ فَلا يَنْطِقْ إِلا بِخَيْرٍ﴾. رواه الـدارمي وابــن حبّــان والبيهقــي وابــن أبــي شــيبة والحاكم[3].

"أما الصيام": فإن إمساك الحاج المحرم يتعـدى حتى عن المخيط والطيب والنساء، وغير ذلك.

---

(١) أي فلا تكثروا فيه الكلام، وإن كان جائزا؛ لأن مماثلته بالصلاة يقتضي أن لا يتكلم فيه أصلاً كما لا يتكلم فيها، فحين أباح الله تعالى فيه الكلام رحمة منه تعالى على العبد؛ فلا أقل من أن يكثر فيه ذلك.

(٢) ((سنن النسائي)): كتاب مناسك الحج ـ إباحة الكلام في الطواف: (٢٢٢/٣)، رقم:- ٢٩٢٠، وهو حديث صحيح.

(٣) ((سنن الدارمي)): كتاب المناسك ـ باب الكلام في الطواف، رقم: ١٨٤٧، ((صحيح ابن حبان)): (١٤٣/٩)، رقم: ٣٨٣٦، ((سنن البيهقي الكبرى)): (٨٧/٥)، رقم: ٩٠٨٦، ((مصـنف ابـن أبـي شـيبة)): (١٣٧/٣)، رقـم: ١٢٨٠٨، ((المسـتدرك)): (٢٣٩/٢)، رقم:- ٣٠٥٥. قال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

"أي أخي": اعلم أن الحاج مستجاب الدعوة: كما قال أكمل الرسل ﷺ: ﴿الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ الله دَعاهُمْ فأجابُوهُ وَسَأَلُوهُ فَأَعْطاهُمْ﴾. رواه البزار[1]، وفي روايةٍ لابن ماجه: ﴿الْغَازِي في سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَاجُّ وَالْمُعْتَمِرُ وَفْدُ اللَّهِ دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ﴾[2].

"أي عزيزي": واعلم جيداً: "أنَّ للحجِّ سِرّاً انفرد به دون الأركان الأربعة"، وهو: أن الذنوب تغفر في الأركان الأربعة، وهي الصغائر على العموم، إلا الحجَّ، فإن الله يغفر للحاج المقبول ذنوبه الصغائر والكبائر: لقول الرسول الكريم ﷺ: ﴿مَا مِنْ مُحْرِمٍ يَضْحَى لِلَّهِ يَوْمَهُ يُلَبِّي حَتَّى

---

(١) قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد))، (٣/٤٨٤): رواه البزار، ورجاله ثقات.

(٢) ((سنن ابن ماجه)): كتاب المناسك ـ بابُ فضلِ دعاءِ الحاج، رقم: ٢٨٩٣، قال البوصيري: هذا إسناد حسن. عمران مختلف فيه. رواه ابن حبان في "صحيحه" عن الحسن بن سفيان، عن الحسن بن سهل، عن عمران بن عيينة، فذكره بإسناده ومتنه. ورواه البيهقي من هذا الوجه فوقفه ولم يرفعه. وروى النسائي في "الصغرى" الشطر الأول من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه. ينظر: ((شروح سنن ابن ماجه)): (٢/١٠٩٨).

تَغِيبَ الشَّمْسُ إِلا غَابَتْ بِذُنُوبِهِ فَعَادَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ﴾.

رواه ابن ماجه وأحمد[1].

وعَن العَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ أَنَّ أَبَاهُ أَخْبَرَهُ عَن أَبِيهِ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَعَا لأُمَّتِهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِالْمَغْفِرَةِ فَأُجِيبَ: ﴿إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ مَا خَلا الظَّالِمَ، فَإِنِّي آخُذُ لِلْمَظْلُومِ مِنْهُ، قَالَ: أَي رَبِّ، إِنْ شِئْتَ أَعْطَيْتَ الْمَظْلُومَ مِن الْجَنَّةِ، وَغَفَرْتَ لِلظَّالِمِ فَلَمْ يُجَبْ عَشِيَّتَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ بِالْمُزْدَلِفَةِ أَعَادَ الدُّعَاءَ، فَأُجِيبَ إِلَى

(١) ((سنن ابن ماجه)): كتاب المناسك. باب رفع الصوت بالتلبية، رقم: ٢٩٢٢، واللفظ له، ولفظه عند أحمد: "من أَضْحَى يَوْماً مُحْرِماً مُلَبِّياً حتى غَرَبَتِ الشَّمْسُ غَرَبَتْ بذنوبه كما وَلَدَتْهُ أُمُّهُ"، قال حمزة أحمد الزين: إسناده ضعيف، لأجل عاصم بن عبيد الله، والحديث يشهد له ما رواه مسلم بلفظ آخر: "من أتى هذا الْبَيْتَ فلم يَرْفُثْ ولم يَفْسُقْ رَجَعَ كما وَلَدَتْهُ أُمُّهُ" ((صحيح مسلم)): (٢/٩٨٣)، رقم: ١٣٥٠ ومكرراته، ومع هذا فقد حسنه السيوطي بلفظه في ((الجامع الصغير)): (٦/٦٩)، رقم: ٨٤٦١ (فيض)، وعزاه لأحمد وابن ماجه وهو عند ابن ماجه: (٢/٩٧٦)، رقم: ٢٩٢٥، وكذلك عند البيهقي: (٥/٤٣)، وأبي نُعيم في "الحلية": (٩/٢٢٩)، ولكن ضعفه البوصيري في "الزوائد"، وكذا ابن عدي في "الكامل": (٥/٢٣١)، وليس على السيوطي ملام في تحسينه لأنه نظر إلى شواهده، ونحن أمامنا إسناد، وكلامنا على الإسناد، وأما المتن فيرقى إلى الحسن بلا جدال. ينظر:- ((المسند)): (١٢/٤٨)، رقم: ١٤٩٤٨.

مَا سَأَلَ. قَالَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَوْ قَالَ: تَبَسَّمَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، إِنَّ هَذِهِ لَسَاعَةٌ مَا كُنْتَ تَضْحَكُ فِيهَا، فَمَا الَّذِي أَضْحَكَكَ أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ؟ قَالَ: إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ اسْتَجَابَ دُعَائِي، وَغَفَرَ لأُمَّتِي، أَخَذَ التُّرَابَ فَجَعَلَ يَحْثُوهُ عَلَى رَأْسِهِ وَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، فَأَضْحَكَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ﴾. رواه ابن ماجه وأحمد[1].

ـ إذن: لا غرابة بعد هذه الخصائص والمزايا التي امتاز بها الحاج في أن يحرص المسلم كل الحرص وتشتد رَغْبته ويَعظُم طلبه ويجتهد في

(١) قال حمزة أحمد الزين: إسناده حسن رواته مقبولون، إبراهيم بن الحجاج الناجي السامي أبو إسحاق البصري ثقة له بعض الأوهام وهو أحسنهم حالاً، وحديثه يرقى إلى الصحيح، وعبد القاهر بن السري السلمي أبو رفاعة ـ أو بشر ـ البصري مقبول عندهم، وعبد الله بن الكنانة بن العباس بن مرواس قال البغوي لم يصح حديثه، وقال البوصيري والهيثمي والمنذري لم يجرحه أحد غير البخاري، والحديث عند ابن ماجه (١٠٠٢/٢)، رقم: ٣٠١٣ في المناسك ـ الدعاء، وذكر في الزوائد الخلاف فيه، والبيهقي: (١١٨/٥) وذكر له شواهد كثيرة، كذا المنذري: (٢٠٣/٣) وأكثر من شواهد، وألمح إلى أنه يرقى بشواهده. ينظر: ((المسند)): (٤٩١/١٢)، رقم: ١٦١٥٩.

حضور هذه المشاهد وإدراك هذه الخصائص ولو كان من اهل الأعذار الذين قد قضوا فرضهم، وأكثروا من التطوع بهذا النُّسُك الشريف ما لم يكن هناك أمور أولى من نافلة الحج كتجهيز غازٍ، وكنفقة من تلزم نفقته من الأقارب، أو إعانة مسكين، ومـدان، ومبتلى وغير ذلك، للحديث: ﴿خير الإسلام: إطعام الطعام، وإفشاء السلام﴾[1]، وليس المـراد تفضـيل هاتين الخصلتين على سائر خصـال الإسـلام؛ مـن الشهادتين والصلاة وغيرهما، بل المراد أن أفضـل أهـل الإسـلام القـائمين بخصـاله المفروضـة مـن الشهادتين والصلاة والصيام والحج من قـام بعـد ذلك بإطعام الطعام وإفشاء السلام.

(١) سبق تخريجه في (ص٦٥).

فإن قيل: فيكون التطوع بذلك أفضل من التطوع بالجهاد والحج. قيل: فيه تفصيل: فإن كان إطعام الطعام فرض عين كنفقة من تلزم نفقته من الأقارب فلا ريب أنه أفضل من التطوع بالنفقة في الجهاد والحج، نص عليه أحمد، وكذا إن كان في عام "مجاعة" ونحوها، فهو أفضل من الحج عند الإمام أحمد، وقد يقال في الجهاد كذلك إذا لم يتعين. هذا الكلام كله في تفضيل بعض الأعمال على بعض لذاتها، فأما تفضيل بعض الأعمال على بعض لزمانها أو مكانها فإنه قد يقترن بالعمل المفضول من زمان أو مكان ما يصير به فاضلاً [1].

نقول للذين يتكلفون ويَتَشكون من مشقة الطريق وأتعاب الحجِّ؛ قِصتان: قال بعضهم: رأيت

(١) ينظر: ((فتح الباري)): لابن رجب، (٣/٤٩).

في الطواف كهلاً وقد أجْهَدَته العبادة وبيده عصاً وهو يطوف مُعتمداً عليها، فقال لي: في كم تقطعون هذا الطريق؟ قلت: في شهرين فقال: فهل تَحجّون كل عام؟ فسكت فسألته: وكم بينكم وبين هذا البيت؟ قال: مسيرة خمس سنين، فقلت: والله هذا هو الفضل المبين والمحبّة الصادقة فضحك وأنشأ يقول:-

زُرْ من هَوَيت وإن شطّت بك الدار

وحالَ من دونِه حُجُبٌ وأستارُ

لا يَمْنَعنّك بُعْدٌ عن زيارتِهِ

إن الُمحِبّ لمن يَهْواه زَوّارُ[1].

وقِصة عن شقيق البَلْخي ﵁، قال: رأيت في طريق مكةَ مُقْعَداً يَزْحف على الأرض فقلت له:

(١) ينظر: ((تفسير النسفي)): (٣/٨٥).

من أين أَقْبلت؟ قال: من سَمَرْقَند، قلت: كم لك في الطريق فذكر أعواماً تزيد علـى العَشَـرة فرفعـت طَرْفِي أنظر إليه مُتَعجّباً فقال: يا شقيق مَالك تَنْظُر إليَّ مُتَعجّباً؟ فقلت: أتعجّب من ضَعْف مُهْجَتـك وبُعد سفرك فقال: يا شقيق: أما بُعْد سفري فالشوق يقويه، وأما ضَـعفُ مُهْجَـتي فمـولاي يَحْمِلـها، يـا شقيق أتعجب من عبد يحمله المولى اللطيف فمن وصل إليه بشارة الله بفضله وجوده هان عليه بذل وجوده. وأنشأ يقول:-

أزورُكم والهوى صَعْب مسالِكُه والشوق يَحْمِل والآمال تُسْعده

ليس المُحِبّ الذي يَخْشى مَهالكه كلا ولا شِدّة الأسفار تُبْعِده[1].

"أي أخي وعزيزي": مـن الأمـور الأخـرى بدين الله ﷻ على غير ما ذكرنا في الأركان الخمسة،

(١) ((تفسير روح البيان)): (٨/٢٣٨).

وهي: أداء حقوق العباد المالية، والثابتة في الذمة، والتي دخلت عليك من غير طريق شرعي، والعدل في المبادلات المالية، والمعاملات دون ظلم، ولا بخس حق، ولا غش، ولا تطفيف كيل، ولا نقص وزن، ولا تدليس عيب، ولا قول كذب، ولا خيانة أمانة، ولا إخلاف في وعد، ولا نقض عهد، ولا رجوع عن عقد بعد إبرامه دون خيار.

ومن الواجبات: إغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، وإغاثة الضعيف، وصلة الرحم، وردُّ السلام، وحسن اللقاء، ومعاملة الناس بخلق حسن، والنصيحة لعباد الله تعالى وحبُّ الخير لهم كما تحب لنفسك.

ومن الواجبات: حسن القيام بحقوق الزوجية الواجبة على الزوجين: قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى

﴿عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ٢٢٨﴾[1]، والملاطفة في المعاشـرة الزوجيـة، وحسـن الجـوار، والبعد عما يؤذيهم.

ومـن الواجبـات الإسـلامية: تحسـين الظـن بالمسلمين ما لم يشاهَد منهم غير ذلك، والستر على العصاة المستترين، والنصـح لهـم مـع الـدعاء لهـم بالعافية من ذنوبهم.

ومن الحقوق الواجبـة علـى الإنسـان: حقـوق الحيوانات، فيجب على الإنسان الرفق بالحيوان، فلا يجيعه، ولا يوجعه، ولا يتعبه، ولا يزعجه، ولا يُحمّله فوق طاقته، ولا يؤذيه بنفسه، ولا في أولاده، سواء في ذلك البهائم والطيور وغيرهما: لما روى الإمام أحمد وغيره: عَن أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ عَن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ

(١) سورة البقرة.

غُفِرَ لَكُمْ مَا تَأْتُونَ إِلَى الْبَهَائِمِ لَغُفِرَ لَكُمْ كَثِيرًا»[1]- أي: لأنكم قد تغفلون عن أداء حقوقها.

ومن الفروض الإسلامية: إبعـاد الـنفس عـن المحرمات، وهي كثيرةٌ، فمنها: الربا، والزنا، والخمر، والميسر، والغصب، والظلم، وشهادة الزور، واليمين الغموس، وقول الزور، وانتهاك الأعراض بالقذف ونحوه، والسباب، والتعـيير، والتفسـيق، والتبـديع، والتكفير من غير دليل قطعي ثابت شرعاً، وتتبـع عورات النّـاس وزلاتهـم وأخطـائهم وهفـواتهم؛ والسب والشتم، واللعن، وكشـف سـتر المسـلم، والغيبة، والنميمة، وسوء الظن، والسخرية بعبـاد الله تعالى واحتقارهم، والتكبر، والعجب، والريـاء،

(١) قال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح، وقال في "المجمع" (١٩١/١٠): إسناده جيد، وكذا في (٢١٧/١٠)، وانظر الترغيب (٣١٣/٣). ينظر ((المسند)): (٥٦٥/١٨)، رقم:- ٢٧٣٥٩.

والسمعة، والغرور، وحب الظهور والمفاخرة أو المكاثرة بالمال، وحب المال؛ فإنَّ ذلك يفسد دين صاحبه. وغير ذلك مما ذكره العلماء الأجلاء ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ ونفعنا الله من بركة علومهم وأنفاسهم[1].

قال العارف بالله الشيخ عبد الله بن علوي الحداد ﷺ في رسالته الجليلة[2]: وعليك بأداء الفرائض، واجتناب المحارم، والإكثار من النوافل، فإنك إن فعلت ذلك مخلصاً لوجه الله الكريم، حصلتَ على غاية القرب من الله، وخُلعت عليك خِلعة المحبة التي تصير عندَها جميع حركاتك وسكناتك لله وبالله، وهي خلعة الولاية بل خلعة الخلافة: وقد أشار إليها رسول الله ﷺ، فيما يرويه

(١) انظر كتاب((التقرب إلى الله تعالى، فضله، طريقه، مراتبه))؛ للشيخ عبد الله سراج الدين ﷺ.
(٢) وهي: "رسالة المعاونة والمظاهرة والموازرة للراغبين من المؤمنين في سلوك طريق الآخرة":

عن ربّه: أن الله تعالى قال: ﴿ مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ﴾، رواه البخاري[1]، فانظر رحمك الله إلى ما انطوى عليه هذا الحديث القدسي من الأسرار والمعارف، وتأمل ما أومأ إليه من الرقائق واللطائف، وما وصل هذا العبد الموفق إلى هذه المرتبة العظيمة التي صار فيها ما يحبه محبوباً لله، وما يكرهه مكروهاً عند الله إلا بأداء ما افترضه عليه،

---

(١) ((صحيح البخاري)): كتاب الرقاق ـ باب التواضع، رقم: ٦٥٠٢.

والإكثار من النوافل ابتغاء الزلفى لديه، والسباق إن كانت لك همة في الوصول إلى مراتب الكمال، ورغبت في بلوغ درجات الرجال، فقد وضح لـك الطريق، وبدا لك شعاع التحقيق.

واعلـم: أنَّ الله قـد جعـل بفضـله ورحمتـه في النوافل جبراناً لما يقـع مـن الخلـل في الفـرائض، ولكن لا يجبر خلل الفريضة إلا بنفل مـن نوعهـا كالصلاة بالصلاة، والصيام بالصيام، والفرض هو الأصل، والنفل تابع له.

والذي يـؤدي الفـرائض ويجتنـب المحـارم ولا يتنفل أحسن حالاً ممن يتعاطى النوافـل، ويقـع في إهمال بعض الفرائض، فإياك أن تعرض عن شيء من الفرائض اشتغالا بشيء من النوافل فتأثم بترك الفريضة، ولا يتقبل الله منك النافلة، ويقع في ذلك

من يشتغل بتحصيل العلم الذي هو في حقه فضيلة (أي عبادة) ويترك الاشتغال بتحصيل ما هو عليه من العلم فريضة في ظاهره أو باطنه، ومن يقعد عن المكسب مع المقدرة عليه اشتغالا بنوافل العبادات ويترك عياله يتكففون الناس، فقس على هاتين الصورتين ما عداهما مما في معناهما.

واعلم: أنك لا تصل إلى القيام بامتثال ما فرض الله عليك من طاعته، واجتناب ما حرم الله عليك من معصيته، والى العمل بما شرع لك من النوافل التي تُقربك إليه زُلفى إلا بالعلم، فعليك بطلبه: قال ـ عليه الصلاة والسلام: ﴿طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ على كل مُسْلِمٍ﴾، رواه البيهقي، والطبراني في "الأوسط".

وبالعلم تعرف كون الواجب واجباً، والمندوب مندوباً، والمحرم محرماً، وتعرف كيف تؤدي الواجب، وتفعل المندوب، وتترك المحرم، فإذاً لا بد لـك مـن العلم ولا غنى لك عنه وعليه، وعلى العمـل بـه مدار سعادتك في الدنيا والآخـرة، واعلـم: أن مـن عبد الله بغير علمٍ، فإن الضرر العائد عليه بسبب عبادته أكثر من النفع الحاصل له بها، وكم من عابدٍ قد أتعبَ نفسه في العبادةِ، وهو مع ذلك مُصرٌ على معصية، يرى أنها طاعة أو أنها غير معصية.

والعلم الواجب على كل مسلم، هو أن يعلم وجوب جميـع الفـرائض الـتي فرضـهن الله عليـه، وتحريم جميع المحرمات التي حرمهن الله عليه. اهـ

أيها الأخ في الله، والغيورُ لدين الله، والشـفيقُ على أمـة خـاتم النبـيين ﷺ: حضـارتُك وسـعادةُ

العالَمِ كلِّهِ بدين الله ﷻ بهذه الأحكام الإسـلامية العُليا: فبين اللفظ الظاهر، والقلب الصـادق ـ ألا وهي: الشهادة.

ـ وعمل الإنسـان لأمـر خالقـه، وقـوةِ جسـدهِ وحيويتهِ، وسلوكِه الذاتي الأخلاقي ـ الذي يربيك بإملاء فراغك باليوم والليلة خمس مرات بكل طُهر وطهارة، واستقرار فِكر، وانس بالله، ومناجاة لخالق الأرض والسماء الذي إليه مرجعك والوقوف بين يديه ـ ألا وهي: الصلاة.

ـ وجمع المال بعزة وطهارة ـ وهو المال الحـلال، الذي لا تُزاحم به أحداً، أو تأخـذ حـق أحـد، ولا تَغش أحدا، وإنفاقه في سبيل الله ﷻ لا تَتبِع بذلك منّا ولا أذى: لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾﴾[1]، لحياة المحتاج والمنكسر، لتكون العزة والمواساة، بمال الله ﷻ إلى حياة أمةٍ كاملةٍ، والى جنّة ورضوان ألا وهي: الزكاة.

ـ والى سمو الشخصية التي تَرَبَتْ على الصفاء، والتحمل، والصبر لترى حاجة الأمة، وجبر خواطر المنكسرين، والتحمل في الشدائد دونما اضطراب ويأس ـ ألا وهو: الصيام.

ـ والتنافس إلى معارج التطهير، ومدارج التهذيب، وعظيم الإخاء، والتحمل للأمة الواحدة المرحومة كل ذلك: في الحج العظيم؛ "ثم معارج الدين، ومراتب التطهير، ومنازل القرب والإقبال، في الحب والعرفان"؛ لتبنى حضارة الإنسان، أم إنسان الحضارة ـ فتتكون عند ذلك حياة البشرية

---

(١) سورة البقرة.

كلها بمراتب ثلاث: أولاً: الاستقرار الفكـري، وفي كل زمان، ومكان، وحال، ثانياً: الأنس الدائم، وهي: المسرة أو النشوة التي لا تفارق الإنسـان في حياتـه وأنفاسه كلها ـ فإذا أصابهُ شر التجأ وصبر وسكن، وإذا أصابهُ خير شَـكَرَ وَحَمَـدَ وترقـى واطمـئن ـ فيكون الإنسان إنسـاناً سـوياً في فكـرهِ وسـلوكهِ: لقولـه تعـالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ (٢٣)﴾[1].

ثالثاً: ثم إدراكه بالرّجعة، والشوق للقاء ربه ﷻ والبقاء المطلق، لكمال وجمال حياته، في عـالم الجنّـة والرضا والمشاهدة، ودون ذلك الإدراك؛ فـإنَّ الحيـاةَ عبثٌ، والفكرَ مضطربٌ، والدمارَ والانتحارَ قريبٌ: كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا

(١) سورة الحديد.

تُرۡجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾[1].

واعلم جيداً: أنَّ الله مَـنَّ علـى هـذا الإنسـان الكريم، وعلى هذه الأمة العظيمة: أولاً: بدين الله الكامل، والخاتم، والمرتضى. ثانياً: التجلي الأعظـم على القلوب المتوجهة إلى ذات الحق ومحبته، جلالية كانت أم جماليـة. ثالثـاً: الصـلة والإيصـال بحبيبـه ومصطفاه ـ صفةً وإتباعاً به ﷺ.

فالأمة، أو أفراد الأمـة الـتي تهـذبت وكُونـت بالدين الأعظم، والتجلي الأكرم، والصفة المحمدية العظمى، فماذا تصنع هذه الأمور العظـام، بعـالَمِ الحضارةِ ـ حضارةُ الإنسان، أم إنسان الحضارة، ثـم

(١) سورة المؤمنون.

الجمـالُ، والبهـاءُ، والكمـالُ، والبقـاءُ في جنّـةِ الله، ومشاهدته، ورضوانهِ ﷻ. فتأمل جيداً. والحمد لله.

"ختامه مسك"

ذكر القرطبي؛ في "تذكرته" ما روي عن عبـد الرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن في مسجد المدينة، فقال: إني رأيت البارحة عجباً: رأيت رجلاً من أمتي جاءه ملك الموت ليقبض روحه، فجاءه بره بوالديه فرد عنه. ورأيت رجلاً من أمتي قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلـك. ورأيـت رجـلاً مـن أمتـي قـد احتوشـته الشـياطين، فجاءه ذكر الله فخلصه من بينهم. ورأيت رجلا من أمتي قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم. ورأيت رجلاً من أمتي يلهث عطشاً، كلما ورد حوضاً منع منه، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه. ورأيت رجلاً من أمتي والنبيون قعود حلقاً حلقاً، كلما دنا لحلقة

طردوه، فجاءه اغتساله من الجنابة فأخذ بيده، وأقعده إلى جنبي. ورأيت رجلاً من أمتي، من بين يديه ظلمة، ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن شماله ظلمة، ومن فوقه ظلمة، ومن تحته ظلمة، وهو متحير فيها فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة، وأدخلاه في النور. ورأيت رجلاً من أمتي يكلم المؤمنين فلا يكلمونه، فجاءته صلة الرحم فقالت: يا معشر المؤمنين كلموه، فإنه كان واصلاً للرحم فكلموه وصافحوه. ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار وشررها بيده عن وجهه، فجاءته صدقته، فصارت له ستراً على وجهه وظلاً على رأسه. ورأيت رجلاً من أمتي قد أخذته الزبانية من كل مكان، فجاءه أمره المعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة. ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه بينه وبين الله حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله ﷻ. ورأيت رجلاً من أمتي قد هوت صحيفته من قبل

شماله فجاءه خوفه من النار فأخذ صحيفته فجعلها في يمينه. ورأيت رجلا من أمتي قد خف ميزانه، فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه. ورأيت رجلا من أمتي قائماً على شفير جهنم، فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى. ورأيت رجلا من أمتي هوى في النار، فجاءته دموعه التي بكى من خشية الله في الدنيا فاستخرجته من النار. ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة، فجاءه حسن ظنه بالله فسكن رعدته ومضى. ورأيت رجلا من أمتي على الصراط يزحف أحيانا ويحبو أحيانا، فجاءته صلاته علي فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصراط. ورأيت رجلاً من أمتي انتهى إلى أبواب الجنة فأغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة[1].

---

(١) قال أبو عبد الله محمد بن قيم الجوزية في ((الوابل الصيّب من الكلم الطيّب)) (١١١/١):= =رواه الحافظ أبو موسى المديني في كتاب ((الترغيب في الخصال المنجية، والترهيب من الخلال المردية)) وبنى كتابه عليه وجعله شرحاً له، وقال: هذا حديث حسن=

"دعاء ورجاء"

﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ٤١﴾ [(١)].

ربنا أنت الـذي أنعمـتَ وهـديتَ وأكرمـتَ، فزدنا ولا تنقصنا، اختم حياتنا عليك، وامتنا علـى كمال الحب والإيمان، يا الله.

اللّهـم إنـي أعـوذ برضـاك مـن سـخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، وأسألك بأنت أنت؛ لا أُحصيْ ثناءً عليك، أنت كما أثنيت على نفسك، فلك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد بعد الرضا، ولك الحمد دوماً وأبداً.

=جداً، رواه عن سعيد بن المسيب: عمرو بن آزر، وعلي ابن زيد بن جدعان، وهلال أبو جبلة. وقال القرطبي في "تذكرته"، (٢٤٣/١): هذا حديث عظيم، ذكر فيه أعمالاً خاصة تنجي من أهوال خاصة.

(١) سورة إبراهيم.

اللّهم إنا نسألك من خير ما سألك منه عبدك ونبيك محمدٌ ﷺ، ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ونبيك محمدٌ ﷺ، أنت المستعان، وعليك البلاغ، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

اللّهمَّ؛ أقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك، ومن طاعتك ما تُبلِّغُنا به جنّتك، ومن اليقين ما تُهوِّنُ به علينا مصائبَ الدُّنيا، ومتعنا بأسماعنا وأبصارنا وقُوَّاتِنا ما أحييتنا؛ وأجعله الوارث منّا، وأجعل ثأرنا على من ظلمنا، وانصرنا على من عادانا، ولا تجعل مُصِيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدُّنيا أكبر همِّنا، ولا مَبلغَ علمنا، ولا تُسلِّطْ علينا من لا يَرْحمُنا.

اللَّهمَّ؛ اشغل جوارحنا بطاعتك، وقلوبنا بمعرفتك، وذكرك، وأنسك، واشغلنا طول حياتنا في

ليلنا ونهارنا، وألحقنا بالذين تقدموا من الصالحين، وارزقنا ما رزقتهم وكن لنا كما كنت لهم، آمين.

اللَّهم؛ وفقنا للعلم والخشية، والطاعة والأدب، والمعرفة والمحبة، والافتقار والدعوة. آمينَ آمينَ،يا الله.

اللَّهمَّ؛ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾.

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾.

وهذا مساء يوم الثلاثاء الخامس والعشرون من العام الهجري الثالث والثلاثين بعد الأربعمائة وألف، وفيه اكتمل هذا الكتاب "ميزان الاعتدال، لحفظ الدين والأحوال" بجزئه الثالث وذلك في منزلي الملتصق بجامع الرباط في منطقة "القلعة"، من مدينة سامراء، من بلد العراق ـ بلد العلم والصلاح والحرب والسلام.

تم الجزء الثالث بتوفيق الله تعالى، وهو العمل "بالمبرات أو الطاعات"، ويليه الجزء الرابع إن شاء الله تعالى وهو "العمل بالمقربات".

خادم الدين والأمة

الشريف الشيخ عباس السيد فاضل

الحسني النقشبندي

العراق ـ سامراء ـ القلعة

فهرس الكتاب